الإصدار: 23



جسـور التواصل الحضاري
بين العالم الإسلامي واليابان

أ. د/ سمير عبد الحميد نوح





جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان

أ. د/ سمير عبد الحميد نوح

الإصدار: 23 (نوفمبر 2009م / ذو القعدة 1430هـ)



أ. د/ سمير عبد الحميد نوح

من مواليد مصر، حاصل على دكتوراه في اللغة الأردية، عمل أستاذا بجامعة القاهرة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، و يعمل، حاليا، أستاذا بجامعة دوشيشا باليابان.

من مؤلفاته :«الإسلام والأديان في اليابان» و«اتجاهات الترجمة والتفسير القرآني في اللغة الأردية» و«اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان»، كما ترجم العديد من المؤلفات منها:«واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام و«الإنسان القرآني» لوحيد الدين خان، و «ياباني في مكة» لسوزوكي تاكيشي وغيرها.



نهر متعدد ... متجدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة - رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487310 (965+) - فاكس: 22445465 (965+)

نقال: 99255322 (965+)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

الطبعة الأولى – دولة الكويت

نوفمبر **2009**م / ذو القعدة **1430** هـ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: **www.islam.gov.kw**

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: **2009 / 505**

ردمك: **978-99906-952-8-1**

فهرس المحتويات



تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

إذا أمكن أن تكون للإحصاءات والأرقام دلالة ما داخل سياق معرفي وحضاري معين، فإنها تتمتع بأقوى الدلالات حين نتحدث في موضوع العلاقة بين العالم الإسلامي واليابان، وذلك أن عدد الدراسات والكتب المنجزة من قبل الدوائر الغربية لتحليل «ظاهرة» اليابان وإنسانها وقيمها تتجاوز ،بنسب كثيرة، ما أنجزه العرب والمسلمون ، وحركة الترجمة من وإلى اليابانية واللغات الأوربية ، تتجاوز ، بدرجات كبيرة، حركة الترجمة من وإلى العربية واليابانية.

وإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة الخطط الخاصة بفهم الظاهرة اليابانية واستيعابها وإدراك أسرار نهضتها وقوتها، فإن حصيلة العرب والمسلمين تكاد تكون منعدمة.

حقيقة أن وراء هذا الوضع أسبابا معينة، منها ما هو تاريخي ، ومنها ما هو حضاري، لكن قد يفاجأ القارئ، حين يعلم، من خلال صفحات هذا الكتاب، أن جسور التواصل بين العالم الإسلامي واليابان ضاربة في عمق التاريخ، ومتفرعة إلى تواصل تجاري وسياسي وثقافي.

واستجابة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت إلى دورها الحضاري المتمثل في التواصل مع العالم الخارجي بما فيه خدمة الإسلام والإنسانية جمعاء، وبما من شأنه أن يدعم قيم السلام والتعايش والتفاهم، وحرصا منها على تفعيل قيم الشراكة مع المؤسسات والجهات إقليميا وعربيا وإسلاميا وعالميا، فقد بادرت إلى الاهتمام بموضوع مد جسور التواصل الحضاري مع العديد من دول العالم، بما فيها اليابان، وذلك من خلال العديد من المحطات، لعل أهمها الندوة الأخيرة حول البيئة ورؤية الإسلام والثقافة اليابانية إليها ، من خلال العكوف على استجلاء طبيعة الرؤية

الحضارية لدى الجهتين، والبحث في سبل الإسهام في إنقاذ البيئة العالمية من الترديات التي تهدد النوع الإنساني.

وبالنسبة إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، فإن البحث في جسور التواصل ليس وليد اقتراح من قبل هيئة الأمم المتحدة، أو غيرها من المؤسسات المعنية بالشأن الدولي، كما أنه ليس استجابة لمطالب آنية، وإنما هو جزء لايتجزأ من وظيفة المسلمين في العالم، باعتبار أن دينهم يوصي بالتواصل مع الإنسانية جمعاء، ويدعو إلى السير في الآفاق ونشر قيم الخير والحكمة والأخوة الإنسانية.

ولهذه الاعتبارات، فإن إدارة الثقافة الإسلامية ، التابعة لقطاع الشؤون الثقافية بالوزارة ، جعلت من أولوياتها لفت انتباه مفكري الإسلام وعلمائه إلى هذا الموضوع الذي يكتسي أهمية متنامية، ويتيح مداخل عديدة لتناول آليات التواصل الحضاري مع اليابان ثقافيا وحضاريا ، وهي تطمح إلى أن يتهيأ لهذا الأمر قنوات مؤسسية تعنى بالموضوع في مختلف أبعاده ، ذلك أن الحديث عن سبل التواصل الحضاري مع اليابان يثير أسئلة عديدة لدى الإنسان العربي والمسلم على حد سواء، من مثل:

من أين تستمد اليابان هذه القوة الروحية والثقافية التي أتاحت لها أكبر معدلات الاستقرار السياسي والاجتماعي ؟

ما سر تقدم اليابان على كافة المستويات؟ وهل لطبيعة الإنسان الياباني الدينية والثقافية علاقة بذلك؟

كيف استطاع الإنسان الياباني أن يحقق نوعا من التوازن بين قيمه التراثية والقيم الحداثية دون وقوع في شروخات نفسية واجتماعية وفكرية؟

ما هو الواقع الحالي للثقافة اليابانية المتوارثة في ظل هيمنة العولمة واكتساحها للخصوصيات الثقافية والحضارية؟ وكيف هي مآلتها في المنظور

المستقبلي؟

وغيرها من الأسئلة التي يتعين أن تتضافر جهود المفكرين والمؤتمرات والندوات والمؤسسات البحثية والمراكز الرصدية من أجل تقديم تفسيرات علمية لظاهرة تؤكد خصوصيتها وقوتها من حين لآخر.

وفي هذا السياق، يسر إدارة الثقافة الإسلامية أن تقدم إلى القراء الكرام وعموم الجمهور كتاب» جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان» لمؤلفه الأستاذ سمير نوح، أملا في أن تتواصل الكتابات في الموضوع، بما من شأنه أن يغرس قيم التعارف والتشارك والحوار الحضاري، ويقضي على «طفيليات» الصراع والتعصب والإقصاء والتطاحن والحروب.

لقد حرص الكاتب ، وهو الذي يعيش باليابان لعقود طويلة، على أن يحلل بعض الأسباب التي تكمن خلف طبيعة الثقافة اليابانية ، وأن يقدم مقارنات دالة بين القيم الحضارية اليابانية والإسلامية، ليؤكد إمكانية بناء جسور للتواصل بين الحضارتين، بل ليكشف عن وجود محاولات حميدة ومتواصلة في هذا المجال.

وإذا كان الكاتب قد وثق للندوة العلمية التي أقامتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت مع الطرف الياباني في موضوع البيئة والتحديات التي تواجهها البشرية تجاهها، وتقديم ميراث الحضارتين وخبرتهما في التعامل مع مختلف عناصر البيئة، فإن الرؤية التي تحكم الوزارة في استراتيجيتها العامة كفيلة بأن توسع من دائرة الحوار بين الطرفين ليشمل مختلف الموضوعات التي تكتسي أهميتها في العصر الحديث، تنفيذا لواجب البلاغ العام والتعارف الشامل اللذين يمثلان جوهر الوظيفة الحضارية للإنسان المسلم في هذا العالم.

والله الموفق للفلاح



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد،

فهذا الكتاب الذي يعنى بالحوار مع اليابان كان ثمرة مؤتمر حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان الذي عقد في دولة الكويت برعاية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، ففي أجواء ذلك المؤتمر، تولدت فكرة مباحث هذا الكتاب الذي يسرني أن يصدر عن وزارة الأوقاف ضمن سلسلة «روافد المتميزة».

إن حوار الإسلام مع اليابان قد يختلف بالضرورة عن حوار الإسلام مع المسيحية واليهودية، فنحن في العالم الإسلامي بحاجة إلى التعرف على المعتقدات أو الثقافات الشرقية التي تنتشر بين معظم الناس في اليابان، حتى يكون الحوار مفيدًا، كما أننا أيضًا بحاجة إلى التعرف على ما يعرفه اليابانيون عن ثقافتنا وعقيدتنا الإسلامية، ويأمل كاتب هذه السطور أن يهتم المتخصصون في العالم الإسلامي بالحوار مع اليابان؛ لما في ذلك من فوائد لا تخفى على أحد.

لا شك أن للحوار ضوابط ورد ذكرها في كثير من الكتب في وقت انتشرت فيه دعوات الحوار بين الأديان والثقافات على مستوى المراكز البحثية والمؤسسات الحكومية وغيرها، إلا أن الهدف هنا أو ما نطمح إليه حقًّا من خلال إيجاد جسور للتفاهم بين العالم الإسلامي واليابان هو تجاوز مرحلة الحوار إلى مرحلة التعرف على ما لدى الآخر، وذلك لتصحيح المفاهيم، والوصول إلى مرحلة التعايش والتفاهم.، مع الأخذ بعين الاعتبار تفهم الموقف الداعي إلى عدم التطرق إلى مسألة العقيدة، لأن لكل دين عقيدته الخاصة، ولكل معتقد خصوصيته وأسسه التي بني عليها، ولكل منها مكانة مقدسة لدى أصحابها تجعلها لا تدخل في إطار المناقشة والحوار، بل ربما

تعمق الخلافات وتثير الكثير من الحساسيات بين المتحاورين[١].

لقد كان مؤتمر الحوار بين العالم الإسلامي واليابان الذي عقد في الكويت بداية تغيير نوعي في مجال الحوار الإسلامي الياباني، فهو لم يعتمد في الأساس على الممثلين الرسميين في المؤسسة الدينية لدى الجانبين، وإن كانت الجهة الراعية مؤسسة إسلامية، لكن المشاركين في معظمهم كانوا من خارج هذه المؤسسة، كما أن الطرف الياباني أيضا ضم في معظمه مشاركين من خارج المؤسسات الرسمية. التي، عادة، ما توجه الحوار وتضع له حدودًا لا تحقق الهدف الذي من أجله عقدت مؤتمرات الحوار، بل تؤدي إلى عدم فعالية الحوار، الذي يتحول إلى مجرد لقاءات رسمية ليس إلا.

لا يعني هذا بالضرورة أن نبتعد عن بيان ما لديننا الحنيف من صفات وخصائص، أو بيان ما يضمه من عقيدة تتمثل في الإيمان بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر، وما يضمه من تشريع ينظم العلاقة بين جميع البشر، فهذا أمر ضروري، وهو يقتضي الاستماع إلى الطرف الآخر، ومن هنا جاءت بعض مباحث هذا الكتاب للتعريف بالمعتقدات اليابانية والمقارنة بين القيم العربية الإسلامية والقيم اليابانية في جوانب معينة.

إن العالم يشهد اليوم تطورات في مجال حوار الأديان والثقافات من حيث أطرافه ومبادراته على جميع المستويات الإقليمية والعالمية، والحوار الإسلامي الياباني أحد هذه المجالات، وله خصوصية معينة لأنه يتم بين دين سماوي هو آخر الأديان وبين معتقدات شرقية، قد لا تمثل بالضرورة دينًا لليابانيين، لكنها تمثل بالنسبة لهم تراثا ثقافيا يصل أحيانا إلى درجة العقيدة.

ولا يمكن لكاتب هذه السطور أن ينكر التأثير المتبادل بين الأبعاد السياسية

١- هذا مع التأكيد بأن المسلمين ينطلقون من المبدأ القرآني الذي ينص على أن الدين عند الله الإسلام، وأنه مصدق لما بين يديه من الكتب ومهيمن عليها.

والدينية في الحوار الإسلامي الياباني، ومن ثَمَّ حاول الكاتب على قدر المستطاع بيان هذه العلاقة من منظور ديني ثقافي حضاري.

كما يشعر كاتب هذه السطور بضررورة إيضاح صورة العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية لدى اليابانيين وخاصة المثقفين؛ نظرا لأن اليابان كانت مضطرة في البداية إلى التعرف على العالم الإسلامي من خلال الكتابات والمؤلفات الاستشراقية والمقولات الغربية، وكان لهذا أثره في بلورة ملامح الثقافة العربية الإسلامية في اليابان لفترة طويلة، فكانت حكايات ألف ليلة وليلة مادة للتعرف على العالم الإسلامي. وفيما يتعلق بالقرآن والسنة يلاحظ أن اليابان اعتمدت كلية على المصادر الغربية وعلى كتابات المستشرقين الغربيين، وكان الهدف من الترجمة خدمة الدراسات الخاصة بمقارنة الأديان، ومع هذا ظهر عدد من اليابانيين الذي تميزوا بالدقة ومعرفة الحق، ثم بدأت اليابان تأخذ عن الصين بعضًا من الثقافة الإسلامية المتمثلة في الفكر الإسلامي الذي ترجم إلى الصينية أو كُتِب بالصينية.

وأخيرا بدأت ملامح الثقافة العربية الإسلامية بالتدريج تصل واضحة إلى لشعب الياباني من خلال الاتصال المباشر بين الدارسين اليابانيين والعلماء العرب والمسؤولين الرسميين، ومن خلال قيام المراكز البحثية اليابانية بتخريج دفعات من الباحثين اليابانيين المهتمين بشؤون البلدان العربية والذين يتقنون اللغة العربية؛ إذ بدأ اليابانيون يهتمون باللغة العربية والإسلام، ونشطت أقسام اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعات اليابان، فكانت النتيجة ظهور عدد من المستعربين اليابانيين الذين درسوا في البلاد العربية والبلاد الإسلامية، وأتقنوا اللغة العربية، وكتبوا في موضوعات الأدب العربي واللغة العربية، كما كتبوا في موضوعات إسلامية عامة وأخرى متخصصة ودقيقة، إلى أن وصلوا إلى مرحلة الحاجة إلى مزيد من التعارف عن طريق الحوار، فكانت الدعوة إلى الحوار

بين اليابان والعالم الإسلامي، ولا شك أن الاهتمام بالإسلام وحضارته وثقافته اهتمام موجه لخدمة البحث العلمي من جهة وخدمة اليابان ودعم علاقتها بالعالم العربي والإسلامي من جهة أخرى، وعليه فلا بد لنا أن نستفيد بدورنا من هذا الحوار في بيان صورة الإسلام السمحة لليابانيين، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي انتشرت في اليابان عن الحضارة العربية الإسلامية نتيجة لاعتماد اليابان قديمًا على كتابات المستشرقين، ويستلزم هذا إجراء المزيد من الدراسات حتى تتحقق أهداف مؤتمرات الحوار الإسلامي الياباني في المستقبل.

وليس هذا الجهد إلا لبنه متوافقة في البناء الكبير والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.



المبحث الأول

العولمة وحوار الحضارات من منظور إسلامي

لم يعد موضوع حوار الحضارات أو العولمة جديدًا على الباحثين في الشرق والغرب، لكن الجديد الذي يحاول الباحثون في العالم الإسلامي[1] بسطه في مجال البحث هو نظرية تلاقح الحضارات أو بالتعبير القرآني (تعارف) الحضارات، انطلاقا مما جاء في القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ (الحجرات: ١٣)، ففي القرن الحادي والعشرين صار العالم كله مرئيًّا للجميع من خلال ثورة الاتصالات المسموعة والمرئية، ولم يعد النقد موجها لحضارة دون أخرى، كما أن الحضارة الغربية القائمة على التفوق المادي أخذت تنحر نفسها، بتعبير الشاعر محمد إقبال؛ نظرا لما وصلت إليه من تدهور اجتماعي؛ وهو ما جعل الغرب ينتبه بالضرورة إلى وجود حضارة أخرى تقوم على أسس أخلاقية جاذبة، أو وجود حضارات أخرى تقوم على نهضة تعليمية وصناعية كتلك التي يشهدها العالم في بعض بلدان آسيا، وهي حضارات لم تتبع نهج الحضارات الغربية القائم على التدمير ونفي الغير[2]، ويختلف هذا بالطبع عن التعايش السلمي للشعوب المختلفة في ظل الحضارة الإسلامية في فترات ازدهارها.

ومن هنا تأتي فكرة التعارف بين الحضارات، التي عبر عنها روجيه

١- ذكر المفكر الإسلامي زكي الميلاد الذي يحمل على عاتقه التعريف بهذه النظرية أن نظرية تعارف الحضارات ما زالت من الأفكار الجديدة، وقد تطرق إليها بعض الكتاب والأكاديميين من دول عربية مختلفة وفي منابر ومناسبات متعددة؛ فقد كتب عنها أساتذه مغاربيون، والأستاذ أحمد البغدادي بجامعة الكويت، والأستاذ تركي علي الربيعو من سوريا، والأستاذ عبد الواحد علواني من سوريا، والدكتور رسول محمد رسول من العراق، والدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، والدكتور سيف الدين عبد الفتاح، والدكتورة نادية مصطفي من مصر. انظر التفاصيل في مجلة الحج والعمرة، لقاء مع المفكر الإسلامي زكي الميلاد. ولمعرفة وجهة نظره انظر: الحركة الإسلامية والمنهج الحضاري، دار البيان العربي، ١٩٩٧م.

٢- كان قيام إسبانيا حصيلة حروب استمرت قرونا، ثم غزت أسبانيا القارة الأمريكية فقضت على ٩٠٪ من سكانها خلال قرن واحد، ثم تقوم إسبانيا وفرنسا وإنجلترا وهولندا بتنظيم تجارة العبيد، وتنقل ١٠٠ مليون إفريقي إلى القارة الجديدة. انظر: زكي الميلاد، الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٣٠ وما بعدها.

غارودي في كتابه (من أجل حوار بين الحضارات)[1] القائلة بوجوب التعلم من الحضارات الأخرى المعنى الحقيقي لعلاقة المشاركة الإنسانية، وبتعبير آخر: التعارف بين البشر، أو التعارف بين الأمم والحضارات.

والمفهوم القرآني، أي التعارف بين الحضارات، واضح من خلال نص الآية الكريمة سابقة الذكر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ التي تبدأ بتوجيه الخطاب إلى الناس، إلى الذكر والأنثى، والناس هو المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم للتعبير عن الجنس البشري، الناس جميعا، في مناطقهم الجغرافية من حيث كونهم شعوبا، وبأعراقهم وأجناسهم من حيث كونهم قبائل، وهذا هو تفسير قوله تعالى (شعوبا وقبائل)، فالقرآن يذكر أن الشعوب والقبائل مطالبة بالتعارف كمبدأ في العلاقات المحلية والدولية، الداخلية والخارجية، وهذا المبدأ يفيد في نفي النزاع والصراع والسيطرة والهيمنة بين الشعوب والقبائل[2]. ومن هنا فالتعارف ضرورة في ظل التنوع والتعدد الإنساني الذي يقرره القرآن الكريم في الآية السابقة، كما أن وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع بين الناس.

ومن هنا، فالتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات يستلزم بالضرورة حوارا، ولا يمكن للحوار أن يتم دون تعارف، والمفهوم القرآني «التعارف» يستلزم التواصل والانفتاح والتعاون والترابط والتبادل وغيرها.

لقد ورد في القرآن الكريم -كما أوضح نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام أيضا- أن ديانات أتباع الوحي المختلفة وكتبهم ومحتوياتها متشابهة في الأساس، وهي مختلفة فقط في لغاتها. وكما ذكر هربرت بوسه[3]، فإن

١- الطبعة الفرنسية ١٩٧٧م، والطبعة العربية ١٩٧٨م، ص ١٩٠ وما بعدها، نقلا عن زكي الميلاد.

٢- زكي الميلاد، ص ٢٣، مجلة الكلمة، الإنترنت.

٣- هربرت بوسه، أسس الحوار في القرآن، ترجمة أحمد محمد هريدي، مراجعة عمر صابر، المشروع القومي للترجمة.. المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٢٠٠٥م.

تطابق الكتب السماوية رغم اختلاف اللغات نابع من افتراض وجود نص سماوي أصلي يطلق عليه في القرآن الكريم (اللوح المحفوظ)[1]، وفي الوقت نفسه، يشير القرآن الكريم إلى انقسام البشر ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (المائدة: ٤٨)[2]، والقرآن يحث على احترام الطوائف المؤمنة، فهذه إرادة الله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨)، ويرى هربرت بوسه أن القرآن الكريم يشير إلى أن الله يريد أن يختبر عباده، وعلى المؤمن أن يدرك إرادة الله وحكمته، وحتى لو لم يدرك هذا، ففي هذا النطاق عليه أن يفعل الخير كما ترسم العقيدة، وينبغي له أن يسلك تجاه الديانات الأخرى مسلكًا سمحًا؛ لأن القرار النهائي فيمن يعتنق العقيدة الصحيحة هو لله يوم الحساب:

﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

ويقرر القرآن الكريم أيضا فكرة التعدد العرقي ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤). والإسلام تعامل مع أهل الكتاب منذ البداية على أنهم والمسلمين أمة واحدة، ودخل المجوس أيضا دائرة هذه الأمة، ثم جاءت مرحلة التسامح الكامل ليبقى حكم الله الذي أجله رب العباد إلى يوم القيامة[3]، على أن يعمل الناس معًا من أجل إعمار الأرض، والاستعداد ليوم الجزاء بالعمل الصالح، في ظل سلام يسود العالم عن طريق التعارف بين البشر لتحقيق الخير للجميع، من خلال الحوار لفهم ثقافة الآخر، مع الحفاظ على حقوق البشر دون تمييز، والاعتراف بواقع وجود الصدام بوجود عوامله المؤججة له، والعمل على الحد منه، بالتنافس من أجل خير البشرية وصلاحها.

١- وهو المصطلح الذي ورد ذكره في سورة البروج:٢٢.

٢- أسس الحوار في القرآن ص ٦٧.

٣- المصدر السابق ص ٦٩، المجلس الأعلى، سلسلة المشروع القومي للترجمة رقم ٩٠٦ عام ٢٠٠٥م.

حوار الحضارات والعولمة:

الحوار – كما الصراع– بين بني البشر وبين شعوب العالم قديم قدم التاريخ، وقد كان لبُعد المسافات وصعوبة وسائل المواصلات أثرها في الإبقاء على نوعية من الحوار بين الشعوب، التي يمكن أن نطلق عليها حوارات من أجل التعارف، وربما انقلب الأمر فيما بعد ليتحول إلى حوار من أجل السيطرة، وهو ما ينتج عنه في النهاية الصدام بين الشعوب. وفي القرن الواحد والعشرين ظهرت إفرازات القرن الماضي، تلك التي يمكن اختصارها في كلمة واحدة هي «العولمة» بجميع مفاهيمها الاقتصادية والسياسية والثقافية والعقائدية أيضا، ولما كان الحوار بشكله الطبيعي الهادف إلى التعارف قد تحول إلى حوار من طرف واحد بهدف فرض منهج معين على الغير أو على الآخر، فقد رأى البعض أن العولمة هي بالتالي إحدى صور الإمبريالية الجديدة، ونظرًا لتسارع الأحداث العالمية، فقد تغيرت تعريفات الحوار وتعريفات العولمة، بل رأى البعض أن مرحلة الحوار قد ولّت، وحلّت محلها مرحلة الصدام المتمثلة في فرض العولمة بالقوة، في ظل مسميات فضفاضة، مثل: نصرة الشعوب المقهورة، وتحقيق الديمقراطية، والقضاء على الديكتاتورية... وغيرها، مما سيظهر لاحقا في مصانع المفكرين الذين يصوغون للسياسيين المصطلحات التي تسهل عليهم تحقيق ما يريدون، بما يسمى القوة الناعمة أو السوفت باور Soft Power.

لقد عاشت دول العالم عبر التاريخ في شدّ وجذب من أجل السيطرة على مصادر الطبيعة وخيراتها، ومع التطور الذي طرأ على العالم، لم تعد الدول القوية –ممثلة في شركاتها العملاقة– تخفي رغبتها في السيطرة على موارد الثروة في البلاد التى نالت استقلالها في النصف الثاني من القرن الماضي، وكان لتطور الثورة المعلوماتية والتقنية وزيادة حركة التبادل التجاري بين دول العالم، وانفتاح العالم على بعضه من خلال توسع الشركات الكبرى أثره

في تخيل انتفاء الحدود وزوال الحواجز بين دول العالم، وظهور ما يسميه الياباني كين إيتشي أومائيه Kenichi Ohmae «عالم بلا حدود»؛ وهو ما أدى إلى القول بفكرة نهاية الجغرافيا لا نهاية التاريخ، ورغم أنه يركز على نجاح بعض الشركات في معاملة زبائنها حول العالم على حد سواء، فقد طور البعض هذا المصطلح ليشمل الحديث عن الحدود السياسية، والعرقية، والثقافية، والعلمية، والمعرفية فضلا عن الجغرافية، إلا أن هذه الأفكار أو التعريفات لا يتم تطبيقها بنوايا حسنة، أو بهدف خدمة البشرية، بل هي تتم من أجل تحقيق منفعة، كما تحمل أيضا نوعا من الهيمنة التي لا تنحصر في الهيمنة الاقتصادية فقط، بل تتعداها إلى مجال السياسة والفكر والثقافة مهما حاول منظرو العولمة إلباسها ثوبا شفافا من الرقة والوداعة والنزوع الإنساني الطامح إلى الوحدة الإنسانية والتآلف بين مختلف الأمم.

وإذا كان كين إيتشي أومائيه Kenichi Ohmae قد أشاد بنجاح شركة هوندا، في حديثه عن عالم بلا حدود، فيمكن القول إن الحوار المفتقد من قِبَل معظم الشركات في الوصول إلى أسواق العالم ومحاولة فرض ما لديها قد يأتي بنتيجة عكسية، فبينما حرصت الصين مثلا على إجراء حوارات مع المستهلكين في العالم الإسلامي لتوزيع منتجاتها مثل الأثواب في المملكة العربية السعودية، والمنتجات الإسلامية الاستهلاكية مثل سجاجيد الصلاة وفوانيس رمضان، فحققت نجاحا منقطع النظير، في الوقت ذاته فشلت الشركات اليابانية في تلبية حاجة المستهلك العربي من الأثواب، ومن هنا فإن الحوار بات أمرًا ضروريًّا لفتح الحدود، ولا أقول لإلغائها.

ومن الضروري هنا الإشارة إلى محاولة إكيو موريتا Ikyo Morita وشينتارو إيشيهارا Shintaro Ishihara في كتابهما (اليابان تستطيع أن تقول لا)[1]، حين أرادا التأكيد على أن اليابان يجب عليها ألا تنحني

١- وهي المحاولة التي ووجهت بالرفض لأسباب سياسية، فصدرت الطبعة الثانية خالية من اسم الأول، واضطر الثاني لمراجعة الكتاب وتنقيحه.

للضغوط الخارجية حتى في مجال تطوير الأسلحة، فهذا يؤكد بوضوح على أنه لا مجال هنا للحوار حتى بين صديقين إذا ما تعلق الأمر بسيطرة اقتصادية أو محاولة استرجاع حق من حقوق الأمة.

إن مصطلح التعارف الذي يتم عن طريق ما يسمى اليوم بالحوار هو المصطلح الأقرب إلى الواقع، وهو المصطلح الذي يعني بشكل أو بآخر الدعوة إلى العمل الصالح لجميع البشرية، ويمكن العودة إلى نموذج الدولة العربية الإسلامية الأولى، حين عاش الناس جميعا شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع والتحاقر، وهذا مغزى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..﴾ فالتعارف في الآية الكريمة يعني اللقاء على المودة والتراحم في أمن وسلام لا في حرب وخصام، ويعني الانتفاع بكل خيرات الأرض فلا يحتقر إقليم إقليما آخر؛ لأن ذلك يكون تناكرًا لا تعارفًا؛ إذ لاتعارف بغير احترام الحرية، ويعني التعارف في الآية أيضاً حماية العقيدة الدينية للمخالفين من أن يُعتدى عليها، والقاعدة الفقهية الإسلامية هي (وأُمرنا أن نتركهم وما يدينون).

ومن هنا، فالحوار يعني، بالمصطلح القرآني، التعارف، والتعارف شامل للحوار وللعولمة على حد سواء، فالقرآن، وفي إطار مفهوم التعارف، حث على الضرب في الأرض، فالأرض كلها للإنسان، لبني آدم، المستخلفين فيها، لعمارتها، والضرب في الأرض يعرف الإنسان بأخيه الإنسان، كما أن اللقاء بالآخرين في البلدان البعيدة يستروح روح الأخوة الشاملة، وهكذا يدعو القرآن إلى الهجرة طلبًا للرزق الحلال، والأخوة الإنسانية تفتح صدرها للكادحين والمجتهدين. والحقيقة أن التعارف، أي العولمة بالمفهوم المستخدم اليوم، يكون كاملا مع إزالة الحواجز الإقليمية في الأرض، لابالسيطرة أو إعادة ترسيم حدود الدول، كما أن التعارف بالمفهوم القرآني لا يكون إلا بالقضاء على التفرقة العنصرية، فلا تفرقة بالجنس ولابالعنصر باللغة،

والتفاضل يكون بالأعمال.

لقد انفتح المسلمون منذ البداية على غيرهم، وتعارفوا على الشعوب التي اختلطوا بها، واستفادوا من حضاراتهم، فتكونت لديهم خبرة واسعة في شتى المجالات، فصهروها في بوتقة الإسلام، وظهرت في صورة الحضارة الإسلامية التي شملت المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب، بل والصابئة (كما جاء في القرآن الكريم) والمجوس (كما ذكرالرسول ﷺ) وعبدة الأوثان (كما شرح القاضي عبد البر)، فإن الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فالأهم هو العمل الصالح لجميع البشرية.

ويلاحظ أن دعوة الإسلام دعوة عالمية الهدف والغاية والوسيلة، كما أن الخطاب القرآني يرتكز على توجيه رسالة عالمية للناس جميعا، وقد وُصف الخالق عز وجل بأنه «رب العالمين» وذُكر الرسول ﷺ مقترنًا بالناس والبشر جميعا، كما يلاحظ من ناحية أخرى أن حضارة الإسلام قامت على القاسم المشترك بين حضارات العالم، فتعرفت على الآخر، وقبلت به، وتفاعلت معه أخذًا وعطاءً، بل إن حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره من حقائق الكون وسننه، لذلك دعا الخطاب القرآني إلى اعتبار فوارق الجنس والدين واللغة من عوامل التعارف بين البشر، وعليه فالإسلام يوحد بين البشر جميعا رجالا ونساءً في جزئيات محددة: أصل الخلق، والنشأة، والكرامة الإنسانية، والحقوق الإنسانية العامة، ووحدة الألوهية، وحرية الاختيار، وعدم الإكراه، ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا.

وهكذا فالتعارف بين الناس، والتعارف بين الحضارات بالمفهوم القرآني، يختلف عن مفهوم العولمة المعاصر، فبينما يقوم المفهوم القرآني على رد العالمية لعالمية الجنس البشري والقيم المطلقة واحترام خصوصية الجنس البشري وتفرد الشعوب والثقافات المحلية، فإن العولمة المعاصرة ترتكز على عملية نفي واستبعاد ثقافات الأمم وحضارات الشعوب، ومحاولة فرض

ثقافة واحدة لدول تملك القوة المادية وتهدف عبر العولمي لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر[1].

وهكذا يمكن القول –كما ذكر حسن حنفي–: إن العولمة الحضارية هي السمة الغالبة على حضارة الإسلام منذ نشأته الأولى، فقد حول الإسلام العرب إلى قوة تاريخية صاعدة.. فرسالة الإسلام التوحيد، والتوحيد عولمة في تصور العالم (العالم قرية واحدة) والبشر جميعا بلا حدود يتساوون جميعا أمام الإله الواحد، ويتمثلون قيما إنسانية واحدة «كلكم لآدم وآدم من تراب»، و«لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح»، ومن هنا فالمسلم يؤمن بأن عدل الله لجميع عباد الله، مسلمين وغير مسلمين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ (المائدة: ٨)، وبهذا لا يتحيز المؤمن الحق لمن يحب، ولا يحيف على من يكره، بل يؤدي الحق لأهله، مسلما كان أم غير مسلم، صديقا كان أم عدوا[2].

وهكذا، ومن منطلق المفهوم الإسلامي، يمكن القول إن الحضارات الإنسانية تختلط ببعضها، وتتشكل الحضارات واحدة تلو الأخرى، وجميعها حضارات إنسانية، ولهذا وجب توسيع دائرة الحوار على جميع المستويات، فالحضارات وإن كانت تتميز عن بعضها إلا أنها ليست كيانات منفصلة، وإنما هي حضارات إنسانية متداخلة ومتكاملة تهم جميع الشعوب على اختلاف أجناسها ومعتقداتها، والإسلام لا يرى ضرورة إضفاء الطابع السياسي أو الصبغة السياسية على الحضارة؛ لأن إضفاء الصبغة السياسية على أي حضارة يتناقض كلية مع واقع التاريخ والأسس العلمية السليمة، فالحضارة هي الموجدة للسياسة، والقيم الحضارية هي التي تدفع الأمم إلى العمل

١– هموم العولمة، عمر عبد الكريم.

٢– القرضاوي، انظر: موضوع الحوار بين الإسلام والمسيحية.. مجالات مشتركة للتعاون الإسلامي المسيحي، في موقع الشيخ القرضاوي على شبكة الإنترنت.

بسياسات معينة، وهكذا يدعم المفهوم الإسلامي الوارد في القرآن الكريم هذا البعد الحضاري ليكون عامل تقريب بين شعوب الأرض، كما أنه ليس هناك تلازم بين التقدم العلمي والتكنولوجي في إنتاج الإنسان من جانب ومسمى الحضارة الإنسانية من جانب آخر، فقد يكون المجتمع المتقدم في البحوث والتكنولوجيا مجتمعًا حضاريا إذا كان إنتاجه في مجالات التقدم آنئذ ذا طابع أخلاقي؛ أي لا ينطوي على إساءة للبشرية، وباشرته إرادة حرة وهي الإرادة الخلقية[١].

الحوار والعولمة الاقتصادية:

إن حوار الحضارات الذي يسعى إليه البعض، للحد من نفوذ العولمة المتزايد، لا يتناول كثيرا البعد الأساسي للعولمة، وهو البعد الاقتصادي، رغم أن للعولمة أبعادًا أخرى تتعدى السياسة والأيدلوجية والثقافة إلى الفكر والأعراف والممارسات السلوكية والأنماط الثقافية وما شابه ذلك. ورغم الخطوات العديدة التي اتخذتها الدول الكبرى لدفع عجلة العولمة بالمفهوم الاقتصادي في ظل فكرة عالم بلا حدود، فلم تتحقق للشعوب بصفة عامة فوائد ملموسة، بل على العكس تعاني هذه الشعوب من عدم تكافؤ الوسائل، وعدم تساوي الأدوات، فضلا عن أن المزايا الممنوحة للشعوب غير عادلة، وهكذا نلاحظ أن الفقر لا يزال منتشرا، كما أن التدهور البيئي وصل إلى درجة لم يسبق لها مثيل[٢]؛ فالعولمة الاقتصادية القائمة على دعوى فرض حلول لمشاكل الآخرين الاقتصادية، وتحت دعوى إنشاء نظام اقتصادي واجتماعي جديد يعتمد على مبادئ سليمة من ناحية البيئة لضمان حقوق الإنسان وتلبية حاجات البشر، أمر لا يمكن تحقيقه، بل هو من أكبر التحديات التي يواجهها العالم لأنه يعالج قضية بقاء النوع الإنساني وبقاء

١- د. محمد البهي: الدين والدولة.. من توجيه القرآن الكريم، مكتبة وهبة ١٩٨٠م، القاهرة ط ٢، ص ٢٨.

٢- د. عبد القادر حاتم، العولمة ما لها وما عليها، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٢٤.

كوكب الأرض ذاته، ففي ظل فكرة العولمة الغربية صار العالم كله خاضعا لبرنامج تعديل هيكلي واحد، يتجاهل الاعتبارات الاجتماعية والبيئية والأخلاقية لصالح المكاسب التجارية[١].

وإذا كانت العولمة الحضارية هي السمة الغالبة على حضارة الإسلام منذ نشأته الأولى –كما يذكر الدكتور حسن حنفي– إلا أن العامل الاقتصادي كان واضحا على مستوى الإعداد لتلك العولمة الحضارية، وهي عولمة تقوم على تراكم الخبرات البشرية من الشرق إلى الغرب، وتقوم على علاقة القوي بالضعيف، والغني بالفقير، والسيد بالعبد، وصاحب رأس المال بالمستهلك، وهي ظاهرة اقتصادية أولا مثل طبيعة النظام الرأسمالي نفسه، ومن هنا تظهر أهمية الحوار للحد من المساوئ إن لم يمكن القضاء عليها نهائيا.

فرسالة الإسلام تعني التوحيد، والتوحيد عولمة في تصور العالم، والبشر جميعا بلا حدود يتساوون جميعا أمام الإله الواحد، ويتمثلون قيما إنسانية، والبشر خلقوا من نفس واحدة ومعادهم معاد واحد، والاستحقاق طبقا للأعمال، وإذا حدث تفاوت في الدُّخول بين الغني والفقير يبدأ التكافل الاجتماعي لتحقيق وحدة المجتمع.. إلا أن الوحدة الشاملة لا تلغي التعددية، فالوحدة لا تنفي التنوع، والتنوع تناغم يؤدي إلى الوحدة: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..﴾ فالاختلاف سنة الكون، والملل والنحل كثرة داخل الوحدة كما عبر عن ذلك دستور المدينة المنورة: اليهود والنصارى والصابئة والبراهمة والحنفية والمجوس (وأضاف القاضي عبد البر عبدة الأوثان) كل منها أمة لها كيانها المتسق ولغتها وأعرافها وعقائدها وشرائعها داخل الأمة الواحدة[٢].

وهكذا يلاحظ أنه لا علاقة للعولمة المتحققة اليوم بالحضارة، فهي عولمة

١– حاتم، ص ٨٢، نقلا عن آثار العولمة على اليابان.

٢– حسن حنفي، الإسلام والعولمة.. سلسلة مقالات، جريدة الزمان، يونيو٢٠٠٢م، العدد ١٢٤١ وما بعده.

اقتصادية تقوم على تراكم الخبرات من الشرق إلى الغرب، وعلى تمييز دفين يقوم على تفضيل الأبيض على الأسود والأسمر والأصفر، وهي تتأسس على علاقة القوي بالضعيف، والغني بالفقير، والسيد بالعبد، وصاحب رأس المال بالمستهلك كما ذكرنا من قبل، فهي ظاهرة اقتصادية ارتبطت بالسياسة التي تعمل على إسقاط السيادة الوطنية للدول القومية، ومناهضة أي تجمع إقليمي. ويرى حسن حنفي أن العالم شهد محاولة للعولمة الاقتصادية من خلال أوربا، وكانت عولمة باسم الدين المسيحي أحيانا، حين الْتفَّت أوربا على إفريقيا وآسيا، وحين حاولت فرنسا تصدير الثورة الفرنسية وتحويلها إلى استعمار جديد باسم الجمهورية العالمية، ثم كان الاستعمار الحديث سعيا لإقامة عولمة من نوع ما.

وكما يذكر إيكيهارد شولتس[1]، فإن الصراع القائم فعلاً حاليًّا، والذي نشهد تطوره كل يوم، هو، في جوهره ليس صراع حضارات أو أديان أو ما شاكل ذل،ك بل هو في آخر المطاف صراع المصالح الاقتصادية والاستراتيجية، وصراع السيطرة على منابع البترول، فمصادر البترول التي كان يعتمد عليها الغرب لم تعد مضمونة، والبحوث العلمية الخاصة بإيجاد مصادر بديلة ومتجددة للطاقة ما زالت في بداية الطريق، والتوصل إلى نتائج إيجابية في هذا الصدد ذات جدوى اقتصادية قد يستغرق عقودًا، كما أن مصادر البترول في الشرق الأوسط أصبحت غير مأمونة الجانب سياسيًّا، وبما أن البترول يشكل شريان الحياة بالنسبة للغرب كان لا بد له إذن من التحرك لضمان مصادر بترولية آمنة يُعتمد عليها حتى لو اقتضى الأمر شن الحروب و تجريد الشعوب من ثرواتها.

وإذا ما عدنا إلى المفهوم الإسلامي، فإن ما يُنَادى به اليوم من تعاون اقتصادي يعني أن يفيض كل إقليم على الآخر بالزائد عن حاجته من الطعام، وما يحتاج إليه الإنسان في أي مكان، ومن التعاون أيضا أن يفيض

١- إيكيهارد شولتس، حوار الحضارات مصالحة أم مصالح؟

كل إقليم مما عنده من أغلى الثروات وهي القوى الإنسانية العاملة. وفي المفهوم القرآني لا يقف التعاون على المسلمين بل يتجاوزه إلى غير المسلمين، فالرسول ﷺ عقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون على الخير وحماية الفضيلة، ودفع الأذى وحماية المدينة من كل اعتداء ودفع الظلم، وأكد الرسول ﷺ ذلك بالمواثيق لإقامة الحق المجرد، فهو يشبه ما يسمى اليوم بالتعايش السلمي، لكنه كان أبلغ لأنه لا يكتفي فيه بدفع الشر، بل الاتجاه فيه إلى جلب الخير، والقرآن يقول: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨). ودعوة القرآن الإنسان إلى الضرب في أرض الله الواسعة هو اليوم الوسيلة لحل مشكلة من أكبر مشاكل القرن الواحد والعشرين، وهي الاختلالات السكانية المتنامية في العالم بين تراجع معدلات السكان في الدول الغنية، وبين انفجارها في الدول الفقيرة، وهذا أمر يحتاج إلى الحوار والسعي إلى التفاهم، فلا سبيل لبني البشر سوى الحوار والتفاهم، فهو ضرورة وحتمية لا اختيارا يملك هذا الطرف أو ذاك الأخذ به أو نبذه[١]، وهكذا فالعامل الاقتصادي من العوامل المهمة التي تدفع إلى الحوار والتعاون، فوسائل التجارة الحديثة والتخصص وسهولة انتقال السلع بين الأسواق جعلت كل الأقطار بحاجة إلى بعضها والاعتماد على بعضها، والحوار هنا يكون لتحقيق أكبر قدر من العدالة، وليست العدالة المطلقة، مراعاةً للاختلاف والتمايز في العادات والتقاليد والثقافات التي جعلها الله طبيعة في البشر، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢).

بالإضافة إلى القوى البشرية، يدعو القرآن الكريم إلى ضرورة التعاون في توزيع الرزق الذي وهبه الله للبشر، ومن هنا تبدو الاختلافات جلية

١- الإسلام والآخر، أحمد الجهيني ومحمد مصطفى، ص ٢٢٣.

بين عالمية الإسلام ومفهوم العولمة، فالعولمة اقتصاديا تهدف إلى تحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر، والبشر أو الناس هم موضوع الخطاب القرآني دائما، وهو خطاب يهدف إلى المساواة بينهم، والقضاء على نزعات العنصرية والاستعلاء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١). والرزق للبشر جميعا هو من عند الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الاسراء: ٧٠) والتمايز الاقتصادي، مثله مثل أي جانب في الحياة أمر، أقره الإسلام في حديثه عن الرزق وعن الأغنياء والفقراء وحدد طريقة تحقيق التكافل الاجتماعي، والإسلام يدعو إلى التعاون مع الآخر لتحقيق نفع البشرية كلها في إطار القيم المشتركة ضمن قاعدة (استباق الخيرات) يقول تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ﴾ (المائدة: ٤٨) فتعاليم القرآن واضحة، تراعي ما في الأشياء من مصالح فتبقيها، ومن مضار فتنهي عنها، والصراع الذي يدور اليوم هو صراع من أجل السيطرة الاقتصادية، وهو مرفوض في الإسلام الذي يعترف بالتنافس من أجل الخير للجميع وليس الإضرار بالآخر، ويعبر عنه القرآن بالدفع:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فالقرآن يقرر سنة من سنن الحياة، وقد أطلق عليها العلماء مصطلح «الديالكتيك» أو الصراع الذي يتضمن، ربما بالإضافة للأفكار، صراعات واقعية، فالمصلحة تحرك المتضرر منها، ومن هنا يبقى التدافع حتى لاتصاب كائنات الأرض من مخلوقات الله بما فيها البشر بالركود والجمود، ويحدد الإسلام ملامح هذا التدافع أو الصراع وضبطه عن طريق الواجبات الأخلاقية.

وقد فسر بعض الغربيين هذه الفكرة بأن الحروب تقوم من أجل السلام مثلما ذكر كارل بوبر في لقاء مع مجلة دير شبيغل، لكنه هنا لا يقول بالتدافع من أجل الخير لكن من أجل سيطرة القوى العظمى[١].

الحوار في مواجهة العولمة الثقافية:

إن فرض العولمة الثقافية يعني فرض ثقافة معينة على جميع البشر، وهو أمر يتعارض مع طبائع البشر، ومن هنا يحرص القرآن على توجيه خطابه للناس جميعا، ورسم منهج أخلاقي لقانون أخلاقي يأتي بسلام بين البشر دون اعتداء أو عدوان، ونداء القرآن لأهل الكتاب: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (آل عمران: ٦٤) هو نداء يعني، بمفهوم العصر، الحوار والتفاهم في ظل مبادئ أخلاقية وإنسانية، وهذا النداء يعني أيضا المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات بصرف النظر عن اختلاف الدين، ففرض الدين على الناس مرفوض: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، و﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ (البقرة: ١١٥)، وبالتالي فإن فرض الثقافة أمر مرفوض، وتنوعها مرغوب إذا ما كانت تحترم مبادئ البشرية وتمضي على نهج الأخلاق الكريمة، لا ثقافة العنف والجريمة والجنس وثقافة الاستهلاك وقيم البذخ والغنى والترف[٢].

لقد احترمت الثقافة العربية الإسلامية ثقافات الشعوب المفتوحة اليونانية والرومانية غربا والفارسية والهندية شرقا.. وأسهمت الدولة نفسها في ذلك فكان التعرف على ثقافات الشعوب المفتوحة وترجمة أعمالها مشروع الدولة والأمة معا، فالإسلام لا يرفض المعرفة، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها

١- عزت السيد أحمد انهيار، مزاعم العولمة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عام ٢٠٠٠م. وأنظر: انهيار أسطورة السلام، مكتبة دار الفتح، دمشق ١٩٩٥م. و كيف ستواجه أمريكا العالم.

٢- انظر حسن حنفي: الإسلام والعولمة.. سلسلة مقالات، جريدة الزمان، العدد ١٢٤١ وما بعده.

من أي مكان، بل ويسعى إليها حتى لو كانت في آخر العالم، والتاريخ يشهد على ذلك[١].

إن دوائر متنفذة في الحضارة المعاصرة تحرص على طمس ملامح ثقافة الشعوب الأخرى تحت مسمى العولمة، دون الميل إلى الحوار، ودون اعتبار لتلاقح الحضارات من أجل خير البشرية، وهي، بهذا، تروج لمفاهيم مثل المجتمع المدني والأقليات، وحقوق الإنسان، والمرأة، وصراع الحضارات، وما بعد الحداثة وغيرها بهدف الوصول إلى فرض ثقافتها التي تتعارض مع ثقافة الآخرين ومثلهم، ومن منطلق المفهوم الغربي للعولمة التي تتغلب فيه نوازع الاستئثار والهيمنة، تكون النتيجة الحتمية تدمير الثقافات؛ لأن الهدف هو إلغاء الآخر بفرض التجانس عليه، وهذا ما يشاهد الآن من خلال ما تبثه القنوات الفضائية فهي تمارس ما يشبه العدوان الممنهج على ثقافات الشعوب وقيمها وخصوصياتها وإبداعات تراثها، فيكون على البلدان جميعا أن تقرأ الكتاب الواحد، وأن تلبس الرداء الواحد، وأن يصاغ لها فكرها ونمط حياتها[٢].

وهذا ما جعل روثكوبوف يقرر أفضلية الحضارة الأمريكية على غيرها[٣] في نوع من التحيز، ويحذر من الأفكار التي ينادي بها «لي كوان يوي» رئيس

١- ومن هنا ترجمت كتب أرسطو التي تقوم على العقل المتفق مع الشرع، فأسس المأمون ديوان الحكمة، وعين حنين بن إسحاق رئيسا له، وأسهم النصارى العرب في حركة النقل والترجمة، فالمترجمون كانوا عربا نصارى دينا، ومسلمين ثقافة، كان ولاؤهم للثقافة العربية؛ فكانوا يطوعون النص اليوناني المترجم إلى ثقافة المتلقي وتصوراته للعالم، فالآلهة جمعا تترجم إلى إله بالمفرد، والملائكة جمعا، والناموس يترجم الشريعة. انظر: حسن حنفي، جريدة الزمان، عدد ١٢٤٤، ٢٦ يونيو ٢٠٠٢م. دون أن نغفل التأثيرات السلبية لتلك الترجمات على اهتمامات مفكري الإسلام وآرائهم ومذاهبهم مما أفاض في نقده علماء الإسلام أمثال ابن تيمية وغيره.

٢- ميشيل أده: مستقبلنا العربي وتحديات العولمة، ص ١٤ وما بعدها، نقلا عن د/ عزت السيد أحمد انهيار: مزاعم العولمة.. قراءة في تواصل الحضارات وصراعها، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق عام ٢٠٠٠م.

٣- المصدر السابق: ص ٢٩.

وزراء سنغافورة أو «مهاتير محمد» رئيس وزراء ماليزيا، تلك الأفكار التي تقول بوجود «طرف أسيوي»[١].

ومن المعروف أن صامويل هانتنغتون قد أثار هذه الإشكالية في إثارته للسؤال القائل: هل يتعين على المجتمعات غير الغربية أن تتخلى عن ثقافتها وتتبنى عناصر الثقافة الغربية الجوهرية إن أرادت أن تتحدث وتتطور؟![٢] وبالتالي فإن مفهوم الحوار بين الحضارات والثقافات هنا هو الخضوع للآخر لا الحوار معه، وهذا يتنافى مع ما يدعو إليه القرآن الكريم من ضروة التعارف بين الحضارات والثقافات، وهو ما يطلق عليه التلاقح الثقافي عن طريق الحوار، وأن تأخذ كل ثقافة ما يصلح لها من ثقافة الآخر، وتحافظ على ثقافتها، وتعترف بثقافة الآخر في نفس الوقت: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، والأمثلة التاريخية على التلاقح الثقافي كثيرة عبر التاريخ الذي شهد صعود الأمم وانحطاطها[٣]، فهناك أمة صعدت وكانت سمحة مع الأمة التي انحطت، وهناك أمة تخلفت وتخاذلت بحق نفسها، بينما هناك أمم انهزمت وكادت أن تتخلف لكنها لم تقصر في سعيها، فأعادت سيرتها الأولى، وهكذا دورة التاريخ، لأن العولمة بالمفهوم الغربي لا تستطيع أن تمحو الثقافات جميعها لصالح ثقافة عولمية واحدة. وهذا ما يلمح إليه صامويل هانتنغتون في صدام الحضارات[٤]؛ إذ الثقافة تمثل في قسمها الأكبر، مقومات جوهرية من العسير تغييرها إن لم يكن ذلك مستحيلا، وهذا شأن الثقافة الإسلامية التي ترتبط ارتباطا جوهريا بالدين وبالقرآن وتعاليمه، وقد تعرضت البلدان الإسلامية لاحتلال الغرب لمئات السنوات لكنها خرجت من أزمتها، وظلت محافظة على ثقافتها بعد أن أشربتها روح العصر، واستفادت من الثقافات الأخرى وعلى رأسها ثقافة المحتل نفسه،

١- المصدر السابق: ص ٣٦.

٢- صامويل هانتغتون: الغرب.. إنه فريد ولكنه ليس كليا جامعا، ص ٦١.

٣- صامويل هانتغتون: المصدر السابق، ص ٦١.

٤- الصفحات الأولى من كتاب صدام الحضارات.

ويلاحظ هذا في الصحوة الإسلامية عبر السنوات الماضية، وإن كان البعض قد حاد عن الطريق لأسباب عدة، فالثقافة مرتبطة بجذور تاريخية عميقة يجعل تهديدها تهديدا للدين وللسلف وتهديدا لجوهر الهوية[١].

إن مفهوم التعارف أي تعارف الثقافات في: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ يجد قبولا لدى كثير من المفكرين الذين يرون أن العولمة يجب أن تشكل نظاما متشابكا لعوالم متصلة أي مترابطة فيما بينها، وبالتالي فإن العولمة الثقافية لا تنتج عولمة عالمية، ولكنها تنتج عالما تختلط فيه الثقافات وتتعايش أو تتنافس لا تتصارع، والثقافة هنا لا تعني الزي والطعام والشراب لكنها تعني أسلوب الفكر، وما ينتج عنه من سلوك، وهذا ما يسعى إليه الغرب، ويجد صعوبة في تحقيق السيطرة الفكرية على العالم كله نظرا لاعتزاز الجميع بثقافته، والثقافة تفوق في أهميتها كل أنواع الأسلحة، والسيطرة على الوسائط والأدوات لا تعني السيطرة على الثقافة. والأمر بالنسبة للعالم الإسلامي مهم جدا؛ لأن أفراده يحملون ثقافة لا تنفصل عن الفكر العقدي والديني والاجتماعي، والأفراد يمثلون السياج الحقيقي الواقي من هجمات العولمة الثقافية، بمفهوم إلغاء ثقافة الآخر، نظرا لأن هؤلاء الأفراد يحافظون تماما على إرثهم الثقافي والحضاري والاجتماعي من خلال تمسكهم بعقيدتهم ودينهم. وهذا ما أكده هانتنغتون حين ذكر بأن اعتقاد الكثيرين في الغرب بأن العالم يسير نحو ثقافة عالمية موحدة هي ثقافة غربية أساسا إنما هو اعتقاد متغطرس زائف خطر؛ فانتشار السلع لا يعني انتشار الثقافة[٢].

والخلاصة أن العولمة الثقافية بمفهومها الغربي لا يمكن أن تقف ضد الدين الذي هو بحد ذاته عامل فكري وثقافي وسياسي واجتماعي وأخلاقي، يتمحور حوله أبناؤه ويتلاقون عنده، وهذا ما هدى المفكرين إلى القول

١- كما يذكر دافيد روثكوبف في كتابه: في مديح الإمبريالية الثقافية، ص ٢٧، نقلا عن عزت.

٢- صدام الحضارات: ص ٢٠ وما بعدها.

بأنه لا يوجد ارتباط بين الإسلام والعولمة.. فالدول تتغير وتزول ويبقى من الإسلام ثقافته ورؤيته وقيمه، والعولمة تأتي وتذهب كما أتت كل أشكال الهيمنة وذهبت[1].

الحوار في سبيل الحفاظ على حقوق الإنسان:

ارتبط تاريخ حقوق الإنسان بفكرة عالمية هذه الحقوق، فأعضاء الأمم المتحدة يلتزمون بمبدأ العالمية في الميثاق، وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن مفهوم حقوق الإنسان جزء من الإنسانية، وهنا يجب القول إن عالمية حقوق الإنسان لا تتعارض مع التنوع الثقافي، ووجود الواجبات لا ينفي المبدأ، ولهذا يقرر المسلمون في مؤتمرات حقوق الإنسان ويؤكدون أن الحريات العالمية جزء أصيل من العقيدة الإسلامية، وليس لأحد انتهاك هذه الحقوق أو تجاهلها، فلقد وردت في القرآن الكريم، وقدمها للعالم خاتم المرسلين محمد ﷺ، والأمة مسؤولة عن حمايتها، وعلماء الأمة يشعرون بأن هناك حاجة ماسة إلى تقنين أوضح وأكثر تحديدا للتعامل الإيجابي مع انتهاك حقوق الإنسان في ظل ما يشهده العالم من أحداث وتطورات في السنوات الماضية[2].

الإسلام –كما ورد في القرآن الكريم– هو خاتم الأديان جاء به خاتم الأنبياء، وهو شامل لعلوم عدة نقلية وعقلية، كما أن الإسلام ليس دينا فقط بل هو علوم وحضارة، وهو تاريخ عمران وسكان ودول وفتوحات[3]، والإسلام بشموليته هذه لا يقول بالعولمة بمفهومها المعروف بل هو يدعو إلى التعارف والحوار، وحقوق الإنسان تنال نصيبا كبيرا من تعاليم الإسلام

١- حسن حنفي، جريدة الزمان، عدد ١٢٤٤، ٢٦ يونيو ٢٠٠٢م.

٢- عبد القادر حاتم، مصدر سابق، ص ١٥٩. ويمكن الرجوع أيضا إلى كتاب حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، محمد علي التسخيري، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، قم، ١٩٩٧م، صدر في ثلاث طبعات بالعربية والإنجليزية والفارسية.

٣- حسن حنفي: جريدة الزمان، الاسلام والعولمة سلسلة مقالات، المقال رقم ١ ٢٢، يونيو ٢٠٠٢م.

وخطابه للبشر جميعا وليس للمسلمين فقط، وعبارة حقوق الإنسان صارت سلعة يتباهى بها من ينتجها منذ الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان في نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م أو الإعلان العالمي لحقوق الشعوب عام ١٩٧١م في الجزائر، ويلاحظ أن هذه الإعلانات تركز على حقوق الجماعة، دون الاهتمام بحق الإنسان الفرد، ومن هنا فحوار الإسلام يختلف تماما عن حوار العولمة أو فرض العولمة وبخاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، فالمرأة مثلا في الإسلام لها حقوقها وعليها واجباتها، وكذلك الرجل، فهناك قواعد محددة للطلاق والميراث وما إلى ذلك، والعولمة تعمل على إلغاء كل هذا تحت دعوى المساواة بين الجنسين، بينما الإسلام يدعو إلى أن يطبق كل أصحاب دين قواعدهم وأصولهم داخل معاملاتهم العائلية (أي الأحوال الشخصية) سواء أكانوا من أهل الكتاب: يهودا أو نصارى، أم كانوا من غير هؤلاء، فالإسلام يعترف بالرسل، والقرآن ورد فيه من الآيات عن المسيح مالم يذكر في كثير من الأناجيل، وأكثر من ذلك، فالإسلام يعتبر البشرية كلها أسرة واحدة تشترك في العبودية لله والنبوة لآدم، وهذا ما أوضحه الرسول ﷺ أمام جموع المسلمين في حجة الوداع: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى». رواه أحمد في مسنده.

وفيما يتعلق بحقوق غير المسلمين، فقد أوضح القرآن الكريم هذا القانون البين: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة: ٨- ٩) وهذا في شأن المشركين، لكن الإسلام أفرد أهل الكتاب بمعاملة خاصة حتى أجاز مصاهرتهم والزواج من نسائهم، ومعنى هذا أنه أجاز للمسلم أن تكون زوجته وشريكة حياته وأم أولاده كتابية (مسيحية أو يهودية)، ومقتضى هذا أن يكون أهلها أصهاره وهم

كذلك أجداد أولاده وجداتهم وأخوالهم وخالاتهم وأولاد أخوالهم وخالاتهم، وهؤلاء لهم حقوق أولي الأرحام وذوي القربى.

ومن هنا يؤكد القرآن حفظ حقوق الناس، في إطار حوار بنّاء، نظرا لوجود قواسم مشتركة بين البشر وبين أهل الكتاب بصفة خاصة فهو القائل: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وهذا يعطي الإسلام صفة العالمية، فكثير من الشعوب والدول أخذت بمبادئ الإسلام مثل: لا إكراه في الدين، والشورى، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والتسامح، وما يتعلق بحقوق الإنسان، فالإسلام يحمي المستضعفين، ومن هنا كانت الدعوة المستمرة إلى التعارف والحوار، فالحوار للحفاظ على حقوق الإنسان من شأنه مواجهة أعداء الإنسان من الملحدين وأدعياء الإباحية في السلوك، ودعاة العري والتحلل الجنسي، والإجهاض، والشذوذ الجنسي، وزواج المثليين، وسفك الدماء، واستباحة الأموال وغيرها.

والحوار فيما يتعلق بحقوق الإنسان يعني الاعتراف باختلاف البشر في أديانهم وشرائعهم، وهذه مشيئة الله وحكمته، فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) أي خلقهم ليختلفوا ما دام قد منحهم الحرية والعقل والإرادة.

فالإسلام يحترم ويقدر كرامة الإنسان من حيث كونه إنسانا، وقد روى البخاري أن النبي ﷺ مروا عليه بجنازة فقام لها، فقالوا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: أليست نفسا ؟! وهذا دليل على احترام الإسلام للإنسان مهما اختلفت ديانته أو عرقه أو جنسه، فالمسلم الحق لا يتحيز لمن

يحب ولا يحيف على من يكره، بل يؤدي الحق لأهله مسلما أو غير مسلم صديقا أم عدوا، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾ (المائدة: ٣٢)[١].

وهكذا فالمفهوم القرآني يوضح أنه حتى الدولة الإسلامية ليست دولة الثيوقراطية التي يحكمها الله، أو الثيوقراطية التي يحكمها رجال الدين باسم الله، بل هي الدولة التي تكفل المصالح العامة لجميع القاطنين فيها بصرف النظر عن أصولهم العرقية والطائفية واللغوية والثقافية، وهكذا فالدولة الإسلامية دولة تعددية تقوم على حق الاختلاف في العقيدة والمذهب والرأي واللسان، وهذا ليس حلما بل حدث كثيرا في تاريخ الإسلام، وأقرب مثال له ما حصل في الأندلس[٢].

ومن هنا يخاطب الإسلام من يعيشون في الدولة خطابا واضحا: (يا أيها الناس أو يا أيها الذين آمنوا) دون تحديد لمضمون الإيمان القلبي بل بتحققاتها الخارجية في العمل الصالح (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، فللناس عامة خصائص طبيعية واحدة، هي طبيعة الإنسان، وإن تفاوتوا فيما بعد في نمو هذه الخصائص وتطورها في ظل التأثر باختلاف ظروف البيئة والعوامل الوراثية والجغرافية، وما بين الأفراد من اختلاف أو فروق في نمو الخصائص البشرية وتطورها يجب أن يكون سببا للتضامن والتعاون بينهم وليس طريقا إلى التخاصم والتنابذ؛ لأن الاختلاف في مدى تطور خصائص الطبيعة البشرية لدى الأفراد من شأنه أن يولد فيما بينهم حاجة

١- الشيخ القرضاوي: الحوار بين الإسلام والمسيحية مجالات مشتركة للتعاون الإسلامي المسيحي، في موقع الشيخ القرضاوي على شبكة الإنترنت.

٢- ليس الدين مهنة وحرفة في الإسلام تمارسها مجموعة خاصة من المؤمنين.. وإذا كان الحكم في المجتمع الإسلامي بكتاب الله فتطبيق كتاب الله من المؤمنين ومن الذين يطبقونه من الولاة يخضع للتخطئة والتصويب، ولذا وجبت الشورى في الأمة الإسلامية بين الحاكم والمحكومين جميعا وليست هاك عصمة في تطبيق كتاب الله بل تطبيقه يخضع للمراجعة كما خضع من قبل لتبادل الرأي فيه.. محمد البهي، ص٤٣٩.

بعضهم إلى بعض، والحاجة تؤدى –على أكمل وجه– عند تعارف الأفراد وتعاونهم وليس عند تخاصمهم وتنابذهم، وإذ يسوي الإسلام بين الناس في الاعتبار البشري فإنه يضعهم مرة أخرى أمام مسؤولياتهم الفردية ويؤكد لهم أن: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ (فصلت: ٤٦) ويكون الحساب طبقا لقانون الاستحقاق لا فرق بين مسلم وغير مسلم: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧–٨)[1].

والمسلم إذا عاش في دولة غير مسلمة وجب عليه طاعة قوانينها والالتزام بأوامرها، فطاعة حاكم كافر عادل خير عند الله من طاعة مسلم ظالم، ولا يجوز للأقليات المسلمة أن تكون جماعات منعزلة داخل تلك الدولة، ولا يجوز لها أن تهدد وحدة الأوطان، أو تدعو لانفصالها، ومن هنا يمكن تحقيق نوع من الأخلاقيات العالمية المتأصلة في الإنسانية المشتركة والقيم التي تشترك فيها ديانات البشر، مثل تجنب إلحاق الأذى بالآخرين، والعطف والمحبة والتسامح، فضلا عن حقوق الإنسان المتفق عليها مثل: الإقرار بالمساواة والكرامة والقيمة الإنسانية والاحترام المتبادل والتسامح والعدالة، وبالتالي يصل العالم عن طريق الحوار لا الصدام إلى حفظ الحقوق الإنسانية وصيانتها، فمفهوم التعارف الإسلامي أو العولمة بالمفهوم الحالي هو مفهوم يحرر العولمة من هياكلها الغربية الضيقة، ويعطيها، بدلا من ذلك، بُعدًا روحيا وأخلاقيا، ففكرة العولمة الإسلامية عن طريق التعارف ليست عملية استيعاب أو احتواء بل حركة مسؤولة تتجه نحو الإقرار بما يوحد الإنسانية من حيث اهتماماتنا كبشر، ومن ثم يسمح للإنسانية باستنباط أساليب وقواعد وقوانين في سبيل الصالح العام الأكبر. وما قدمه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من بنود يمكن أن نجد أصداء لها في صياغات مبكرة في الإسلام مثل إعلان النبي محمد ﷺ عن المساواة، واستنكاره للتقسيمات

١– محمد البهي: مصدر سابق، ص ٤٠٠.

القائمة على فكرة الأعراق أو الأجناس[1].

ومن الجدير بالذكر أن منظومة القيم التي يقرها الإسلام تسري على غير المسلم كما تسري على المسلم، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء: ٥٨) فالأمانة يجب أن تؤدى لصاحبها مسلما كان أم غير مسلم، كما أن العدل هو الذي يجب إعلاؤه سواء أكان الخصم مسلما أم غير مسلم. حماية المستجير هي حق من حقوق الإنسان والإسلام يحض على إجارة المستجير المسلم وغير المسلم، وعلى عدم الاعتداء، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ (النحل: ٩٠).

أما فيما يتعلق بالعدل الأخروي فالإسلام يتعامل مع غير المسلم بصفته الإنسانية، ويترك أمره لله خالق البشر جميعا الذي يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (الحج: ١٧) فالله هو الذي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الحقوق التي أقرها الإسلام للإنسان المسلم وغير المسلم ليست مجرد حقوق من حق الفرد أو الجماعة أن يتنازل عنها أو عن بعضها، وإنما هي ضروريات إنسانية والحفاظ عليها واجب أيضا يأثم الانسان إذا فرط فيها[2].

١- انظر: الأمير الحسن بن طلال، ورقة قدمت أمام مؤتمر المشاهير بدبلن أيرلندا، ٣٠ - ٣١ مايو ٢٠٠١م باللغة الإنجليزية.

٢- أحمد الجهيني ومحمد مصطفى، الإسلام والآخر، ص ٢١ - ٢٢.

لقد أقر الإسلام مبدأ المساواة في الاعتبار البشري بين الناس جميعا، ومن هنا جاء طابع الدولة في الإسلام طابعا إنسانيا وعالميا؛ أي لا يقوم على اتباع تقاليد أو أعراف معينة، ولا على رعاية لما يدعى من مميزات عنصر على عنصر، ولا على ضمان حقوق خاصة لمجموعة بعينها من الناس كمجموعة الأشراف أو النبلاء أو كمجموعة أرباب العمل في شئون المال والصناعة أو كمجموعة أصحاب الأجور من العمال، فالحضارة الإسلامية سَمَتْ فوق القومية التي تدعو إلى التكتل على أساس روابط العنصر أو العرق؛ فهي حضارة إنسانية وعالمية تستهدف فقط الاعتبار الإنساني، وهو الاعتبار الذي تحدده رسالة الله وترسم معالمه ولا يتميز فيه فرد عن فرد[1].

والعولمة، بمفهوم القرآن أو بمفهوم الإسلام في تحديدها لحقوق الآخر أو المبادئ والقواعد التي حددها الإسلام، تُفهم من خلال ما حدده القرآن الكريم والسنة النبوية مع التدقيق أيضا في الاجتهاد، فما كان يصلح بالأمس في ظل ظروف معينة يجب إعادة النظر فيه في ظل الظروف الراهنة، مع النظر إلى ما ورد من ثوابت في القرآن الكريم، فالخطاب الإلهي لم يوجه للمسلمين فقط بل للبشرية جميعها ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ (الحجرات: ١٣)، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ..... ﴾ (النساء: ١). وما ورد في حجة الوداع مما سبق ذكره، والقرآن لا يفرق بين نفس مؤمنة ونفس غير مؤمنة، فالنفس مكرَّمة بما وضعه الله فيها من أسرار، سواء أكانت مؤمنة أم كافرة، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢).

وكان كل هذا نتيجة إيمان المسلمين بما ورد

١- البهي: مصدر سابق، ص ٤٠١.

القرآن، فمن حكمة الله الاختلاف والتنوع بين البشر وهي سنة إلهية حتى تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (النحل: ٩٣)، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس: ٩٩). والعولمة بالمفهوم القرآني لا تقضي بوجود حكومة موحدة في العالم، ولكنها تقضي فقط بأن يكون المجتمع الإسلامي في أي مكان وفي أي وقت مفتوحا للناس جميعا، وأن يكون نظام حكمه إنسانيا فوق كل الفوارق والحواجز[1].

مفهوم الصدام في القرآن:

يقول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢١٣). فالقرآن هنا يقرر حقيقة اختلاف البشر رغم كونهم كانوا أمة واحدة، فاختلافهم جاء لحكمة إلهية، ثم الصدام أيضا جاء لحكمة إلهية، وهو يعني التنافس حتى لا يصاب العالم بالسكون، وهو تنافس من أجل الخير، ومن أجل الأطيب والأحسن، فهناك تنافس من أجل السيطرة، وهناك صدام قد ينشأ من المتضرر من أجل دفع أذى أو من أجل الدفاع عن مصلحة ما وتحقيق العدالة، وقد يكون التنافس من أجل الخير المطلق، بينما قد يكون من أجل الكسب على حساب الآخرين.

ومن هنا، فإذا اختلفت المصالح، فقد يلجأ القوي إلى الصراع مع الآخرين من أجل السيطرة، ولذلك فإن دفع الله الناس بعضهم لبعض هو من أجل الرقي والتقدم، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١) فلولا هذا الدفع لفسدت الأرض، فالتدافع بين الجماعات البشرية سنة من سنن

١- محمد البهي: ص ٤٠٢.

الحياة، ولولا ذلك لصارت الحياة راكدة، فركود الماء هو سبب فساده، أما حركته وجريانه فسبب نقائه وعذوبته واستمرار صلاحه[1]، وقد فسر المفكر الألماني هيغل (١٧٧٠م- ١٨٣١م) التاريخ على أنه صراع المتناقضات وأطلق عليه مصطلح «الديالكتيك» معتبرًا إياه قانونًا كونيًّا عاما، يشمل الوجود كله، فالتناقض ليس في الآراء فقط بل في صميم الواقع وحقيقته، فما من قضية إلا وتنطوي في ذاتها على نقيضها ونفيها.

والفكرة تحرك نقيضها، ومن ثم ينشأ الصراع، أو بالتدافع بالاصطلاح القرآني،كما أن المصلحة تحرك المتضرر منها، ومن هنا يبقى التدافع أو الصراع سنة كونية يشتعل هنا لينطفئ هناك، والإسلام يقر هذه الحقيقة، ثم يركز على الجانب الأخلاقي في الصراع، فغياب الجانب الأخلاقي من شأنه أن يضر بالبشرية، ويحول التنافس على الخير إلى إضرار بالخلق والخليقة، ومن هنا كانت العولمة بالمفهوم الغربي تحويل الفقراء إلى خدم للأغنياء، وتحويل الدول الفقيرة إلى سوق رخيصة لليد العاملة، فيزداد الأغنياء ثراء وغنى، ويزداد الفقراء فقرا.

إن الإسلام يقر التنافس بين الناس من أجل الخير، فالشعوب كما يرى كين إتشي أومائيه Kenichi Ohamae هي التي تتقاتل دون صدام للحضارات كما يرى بعض المنظّرين لنظرية صدام الحضارات، فالحضارات بما فيها من قيم، والحضارات باختلافها لا تشجع على الصراع لكن الصدام يحدث حينما يلجأ القادة إلى طرق عنيفة لتحقيق أحلامهم أو حل مشكلاتهم، ولم يأتِ الإسلام ليهدر ما كان عليه الناس، ليؤسس على أنقاضه بناءً جديدا له صلة بفطرة البشر وما تقتضيه سنة الاجتماع، وإنما كان ينظر إلى الأشياء من جهة ما فيها من مصالح ومضار فما كان صالحا أبقاه، وما كان مفسدا نهى عنه وحرمه، وما قرره القرآن الكريم في علاقة المؤمنين

١- عبد القادر حاتم: مصدر سابق، ص ٤٦٢.

بغيرهم من أهل الديانات الأخرى هو: أنه لا يسوغ جعل احترام الشرائع سببا في معاداة المخالفين لشرعنا، وإنما الذي يسوغ شرعا هو استباق الخيرات لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

وإذا كان القرآن الكريم يشير إلى التدافع والتنافس، فإنه منع بالقول والفعل إهدار كرامة الإنسان والسيطرة عليه، وأكد أن كرامة الإنسان أسبق من كل انتماء وهوية حضارية، فقد كرم الله الإنسان وجعله خليفة في أرضه كما ورد ذكره في القرآن الكريم، ومن هنا فالتنافس والصراع والصدام، وإن كانا من اجراءات أمورا من السنن والفطرة فلا ينبغي لهما أن يهدرا حق الشعوب في التعامل أو الوجود[١].

ولا يمكن أن يكون الصراع الحالي باسم العولمة صراعا حضاريا أبدا بل هو صدام سياسي الطابع تم تغليفه بغلاف ديني، وهو صدام سياسي لاعقائدي، تروجه أجهزة الإعلام الغربية كأنه توجه استراتيجي يهم من وضعوا أنفسهم في خدمة السلطة المستبدة لتسويغ جرائمها ضد الإنسانية أو ضد المجتمع[٢].

الحوار وتلاقح الحضارات (التعارف):

إن مشاهد التاريخ المتتابعة تدل على أن الحضارات لا تتصارع كما أنها لا تتحاور، بل الناس هم الذين يتصارعون ويتحاورون لأسباب تتعلق بالمصالح في المقام الأول، ومن هنا يلاحظ أن مواقف هؤلاء لا تنبع من

١- د. يوسف الحسن: حوار الحضارات لماذا؟ كتاب العربي، عدد ٤٩.

٢- على سبيل المثال، وقع ٦٠ أكاديميا على الخطاب الذي وجهوه للشعب الأمريكي بصدد تسويغ الحرب (العادلة) التي شنتها الولايات المتحدة على الإرهاب بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

معطيات حضارتهم أو ثقافتهم بقدر ما تنبع من مواقعهم بحكم مناصبهم في بلدانهم، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن الغرب مثلا يرى أنه أنجز ماديا، وإن حضارته هي الحضارة التي يجب أن يقتدى بها، وبفضل هذا الإنجاز يكون له الحق في تحديد طبيعة العلاقة وفق ما تمليه عليه مصالحه هو، وعليه يحاول فرض قيمه، بمعنى أن الآخرين عليهم أن يكتسبوا بالضرورة قيم الغرب كما هي، مع أن هذا يتعارض مع فكرة الحوار، لقبول ما يتناسب مع حضارة أمة ما، ورفض ما لا يتناسب، وعليه فيمكن للغرب نفسه مراجعة قيمه، وما وصلت إليه الحضارة الغربية من أمور تتعارض مع طبيعة النفس البشرية وذلك من جراء فوضى الحرية أو ما يطلق عليه الحرية المطلقة.

يجب مراجعة المفاهيم الغربية لتتناسب مع مفاهيم الحضارات الأخرى التي تسمو بالروح البشرية، والحضارات من هذه الناحية لا يجب أن تتصادم أو تتصارع بل يجب أن تتلاقح من خلال التعارف ثم الإفادة والاستفادة، ومن هنا وجب على الغرب أن يترك العالم الثالث يسلك طريقه نحو التحديث، كل حسب الطريقة التي تتناسب مع مفاهيمه وقيمه الحضارية، ثم التفاعل بطريقة إيجابية مع الدول التي تحقق تقدما اقتصاديا سواء كان ذلك في الإطار الغربي أو في غيره. كما يمكن في ظل فكرة تلاقح الحضارات من خلال الحوار مساعدة الدول التي لا تستطيع تحقيق التقدم بحسب النموذج الغربي حتى لا يحدث الصدام بين الغرب والآخرين، وهو ما يروج له بعض المفكرين في ظل فكرة صراع الحضارات.

إن تلاقح الحضارات يمكن أن يتم اليوم بسهولة شديدة إذا ما رأت الدول الغربية أن الحوار هو السبيل إلى عالم تسوده المحبة بين البشر، فإن تكنولوجيا الاتصال قد قللت إلى حد كبير من تأثير المسافات بين الدول، وازدياد التفاعل بين الأشخاص والثقافات وبعبارة أخرى: تلاقح الحضارات؛ وهو ما يقود إلى تكوين ثقافة عالمية جديدة تتصف بالتنوع في ظل الوحدة، فلكل منطقة الحرية في الحفاظ على خصوصياتها الثقافية

التي تتفق مع قيمها الحضارية والدينية، أما الدعوة للاندماج أو المواجهة فهي نابعة من جهات تسعى إلى السيطرة أو الصدام لا الحوار، أو تسعى إلى أن تعطي الطابع العولمي لما هو محلي لديها من أجل تحقيق مصالحها الخاصة، وتسهم بالطبع وسائل الإعلام في تلك البلاد في محاولة تحقيق هذه الرغبة[١].

ويلاحظ أن دعوة الإسلام كانت دعوة عالمية الهدف والغاية والوسيلة، كما أن الخطاب القرآني ارتكز على توجيه رسالة عالمية للناس جميعًا، ووصف الخالق عز وجل نفسه بأنه «رب العالمين»، وذكر الرسول ﷺ مقترنًا بالناس والبشر جميعًا. ومن هنا قامت حضارة الإسلام على القاسم المشترك بين حضارات العالم، فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذًا وعطاءً، بل إن حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره من حقائق الكون، لذلك دعا الخطاب القرآني إلى اعتبار فوارق الجنس والدين واللغة من عوامل التعارف بين البشر، واتساقًا مع نفس المبادئ، يوحد الإسلام بين البشر جميعًا رجالاً ونساءً، في جزئيات محددة: أصل الخلق والنشأة، والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة، ووحدة الألوهية، وحرية الاختيار وعدم الإكراه، ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا.

وفهم الغرب للإسلام يفسح الطريق لعملية تلاقح، تؤدي إلى الرقي المادي (الغربي) من جهة والرقي الروحي (الشرقي) من جهة أخرى، فالعولمة بالمفهوم الغربي ترتكز على عملية «نفي» و«استبعاد» ثقافات الأمم والشعوب، ومحاولة فرض ثقافة واحدة لدول تمتلك القوة المادية، وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر، بينما فكرة العولمة بالمفهوم القرآني تقوم أساساً على رد العالمية لعالمية الجنس البشري والقيم المطلقة، وتحترم خصوصية وتفرّد الشعوب والثقافات المحلية، وهكذا يصبح من الواجب العمل بجد على تلاقي الحضارات، إن لم يمكن العمل على تلاقح الحضارات، وهنا تقع المسؤولية على الدول غير الغربية وبخاصة

١- ويطلق الباحثون على تلك العملية «عولمة المصالح المحلية».

الدول الإسلامية أو الدول الداعية إلى حق الاختلاف والخصوصية الدينية والثقافية، إذ يمكنها توظيف أدوات العولمة ذاتها لمواجهة العولمة بالمفهوم الغربي، والإنسان على كل حال يستطيع توظيف كل جديد في الدفاع عن هويته وذاته، وعن قيمه وتقاليده، بل وعن إنسانيته، ويسبق هذا مرحلة التعريف بهويته وقيمه، وهذا أمر يشترك فيه الناس جميعا، فهم بحاجة إلى معارف تتركز، كما قال إيكيهارد شولتس[1]، على ما هو جوهري فقط لحامل هذه المعارف؛ أي ما يسمى بجوهر هويته، أي الهوية الشخصية في التواصل الشخصي أو التواصل بين الأشخاص أو الأفراد والهوية الحضارية أو الثقافية في التواصل بين الثقافات أو الحضارات.

ويمكن تحديد المستوى الشخصي أو الجماعي على أساس تحديد المسافة بيننا وبين الآخر؛ أي ما هي الاختلافات أو التباينات بيننا؟ وقد أضاف بأنه لا يمكن أن يتصور أن العالم كله يتبنى القيم نفسها ويأكل الأكل نفسه... إلخ؛ وذلك لإيمانه بتعدد الحضارات.

إن «التعارف» -وبحق- هو الوجه الآخر لعملية «التدافع»، والعلاقة بين الحضارات هي علاقة جدلية مركبة، وهنا تأكيد على مفهوم التعارف الوارد في القرآن الكريم، ومفهوم التدافع أيضا، وهو ما ورد بيانه من قبل.

إن الحوار - لا الصراع- هو السبيل إلى الوصول إلى مرحلة التلاقح، والتلاقح يستلزم التعارف بين الحضارات، وهذا لا يمكن أن يتم دون تقديم مقترح يتصف بالشرعية، ومثل هذا المقترح لا يكون إلا إذا كانت له صلة بالتقاليد الدينية والثقافية والقانونية المختلفة، مع تسليط الضوء على أهمية القيم الروحية والأخلاقية التي يحتويها تراثنا الديني المشترك، غير أن مفتاح تحسين العلاقات بين الحضارات وبين الأديان، على المدى البعيد، يكمن في استحداث ثقافة سياسية واجتماعية تتمتع بالثراء الناتج عن التنوع،

١- حوار الحضارات مصالحة أم مصالح؟

ولا بد من معالجة عدم التسامح عن طريق إدخال دستور إنساني للأخلاق في هذا العالم الذي نتقاسم العيش فيه، وهو ما يسمح بتلاقح الحضارات، حتى يوجد بينها ما هو مشترك ونافع للبشرية جمعاء، والوصول إلى درجة من العولمة تكون مقبولة لدى شعوب العالم، ووفقًا للأستاذ الدكتور أكبر بن أحمد، فإنَّ جذورَ الإسلام مترسِّخة في الحوار، فحين انطلقَ الإسلامُ من شبهِ الجزيرةِ العربيةِ انهمكَ على الفور في حوارٍ مع الحضارات..

وعلى نحو مشابه، فإن الحوارَ متأصلٌ في الإسلام، لكنَّ النقاشَ مخنوقٌ بسبب من تلك الصورة الساخرة الكاريكاتيرية للعالم الإسلامي، كما هو الحال بالنسبة لصورة الغرب في أعين العالم الإسلامي. فالتصورات الخاطئة، إذن متبادلة ومفرِطة، إنه الحوار بين الأصمِّ والأبكم والأعمى. وإذا كانَ بإمكانِ أبناءِ الطوائف الدِّينيَّة المختلفة تكريمُ الأنبياءِ أنفسِهم، واعتبارهم نماذجَ يجدرُ الاقتداء به؛ فربما لا نكون بعيدين كثيرًا عن الحوار الذي نصبو إليه جميعًا[1].

إن التلاقح في إحدى صوره يعني التكامل، والتكامل العالمي في الإسلام ليس عملية استيعاب سائبة، ويجب أن لا يكون كذلك مهما اختلف السياق؛ بل هو حركة مسؤولة تتجه نحو الإقرار بما يوحد الإنسانية من حيث اهتماماتنا كبشر؛ ومن ثم يسمح للإنسانية باستنباط أساليب لإعادة تقويم أولوياتنا، والعمل في سبيل الصالح العام الأكبر، وبناء نماذج جديدة للعمل الإيجابي، والتحلي بالمسؤولية في علاقاتنا -في أي حقل كان- فالتضامن الإنساني يتطلب التقاء شتى الثقافات في نطاق الحضارة الإنسانية؛ كي تتفاعل من دون أن تتصادم، ويُغني بعضها بعضا[2].

١- الأمير الحسن بن طلال: حوار الحضارات، ورقة بحث قدمت أمام مؤتمر المشاهير، بدبلن-إيرلندا، والذي عُقد في ٣٠ - ٣١ آيار/ مايو ٢٠٠١م. والورقة مترجمة عن الأصل الإنجليزي.

٢- المصدر السابق.

خاتمة:

إن الإسلام يؤمن بالحوار، فالمسلمون مأمورون به شرعا، والقرآن الكريم فيه نماذج كثيرة من الحوارات بين رسل الله وأقوامهم، بل بين الله تعالى وبعض عباده، لدرجة أن الله تبارك وتعالى حاور شر خلقه وهو إبليس، والقرآن يخاطب الرسول ﷺ قائلا: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ (الغاشية: ٢١ - ٢٤).

كما أن القرآن الكريم يرسم صيغة للتعارف والتعايش بين البشر مبنية على الأمن والتسامح والسلم، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة، اشتمل هذا البحث على بعض منها، والقرآن الكريم يركز على القواسم المشتركة بين المسلمين وغيرهم وبخاصة أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦). ففي مجال الحوار: ينبغي ذكر نقاط الاتفاق، لا نقاط التمايز والاختلاف. وهناك من المسلمين من يزعم أنه لا توجد بيننا وبين اليهود والنصارى أية جوامع مشتركة، ما دمنا نحكم عليهم بالكفر، وأنهم حرَّفوا وبدَّلوا كلام الله، وهذا فهم خاطئ للموقف الإسلامي من القوم.. فلماذا أباح الله تعالى مؤاكلتهم ومصاهرتهم؟ ولماذا حزن المسلمون حين انتصر الفرس -وهم مجوس يعبدون النار- على الروم، وهم نصارى أهل الكتاب؟ حتى أنزل الله قرآنا يبشر المسلمين بأن الروم سينتصرون في المستقبل القريب ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (الروم: ٤- ٥) كما جاء في أول سورة الروم.

من ثمار الحوار الوقوف معًا لمواجهة أعداء الإيمان الديني، ودعاة الإلحاد في العقيدة والإباحية في السلوك، من أنصار المادية ودعاة العري، والتحلل

الجنسي والإجهاض والشذوذ الجنسي، وزواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وسفك الدماء، واستباحة الأموال، وتغذية النزعة الاستهلاكية المادية في الإنسان كما سبق ذكره من قبل. فينبغي أن يقف أهل الكتاب في جبهة واحدة ضد هؤلاء الذين يريدون دمار البشرية بدعاواهم المضللة، وسلوكياتهم الغاوية، وأن يهبطوا بها من أفق الإنسانية إلى درك الحيوانية: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان: ٤٣- ٤٤).

وقد رأينا الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والفاتيكان يقفون في (مؤتمر السكان) في القاهرة سنة ١٩٩٤م وفي مؤتمر المرأة في بكين ١٩٩٥م في صف واحد لمواجهة دعاة الإباحية، وهدم الأسرة، وزلزلة الثوابت الفطرية التي أرادها الله لصلاح الحياة الإنسانية.

ومما ينبغي أن تتضمنه هذه الدعوة: إشاعة روح السماحة والرحمة والرفق في التعامل بين أهل الأديان، لا روح التعصب والقسوة والعنف، فقد خاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). وقال ﷺ عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة» (أخرجه الحاكم ووافقه الذهبي). وذم الله تعالى بني إسرائيل بقوله في مخاطبتهم: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة: ٧٤). كما اتفق البخاري ومسلم على أن النبي ﷺ قد قال لزوجه عائشة: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»[١].

إن من طبيعة الإنسان أن يعتقد -فيما يتعلق بالدين- أنه على حق وأن غيره على باطل، وأنه هو الذي يملك الهدى، وهذا الاعتقاد قد يؤدي إلى التعصب، ورغم هذا فالمسلم مطالب بأمور هي من صميم فكره وضميره،

١- القرضاوي: الحوار بين الإسلام والمسيحية مجالات مشتركة للتعاون الإسلامي المسيحي، مصدر سابق.

بل هي كما يذكر القرضاوي من أصول اعتقاده وشروط إيمانه، فالمسلم يعتقد بأن اختلاف البشر في أديانهم واقع بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩)؛ أي خلقهم ليختلفوا ما دام قد منحهم العقل والحرية والإرادة. كما يعتقد المسلم بأن الحساب على ضلال الضالين، وكفر الكافرين ليس في هذه الدنيا، ولكن في الآخرة، وليس موكولا إلينا، ولكن إلى الله الحَكَم العدل، واللطيف الخبير، كما قال تعالى لرسوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١٥)، ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (الغاشية: ٢٣ – ٢٦).

والمسلم لا يقبل مبدأ احترام خصوصيات الآخرين فقط، بل إنه يطالب نفسه والآخرين بالوقوف مع الداعين لحماية الخصوصيات، خصوصيات الشعوب على تنوعها، من لغات وتاريخ وآداب وثقافات، لا من أجل تحويلها إلى جدران مانعة تحول بين اتصال البشر بل من أجل مساعدة البشر –كل البشر– على إدراك إنسانيتهم المشتركة، وإيجاد حالة التعارف التي تؤدي إلى التآلف الذي يقود إلى التعاون على ما عرف في الإسلام بالمعروف، وهو ما تعرفه البشرية أو ما يمكن أن تتعارف عليه وتتبناه، وإضعاف المنكر؛ أي ما تنكره الفطرة وترفضه الطبيعة البشرية، ولا يمكن للناس أن يجتمعوا عليه – كما ذكر طه جابر العلواني[١].

١– طه جابر العلواني: الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش، ص٢٥ وما بعدها، وأيضا د/محمد عمارة: مرتكزات التعايش بين الأديان في القرآن الكريم والتطبيق النبوي، ص ١٠٤ وما بعدها، قضايا إسلامية مغاصرة، العدد ٢٢ شتاء ٢٠٠٣ – ١٤٢٣ هجرية.

إن العالم أجمع في أمس الحاجة اليوم إلى اعتماد لغة الحوار والتفاهم درءًا للعديد من المخاطر التي باتت تحدق بالجميع ومنها التطرف والإرهاب العالمي الذي يربطه البعض بالأديان. إن الحوار مطلوب لإيجاد حلول ناجحة لكوارث بيئية لن تفرق بين شعب وآخر أو بين ملة وأخرى، فالبشر جميعا مطالبون بحوار من أجل التفكير في المأزق الأخلاقي والروحي الذي تعيشه البشرية الآن[1].

ومن الضروري أن يكون الحوار عقلانيا يتوخى الموضوعية ويراعي مقتضى الحال ومتفهما لظروق كل طرف، وأهم من هذا وذاك أن يراعي الثوابت والمنطلقات الفكرية والشرعية لكل طرف من أطراف الحوار، وأن يراعي الاختلاف والتمايز في العادات والثقافات: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

١- أحمد الجهيني: الإسلام والآخر، ص ٢٢٢ وما بعدها.



المبحث الثاني:

حوار الإسلام مع المعتقدات اليابانية.. خطوة نحو التواصل

مدخل:

تركز هذه الصفحات على الحوار مع المعتقدات اليابانية، تلك التي تمثل فكرًا يمكن أن نطلق عليه بالمفهوم العام معتقدا دينيا، ولا يهدف البحث إلى محاولة إيجاد تماثل بين ما لدى الناس في اليابان وبين ما لدينا في البلاد الإسلامية، فالهدف ليس محاكمة القيم المنسوبة إلى دين معين أو معتقد معين، أو عرض قيمنا الدينية كأساس للحوار مع معتقدات الآخرين؛ ذلك أن الإسلام أساسا يدعو إلى التعددية الثقافية؛ أي الاعتراف باختلافات الثقافات والحضارات، والاعتراف بعدم سمو ثقافة على أخرى إلا بشروط تهدف إلى خدمة البشر جميعا.

من الضروري الإشارة إلى صعوبة الكتابة عن موضوع الحوار مع المعتقدات في اليابان، لأسباب من أهمها: أن اليابان تحرص على أن توصف بأنها دولة علمانية، وتتجنب –على المستوى الرسمي– ذكر كل ما يشير صراحة إلى الدين في اليابان[١]، فالتحرك الذي بدأه وزير الخارجية الياباني الأسبق كونو يوهيه في فبراير عام ٢٠٠١م/ ذي القعدة ١٤٢٠ هجرية كان لتعزيز العلاقات بين اليابان والعالم الإسلامي؛ أي حوار حضاري بين اليابان والعالم الإسلامي، وعقدت الجولة الأولى منه في البحرين في مارس ٢٠٠٢م/ المحرم ١٤٢٣هجرية[٢]، ثم الجولة الثانية في أكتوبر عام ٢٠٠٣م/ شعبان

١- لكنها تحرص على المشاركة في اللقاءات الدينية التي تضم ممثلين عن الأديان في اليابان وفي العالم وسيرد ذكر ذلك فيما بعد.

٢- انظر: موقع الحوار الياباني الإسلامي على شبكة الإنترنت، كما عقد مؤخرا المنتدى السادس للحوار بين اليابان والعالم الإسلامي تحت عنوان (الثقافة واحترام الأديان) في الرياض ١٥-١٧ ربيع الأول ١٤٢٩م / ٢٣-٢٥ مارس ٢٠٠٨م، نظمه معهد الدراسات الدبلوماسية التابع للخارجية السعودية والإدارة العامة للشؤون الإسلامية بوزارة الخارجية السعودية، وشارك فيه نائب وزير الخارجية الياباني أوسامو أونو وعدد من الأساتذة اليابانيين، من بينهم البروفسور إيتاغاكي، والبروفسر هيديكي كانو، والبروفسر هاشيزومي، ووسع نطاق المشاركة بحضور البروفسور شمس الدين من جامعة جاكرتا، كما حضر مفتي البوسنة مصطفى سريتش مع عدد من المتخصصين السعوديين والباحثين في مجال الحوار بين الأديان والحضارات، من بينهم الدكتور علي النملة.

١٤٢٤هجرية في طوكيو، ودار الحوار عن قضايا السلام والتنمية والتحديث وتلاقح الثقافات، وكيف يرى العالم الإسلامي اليابان.. إلخ. أي إن الحوار على المستوى الرسمي لا يناقش المعتقدات ضمن محاوره، وعلى الرغم من أن الإستراتيجية التي وضعتها لجنة الدراسات الإسلامية بوزارة الخارجية اليابانية تهدف إلى إيضاح صورة الإسلام الصحيحة أمام الرأي العام الياباني وتعميق معرفته بالإسلام[١]، فإن دراسة موضوع العقائد يعرض في اليابان بحرية كاملة ضمن مؤتمرات وندوات وحلقات النقاش في الجامعات وفي مراكز البحوث والدراسات المتخصصة.

ومن هنا سيركز هذا البحث على دراسة المعتقدات في اليابان مع التطرق إلى آراء بعض فلاسفة اليابان ومفكريها ممن اعتنقوا المسيحية أو الإسلام فيما يتعلق بالحوار؛ لأن ذلك يكشف لنا عن الرؤية اليابانية لكيفية الحوار مع الآخر داخل اليابان وخارجها، مع ذكر أمثلة للحوار من خلال مؤتمرات وندوات مركز دراسات الأديان التوحيدية بجامعة دوشيشا، والإشارة إلى جهود بعض الجهات الأخرى في اليابان في سبيل دعم الحوار الديني.

حوار اليابان مع جيرانها (حوار الجوار):

تمارس المعتقدات دورا أساسيا في تكوين المجتمع وثقافته أو حضارته، والشرق الأقصى بما فيه اليابان يمثل –كما يرى بعض الباحثين–[٢] نظمًا أخلاقية أو معتقدات شرقية أكثر من كونها ديانات، إلا أن هذه النظم أو المعتقدات أوجدت حضارات تخصها، ويأبى أهلها إلا أن يسموها ديانات

١– عصام محمد حمزة: أصول حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، ص ٢٣، بحث في مجلة مركز الدراسات الآسيوية، حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، تحرير محمد السيد سليم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م. وانظر أيضا بحث محمد السيد سليم في الفصل الثاني من الكتاب المذكور، ص ٣٨ وما بعدها.

٢– محمد خليفة حسن: المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر.. تصور إسلامي لنظرية صراع الحضارات، سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات، العدد الثاني، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.

مثلما يسمى الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، وعلى كل فقد تحولت هذه المعتقدات الشرقية إلى ديانات بعد أن تحولت ممارسات النظام الأخلاقي إلى شعائر هي في حد ذاتها نظام للعبادة.

في اليابان تطورت المعتقدات الخاصة بعبادة الطبيعة وكل ما فيها إلى عقيدة شملت أيضا تقديس روح الأسلاف باعتبارها صارت آلهة، ولم يكن هناك تمييز بين ما هو إلهي وما هو بشري أو بين الطبيعة والإله، وهكذا صارت عقيدة «الشنتو» هي الدين الفطري في اليابان، بعد أن وجدت عناصر للعبادة تبدأ بالطهارة ثم تقديم القرابين والصلاة والاحتفال الرمزي[١]. والمؤمن بعقيدة الشنتو يرى هذا العالم الدنيوي الذي نعيش فيه يورث الخير الذي يجعل سعادة الإنسان متطورة ومستمرة، وقد ينالها في الآخرة أيضا إذا حسن عمله في هذه الدنيا[٢].

وعقيدة الشنتو لا تقول بفكرة تأصل الشر أو الخطيئة في الإنسان الذي جبل على الخير، فالإنسان مولود على الفطرة، وإذا ورد الشر على الإنسان فسببه الخداع والإغراء. ويعتقد اليابانيون أن الموتى يستمرون في الحياة كأرواح، ويزورون هذا العالم من حينٍ لآخر ويتقبلون ما يُترحم به عليهم أبناؤهم. أما فكرة العالم الآخر فهو في الشنتوية الوادي الأعلى في السماء مكان نزول الكامي الإله الأعلى حيث حياة الخلود، أما عالم الأشباح الميتة والأرواح الشريرة النجسة فهو عالم الظلمة أو الجحيم[٣].

ويمكن القول: إن عقيدة الشنتو لا تزال باقية بين أفراد المجتمع الياباني من خلال تنظيمات أو وكالات تضم أعضاء يدعون إلى ممارسات دينية

١- انظر: سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان، القسم الخاص بالشنتو، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ٢٠٠١م.

٢- سمير عبد الحميد: الخطاب الديني في الفكر الياباني، ص ١١، مجلة دراسات شرقية، مجلة فكرية فصلية، العددان ٢١- ٢٢ سنة ٢٠٠٤م، تصدر عن مركز الأبحاث والدراسات الشرقية في باريس.

٣- المصدر السابق: ص ١١.

معينة في مزارات الشنتو التي تقوم بتنظيم الاحتفالات والمهرجانات وتسهم في دعم الرفاه الاجتماعي[١].

أما فيما يتعلق بالبوذية، فيمكن القول: إن أول اتصال عقدي حدث بين اليابان وشبه الجزيرة الكورية كان في عام ٥٥٢م[٢]، وهو التاريخ المقترح لدخول البوذية إلى اليابان، وطبقا للحوليات اليابانية وجد في اليابان سنة ٦٢٣م الموافق للعام الثاني من الهجرة النبوية نحو ٤٦ معبدا بوذيا، و٨١٦ راهبا و٥٦٩ راهبة، ثم كان الاتصال بين اليابان والصين؛ وهو ما نتج عنه انتشار البوذية بمدارسها المختلفة من جهة تلك التي حملت معها تعاليم الكونفوشية ومبادئها، وعليه تأسست مدينة نارا عام ٧١٠م الموافق لعام ٩٢ هجرية على شاكلة العاصمة الصينية تشانك آن، وصارت طقوس العقيدة البوذية تمثل جزءا من احتفالات البلاط في اليابان، ومع تأسيس المعابد المحلية صارت البوذية عقيدة دينية وطنية بعد أن اعتبرت وسيلة لحماية الدولة[٣].

وحين استقدمت اليابان العقيدة البوذية أفادت منها في البداية كوسيلة فكرية وكأسلوب تنظيمي أكثر من كونها عقيدة دينية، ورغم استفادتها من الكونفوشية إلا أن اليابان لم تتخلّ عن معتقدات الشنتو رغم التفوق الثقافي والحضاري الصيني الذي قدم لليابان أهم وعاء ثقافي وهو حروف الكتابة، وحين اعتنق الشعب الياباني مبادئ البوذية في القرن الثاني عشر الميلادي كان الرهبان قد اندمجوا مع عامة الناس، ولم تعد البوذية فلسفة قاصرة على الصفوة في المجتمع، ومن هنا قاموا بتبسيط المصطلحات البوذية بوضعها في قالب ما تعارف عليه الناس من مصطلحات شنتوية، وظهرت مدارس بوذية يابانية لها مكانتها، انتشرت تعاليمها ليس في اليابان فقط

1- Skyo.Ono: Shinto the Way of Kami pp.96

٢- أي مائة سنة تقريبا قبل الهجرة النبوية.

٣- سمير عبد الحميد: الإسلام والأديان في اليابان، ص ٩١.

بل في الصين أيضا[1].

وحين استقدمت اليابان البوذية بعد تردد لم يدم طويلا[2]، لم يجد اليابانيون في تعاليمها أو حتى في تعاليم الكونفوشية ما يتعارض مع ما ورثوه من تعاليم في العقيدة الشنتوية، كما أن البوذية جاءت مكملة لجوانب إشكالية في الشنتوية مثل التعامل مع الموتى، وهو أمر أوكل تماما للبوذية، فدخول أجساد الموتى إلى مزار الشنتو من المحرمات، كما أن الكاهن الشنتوي لا يحق له الاشتراك في مراسم الدفن، من هنا كان الناس يدفنون موتاهم عن طريق كهنة البوذية[3].

أما الكونفوشية التي انتقلت تعاليمها إلى اليابان بداية من كوريا في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي فلم تكن عقيدة أو دينا إلا أن البوشيدو أي روح اليابان أو المعتقد الأخلاقي الياباني، إن صح التعبير، استوحت فضائل الكونفوشية واعتمدتها في تكوينها المتعلق بالأخلاق فإقرارها للمبادئ الأخلاقية الخمسة بين السيد والمسود، والحاكم والمحكوم، والأب والابن، والزوجين والأصدقاء إنما هي جميعا تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية قبل تسرب تعاليم كونفوشيوس إلى اليابان قادمة من الصين، كما ذكر الفيلسوف الياباني إينازو نوتوبيه[4]..

وكان اليابانيون قد سعوا إلى التعرف على الكونفوشية فأرسلوا الوفود إلى الصين لدراسة ثقافتها؛ لأن ذلك يخدم نظام الحكم القائم على السلطة

١- لا يتسع البحث لتناول هذه المدارس، لكن يمكن الرجوع إلى كتاب (الإسلام والأديان في اليابان)، وإلى كتابات المستشرق الياباني توشيهيكو إيزوتسو، وبخاصة عن بوذية الزن مثل:
Towards a philosophy of Zen Buddhism 1977 by the Imperial Iranian Academy of Philosophy وأيضا The Interior and Exterior in Zen Buddhism Spring.

٢- انظر الفصل الخاص بالبوذية في (الإسلام والأديان في اليابان)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، مصدر سابق.

٣- الخطاب الديني في الفكر الياباني، ص ١٣، دراسات شرقية، باريس.

4- Notobeih.Bushido pp1617-

المركزية المتمثلة في الإمبراطور. وظهرت مدارس فكرية كونفوشية متنوعة، وتمسكت المؤسسات اليابانية في ظل حكومة الإصلاح في العصر الحديث بمبادئ الكونفوشية الرامية إلى الحفاظ على العلاقات بين الكبير والصغير والرئيس والمرءوس، ولا تزال قيم الكونفوشية باقية داخل المجتمع الياباني حتى يومنا هذا.

حوار الغرب مع اليابان (المعتقدات اليابانية وإعادة تشكيل المسيحية)[١]:

لم يجد اليابانيون ما يمنعهم من قبول المعتقدات الشرقية التي وردت إليهم من كوريا والصين بل سعوا إليها للتعرف عليها بعمق من أجل تطوير نموذج ياباني، قاموا بعد ذلك بتصديره إلى الصين في صورة بوذية الزن، ويرجع السبب الرئيسي في هذا إلى أن البوذية والكونفوشية والطاوية التي وردت إلى اليابان من الصين تقر كنظم أخلاقية بخيرية المادة والحياة الدنيا، ومن ثم الانشغال بعملية التكيف البناء مع الواقع الاجتماعي والطبيعي في شكلها المادي المحسوس في الدنيا[٢]، وهكذا يؤمن المفكر الصيني ومثله الياباني بالواقع، ويعتبر كل منهما أن مهمة الاعتقاد أو الدين والحياة هو العيش على أحسن ما يمكن أن تقدمه القيم الأخلاقية من إمكانية للتكيف مع الواقع المعيش وتحسينه إلى الأفضل، فالموقف من الحياة عموما موقف إيجابي. وتعكس الأخلاقيات الصينية نوعا من التقوى السرية أو تقديس الأسرة وطاعة ولي الأمر[٣]، كما أن الحاكم هو بمثابة الأب للعائلة الكبيرة التي هي الدولة، وهو ابن السماء أو خليفة السماء على الأرض، فإذا كان سلوكه أخلاقيا فالدولة في أحسن أحوالها، وإذا فشل ففي هذا تهديد للنظام الاجتماعي واستدعاء للكوارث والنوازل، ومن هنا فالحاكم السياسي يقوم

١- مرت هذه العملية بثلاث مراحل هي: الصدام، فالخضوع، ثم التطويع.

٢- محمد خليفة: تاريخ الأديان.. دراسة وصفية، ص ١١٣، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣- المصدر السابق: ص ١١٤.

بدور ديني وأخلاقي بالإضافة إلى دوره الإداري الخاص بتسيير أمور الدولة.

وبينما تهدف الكونفوشية إلى تشكيل إنسان مهذب بالمعنى الأخلاقي والاجتماعي، فإن الطاوية جاءت مكملة للكونفوشية ومصححة لها، فالطاوية اعتبرت الشر والتعاسة مشكلة البشرية، وحددت سبب ذلك في تصارع الرغبات، وحل المشكلة هو التوحد مع الكون عن طريق مجاهدة الرغبات والتخلي عنها، بالأعمال التي تنطلق من الطاو، الذي هو مصدر الوجود ذاته، ومن ثم تتوحد الإنسانية مع العالم[1]، ومن هنا كان من السهل أن تنغرس معتقدات الكونفوشية والطاوية في تربة اليابان جنبا إلى جنب مع الشنتوية والبوذية؛ ذلك لأن الأخلاقيات اليابانية أو المعتقدات اليابانية بمعنى الدين لا تميل إلى التحليل العقلي المجرد أو التصورات الفلسفية، وإن كانت البوذية والكونفوشية تركت أثرها على التفكير الوطني وعلى شريحة من المفكرين اليابانيين، فاليابانيون يقبلون كل ما هو حسن سواء أكان فكرا أم معتقدا، والشنتوية مع البوذية والكونفوشية تمثل ثقافة التسامح في المجتمع الياباني، فلتفعل ما شئت ما دمت على خلق: اعبد الله أو اعبد بوذا أو اعبد الجبل أو اعبد النهر أو الحجر.. لكن كن إنسانا، وكن متسامحا، وكن أخلاقيا!.

وهنا نتساءل: لماذا عارض اليابانيون في البداية المعتقد الغربي الممثل في المسيحية التي جاءتهم عن طريق الغرب؟

وصل البرتغاليون إلى اليابان عام ١٥٤٣م / ٩٥٠ هجرية ولحق بهم منصرو المجمع اليسوعي وعلى رأسهم فرانسيسكو خافيير عام ١٥٤٩م / ٩٥٦ هجرية، وسمح لهم بممارسة أنشطتهم التنصيرية، ونشر ثقافتهم الدينية في الجزر الجنوبية، ثم بإقامة مستعمرة لهم في كيوتو العاصمة

١- تاريخ الأديان دراسة وصفية، ص ١٣٠ – ١٣٢.

وانظر أيضا: Wing-Tsitchan، The Religions of China ، ص ١٥١ وما بعدها.

الإمبراطورية آنذاك عام ١٥٦٩م / ٩٧٧ هجرية، إلا أن ما صاحب أنشطة التنصير من تعصب ديني تجاه من لم يستجب لها من المواطنين اليابانيين واعتبارهم كفارا، ومنعهم من الإقامة أو الاقتراب من المناطق والقرى وبعض أجزاء من المدن التي استقطعتها الكنيسة أو كان بعضها قد خصص لها ثم حرمتها على غير المسيحيين، دفع بالمجتمع الياباني الذي لم يعرف غير التعايش السلمي الآمن بين دياناته المختلفة ومذاهبه إلى خطر الحرب الدينية؛ حيث أحرق المتعصبون المعابد البوذية والشنتوية؛ وهو ما اضطر حاكم البلاد في ذلك الوقت إلى منع الأنشطة التنصرية عام ١٥٨٧م /٩٩٥ هجرية.

وحين وصل الهولنديون إلى اليابان عام ١٦٠٩م / ١٠١٨ هجرية تبعهم الإنجليز، وصاحب ذلك عودة الأنشطة التنصيرية مرة أخرى على يد البرتغال والأسبان، إلا أن حكومة توكوغاوا العسكرية استشعرت الخطر فلم يعد الأمر مجرد الخوف من صراع ديني قد ينشأ في الداخل بل كان خطر الاستعمار العسكري ذي المصالح الاقتصادية من الخارج، وهكذا منعت الحكومة اليابانية كل السفن الأجنبية ما عدا الصينية من دخول ميناء ناغاساكي، ومنعت التنصير المستتر بعباءة التجارة، وأغلقت المقر التجاري الإنجليزي في «هيرادو» وقطعت علاقتها مع أسبانيا، كما منعت كل الكتب الصينية التي تتناول موضوعات متعلقة بالمسيحية أو أي دين آخر، وحرمت اعتناق النصرانية بين اليابانيين[١].

بعد قرنين ونصف من العزلة الطوعية اضطرت اليابان إلى فتح حدودها أمام الغرب بعد اقتراب السفن الحربية الأمريكية من اليابان عام ١٨٥٣م/ ١٢٦٩هجرية، ووجدت اليابان نفسها مضطرة إلى التعرف على أسباب النهضة التي مكنت هذه الدول من امتلاك القوة، فأرسلت البعثات إلى

١- انظر: عصام محمد حمزة: أصول حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، ص ٩، ١٠، ضمن كتاب (حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي)، مصدر سابق.

أوربا وأمريكا، ولم تسمح رغم ذلك بدخول المسيحية أو الأنشطة التبشيرية، وفي فترة لاحقة تأسست مدارس ذات طابع مسيحي، وقام اليابانيون الذين درسوا في الخارج بتأسيس مدارس حديثة على النظام الغربي وبخاصة الأمريكي الذي كان المذهب البروتستانتي يشكل عمادا أساسيا في بنائها، وقد تقبل اليابانيون هذه المدارس لعدة أسباب منها:

١- أنهم هم الذين اختاروها كفكر وفلسفة تقترب كثيرا من الكونفوشية في جانبها العملي، وقد قبلوها وفسروها بطريقتهم الخاصة وبمصطلحاتهم التي اعتادوا عليها تماما، مثلما فعلوا مع البوذية عندما كان لا بد لها من أن تنتشر كعقيدة شعبية، ولم يكن الهدف من السماح للمذهب البروتستاني بالدخول إلى اليابان بسبب الحاجة إلى معتقد أو إلى دين، إنما كان بهدف فهم الثقافة والفكر اللذين كانا وراء ذلك التقدم الحضاري حتى يستطيعوا الوصول إلى صناعة منتج حضاري ياباني غير مقلد للغرب؛ لأن التقليد في المنتج الحضاري يجعل الإنسان أسير نمط أو نموذج غير مناسب له[١]، وينطبق هذا تماما على العقيدة المسيحية التي طوعها الفكر الياباني بما يتماشى مع معتقداته الشرقية.

٢- كان المنصرون يحملون فكرا جديدا يختلف عن الفكر الذي يعتنقه عموم اليابانيين فيما يتعلق بالحياة بعد الموت، وقد فهم اليابانيون الذين اعتنقوا المسيحية هذا الأمر جيدا، ورأوا أن ما جاء بها المنصرون يفسح المجال لاحترام روح الأجداد بل هناك أمل في أن يدخل هؤلاء الجنة؛ لأنهم لم يعرفوا شيئا عن الكتاب المقدس في حياتهم ولم يبلغهم أحد هذا الدين، وقد استخدم المنصرون النصوص التي تشير إلى هذا الأمر، وأفادوا منها من أجل خلاص من ماتوا قبل وصول رسالة المسيح إليهم.

٣- أدرك القائمون على التنصير مدى ما يكنه الشعب الياباني للرهبان البوذيين من احترام وتقدير، كما لاحظوا ما يتمتع به اليابانيون من حسن

١- المصدر السابق: ص ١١.

الطباع والنظافة المنزلية والعلاقات الأسرية وما إلى ذلك، فحاولوا أن يكونوا مفيدين للمجتمع، كما تعلموا طاعة السلطة قدر المستطاع، ومارسوا دورا عن طريق المدارس التنصيرية في التقريب بين الفكر المسيحي والشعب الياباني، وبخاصة بعد الإعلان عن الحرية الدينية في فبراير ١٨٧٣م / ذي الحجة عام ١٢٨٩هجرية.

٤- قيام الكنائس بالدعوة إلى السلام في مواجهة الوضع العسكري، وكان المسؤولون في الكنيسة يزورون مزارات الشنتو مؤكدين أنهم يصلون لإله واحد، لكن معظم المسيحيين اليابانيين رفضوا هذا الأمر في وقت كانت فيه الحكومة تركز على الحفاظ على الهوية اليابانية المتمثلة في عقيدة الشنتو الوطنية.

لم يستمر الأمر على ما هو عليه؛ فقد بدأت مرحلة جديدة من العلاقة التصادمية بين المعتقدات اليابانية الشرقية والمسيحية، في ظل المطالبة بقيادة يابانية للمسيحية أو إخضاع المسيحية إلى عملية «يبننة»؛ أي تشكيلها على الطريقة اليابانية وتطويعها للمعتقد الشرقي الياباني إن صح التعبير، وهنا يظهر صراع من نوع معين بين المسيحيين اليابانيين والمجتمع الياباني ككل، ونسوق هنا كمثال قصة أوتشيمورا كانزو الزعيم المسيحي الذي رفض أن ينحني أمام الإمبراطور رغم تأكيد أصدقائه المسيحيين أن هذا لا يمثل نوعا من العبادة، فكانت سابقة خطيرة في تاريخ المجتمع الياباني[1]، وصارت الحادثة ذريعة لمهاجمة المسيحية، وصدرت مقالات عن الصراع بين التعليم والدين، وأعلن أحد أساتذة الجامعة الإمبراطورية أن العقيدة المسيحية لا تتماشى مع مبادئ وشعائر المجتمع الياباني، وفي نهاية حياته عارض أوتشيمورا كانزو فكرة أن المسيحية تمثل حضارة أعلى، كما عارض ربط المسيحية بالغرب، وأسس حركة موكيوكاي أو المسيحية التي لا تنتمي

1- انظر: Richard Henry. A History of Christianity in Japan. Michigan 1971 p 203.

إلى كنيسة ما، مُصرًّا على الحاجة إلى تأسيس مسيحية يابانية متحررة من النفوذ الغربي، وهو يقصد الحاجة إلى دين قائم على جماعات صغيرة مستقلة تهتدي بالإنجيل والممارسة الدينية الشخصية للمؤمن دون الاعتماد على مؤسسة رسمية، بينما اعتبر أويمورا ماساهيسا (وهو من رواد المسيحية في اليابان) أن البوشيدو منحة الله لليابان، وأنها تماما مثل التوراة، وكان يؤمن بأن الشنتو الوطنية تحمل شهادة على وجود الله، وهو يعد المؤسس الأول للكنيسة اليابانية المستقلة، وربما كان تأسيس الكنيسة اليابانية نوعا من بدء مرحلة ما يطلق عليه النصرانية الاجتماعية Social Christianity، ويمثل هذا الاتجاه كاغاوا تويوهيكو (مات ١٩٦٠م/ ١٣٨٠هـ) الذي أسهم في تأسيس المؤتمر القومي ضد الحرب ١٩٢٨م /١٣٤٧هـ وحركة مملكة الله، ونادى بالأخوة بين أبناء الجنس البشري حين طاف مدن اليابان وكوريا والصين وتايوان والهند[١]. أما توكوتومو روكا فقد صرخ في وجه الغرب الذي كان يقود حربا باسم الدين، وكان قد زار فلسطين عام ١٩٠٥م / ١٣٢٣هـ ثم عاد وزارها وزار مصر عام ١٩١٩م / ١٣٣٨هـ، وقد عارض بشدة استخدام اسم المسيح في تسويغ الحروب على بلدان الشرق، واعتزل الحياة في آخر عمره ونزع إلى عقيدة شبيهة بعقيدة جماعة الأموتو الشنتوية[٢].

أعجب أوكاوا شوميه -رائد فكرة آسيا الموحدة- بالفكر المسيحي فلم يتمكن من أن يقنع نفسه بالإيمان بالمسيحية التقليدية، وهكذا أقبل على الجمعية المسيحية اليابانية التي تكونت لنشر الدين المسيحي المعدل حسب

١- انظر: ص ٧ و ص ١٦، التسامح في اليابان، مجلة دراسات شرقية ويابانية، العدد الأول يوليو ٢٠٠٧م، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة.

٢- انظر: سمير عبد الحميد: بحث بعنوان (إشكالية الدين والوطن في الصراع بين الأنا والآخر في أدب الرحلة - الرحلة اليابانية نموذجا)، بحث قدم في المؤتمر الدولي للدراسات الأدبية واللغة المقارنة الحاضر والمستقبل، كلية الآداب جامعة القاهرة ٢٨-٣٠ إبريل ٢٠٠٧م، نشر الجمعية الأدبية واللغة آداب القاهرة. وعن جماعة الأوموتو انظر: الإسلام والأديان في اليابان، الفصل الخاص بالأديان الجديدة.

الفكر الياباني، وقد سميت بجمعية الطريق[1]، وقد تعمق في دراسة البوذية والمسيحية والإسلام والشنتو.. إلا أن الأمر المثير للجدل هو ظهور جماعات مسيحية كثيرة العدد؛ وهو ما أوجد خلطا بين التراث العقائدي الياباني والمسيحية، وقد سبق أن تعرضت البوذية القادمة أساسا من الهند عبر كوريا والصين إلى مثل هذا الخلط؛ وهو ما أوجد بالتالي بوذية يابانية تتفق وطبيعة المجتمع الياباني، وقد رأى أوتشيمورا كانزو سابق الذكر أن تقاليد البوشيدو الواضحة من خلال الكونفوشية أو المتضمنة فيها تُقدّم الأساس للمسيحية اليابانية، ومن ثم فإن الإنجيل يمكن فهمه على أنه تلبية للإلهامات الدينية للبوذية اليابانية، ومن هنا يشبه البعض مسيحية أوتشيمورا بالزن[2]..

أما الياباني ماتسومورا كايسيكي، فقد انتقد المسيحية التقليدية، وأوضح عقيدته الجديدة التي تعتمد على بعض ما في المسيحية والبوذية والكونفوشية، واختصر الأديان كلها في الإيمان بالله إله الكون، وتكوين الشخصية التي تتصف بالأخلاق الحميدة، وحب الجار، والحياة في الآخرة (دنيا الخلود)، بينما رأى كوائي شينسوي (مات ١٩٦٢م / ١٣٨٢هـ) أن الإنجيل لا يعبر عن رسالة المسيح ذاتها ولا عن تعاليمه، ومن الضروري الاستفادة من الكونفوشية والبوذية.

يلاحظ أيضا أن هناك من خلط بين المسيحية واليهودية مثل أوتسوكي تاكيجي الذي يصلي ليحل السلام في القدس، ووضع رمز جماعته القلب مع نجمة داود، ولم يكن أوتسوكي وحده صاحب هذا الاتجاه، فهناك تيشيما إيكورؤو الذي رأى أن على المسيحيين اليابانيين أن يتعلموا كثيرا من التقاليد

١- سمير: التسامح في اليابان، ص ٢٨.

٢- انظر: Christianity Made in Japan. A Study of Indigenous Movements pp.65 Mark R. Mullins University of Hawaii Press Honolulu 1998 المسيحية صناعة يابانية، وقد صدرت للكتاب ترجمة يابانية عام ٢٠٠٥م.

الإنجيلية الكتابية مباشرة من اليهود في إسرائيل بدلا من الكنائس الغربية التقليدية والدراسات النظرية، وهو هنا يرى أن على الشباب الياباني أن يتعلم من خبرة الحماس القومي اليهودي في إسرائيل؛ لأن هذا يساعدهم في استلهام الروح اليابانية التي ضعفت بعد هزيمة ١٩٤٥م / ١٣٦٤- ١٣٦٥هـ، ولم يكن بدعا حين خلط بين النصرانية الممزوجة باليهودية وبين التراث الياباني القديم وحكايات الكوجيكي ونيهون شيكي؛ أي حكايات الحوليات التاريخية القديمة، ومن هنا دعا إلى التطهر بالماء المقدس وكذلك المشي بأقدام عارية على الفحم المحترق[١].

وقد بالغت جماعة يابانية مسيحية في الأمر، فرأت أن المسيح مدفون في اليابان، وقبره في قرية شينغوؤو shingo في محافظة أوموري Aomori يزوره السائحون من خارج اليابان وداخلها، ويدّعي هؤلاء أن المسيح جاء إلى اليابان ومكث في القرية بعد أن فرّ من فلسطين، وأرسل مكانه ضحية يشبهه هو أخوه الياباني إيسوكيري[٢]، وقد مات عيسى عن ١٠٦ سنوات ودفن في قرية شينغوؤو، وهناك صلبان كثيرة للدلالة على مكان دفنه، حيث يرقص اليابانيون في عيد الأوبون الياباني[٣] رقصات على أنغام تختلف عن الأنغام التي تسمع عادة في المنطقة، كما يقوم مكتب السياحة الحكومي بطبع نشرات باليابانية والإنجليزية للترويج لهذه الاحتفالات[٤].

١- سمير: التسامح في اليابان ص ٤٩، وكتاب المسيحية اليابانية بالإنجليزية ص ١٢٣، ١٢٤.

٢- إيسو باليابانية تعني عيسى.

٣- عيد الأوبون هو عيد عودة الأرواح في اليابان، ويعتبر عيدا دينيا.

٤- المسيحية صناعة يابانية، مصدر سابق، ص ١٩٣-١٩٤.

حوار اليابان مع العالم الإسلامي (حوار الجوار وحوار الشراكة):

في عامي ١٨٨٠م و١٨٨١م سعت اليابان إلى إقامة علاقات مع الدولة العثمانية وإيران المتاخمتين لروسيا لأسباب سياسية محضة، كما كانت وفودها المتجهة إلى أوربا تمر عبر مصر، لم تكن اليابان تهدف إلى التعرف على ثقافة تلك الدول الإسلامية، ولم يظهر ما يشير إلى الاهتمام بالدين الإسلامي أو الثقافة الإسلامية، وعن طريق الغرب استقت اليابان معلوماتها عن الإسلام، وحمل بعض المفكرين اليابانيين فكرة مشوهة عن الإسلام والثقافة الإسلامية لدرجة أن المفكر الياباني فوكوزاوا يوكتشي (مات ١٩٠١م / ١٣١٩هـ) أطلق على دول آسيا بما فيها الدول الإسلامية «أصدقاء السوء»[1].. استمرت الفكرة المشوهة باقية لفترة طويلة لترسخ في ذهن اليابانيين أن الإسلام دين يدعو إلى الحرب والقتال، ولا يسمح بوجود دين آخر معه داخل الدولة الواحدة، ويرغم أصحاب العقائد الأخرى على الدخول فيه بحد السيف، وما إلى ذلك من روايات[2].

من ناحية أخرى حرص الساسة اليابانيون على التعرف على نظام الخلافة وقدر الخليفة في قلوب المسلمين، كما أنهم كانوا يقدرون قوة العالم الإسلامي لو اتحدت أقطاره، وقد غضب بعض اليابانيين حين خُلِع السلطان عبد الحميد وأدخل السجن، فقد استنكروا أن يهان الخليفة بهذا الشكل[3]، وظهرت كتابات بأقلام يابانيين غير مسلمين عن الإسلام، أما على المستوى الرسمي فقد دفعت الحكومة بشاب يُدعى ياماوكا للدخول في الإسلام،

١- عصام حمزة: مصدر سابق، ص ١٤.

٢- حوار مع عطاء الله مهاجراني، مترجم في مختارات إيرانية، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٢م، ص ٧٤، نقلا عن عصام حمزة: ص ١٤.

٣- ورد ت قصة لتنظيم مظاهرات في مذكرات عبد الرشيد إبراهيم، انظر: كتاب هي سولي بالإنجليزية ص ٩١ Hiso Lee، The Advent of Islam in Korea.

وأرسلته إلى الحجاز للحج، وقد حسن إسلامه فيما بعد، وشهدت فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية جهودا يابانية لدعم العلاقات مع المسلمين في الصين وفي بقية بلدان آسيا لأسباب سياسية في المقام الأول يصعب ذكرها في هذا البحث[١].

لقد شجعت السلطات اليابانية اليابانيين المسلمين على الاتصال بالعالم الإسلامي كما دعمت مراكز البحوث وساعدت في إقامة المساجد، بل إن السلطات اليابانية أعادت النظر في الصفحات المتعلقة بالمسلمين وبالأتراك في الكتب المدرسية اليابانية، واعتمدت التصحيحات من قبل وزارة التربية والتعليم اليابانية[٢]، وشهدت الفترة ذاتها ظهور عدد من المسلمين اليابانيين المؤثِّرين في صنع القرار داخل اليابان، وعلى رأسهم الحاج نور محمد تناكا إيبيه ثاني حاج ياباني بعد عمر ياماوكا[٣]، وأيضا سوزوكي تاكشي محمد صالح الذي أدى الحج، وكان يقوم بمهام في إندونيسيا، وهناك من غير المسلمين من تأثر بالسيرة النبوية مثل أوكاوا شوميه الذي ترجم القرآن الكريم[٤]، وغيرهم كثيرون[٥].

في تلك الفترة دار الحوار بين مسلمين يابانيين وبين مواطنيهم يدعمهم

١- انظر: سمير، الإسلام والأديان في اليابان، وأيضا أبو بكر باقادر في بحثه بعنوان (العلاقات اليابانية العربية الإسلامية مسائل للتأمل)، ص ٦٠ وما بعدها، بحث في دراسات شرقية، ٢٠٠٤م.

٢- انظر: ميان عبد العزيز، الهلال في أرض الشمس المشرقة، ط لندن، ١٩٣٥م The Crescent in The Land of The Rising Sun by M. Abdul Aziz former Presedent of The All-India Moslem League Blades.East and Blades LTD.Abchurch Lane.London 1941.

٣-انظر: سمير، الإسلام والأديان في اليابان. وأيضا كتاب تناكا رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربية وبلدان آسيا، ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مؤسسة الملك فيصل، الرياض ٢٠٠٦م.

٤- انظر: أؤوتسوكا تاكيهيرو أوكاوا شوميه رائد مبدأ آسيا الموحدة، ترجمة فتحي محمد فتحي وآخرين، ص ٢٤٠، وكالة الأهرام، القاهرة، دون تاريخ أو ناشر.

٥- انظر: دراسات شرقية، باريس، مصدر سابق، ص ٣٢-٣٦.

أحيانا مسلمون قادمون في الغالب من الصين أو تتارستان أو الهند أو حتى من مصر[1]، كما أن اليابانيين الذين أسلموا كانوا في معظمهم ممن أسلم خارج اليابان سواء في الهند أو الصين أو في غيرها، ونلاحظ أن فترة ما قبل الحرب الثانية، ولأسباب سياسية في الأغلب، شهدت ثراءً كبيرا في الكتابات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية أو المتعلقة بالفكر الإسلامي بصفة عامة، وهذا يدل على أن الساحة اليابانية كانت تعد عدتها لخوض حرب سيكون فيها للمسلمين –على الأقل من وجهة نظر المفكرين اليابانيين– دور يمارسونه، وبالتالي يجب فهم عقيدة هؤلاء المسلمين، وكان الحوار متداخلا، يزيد من تداخله تغلب العقائد التراثية لدى اليابانيين جميعا دون تمييز بين نصراني أو مسلم أو بوذي أو شنتوي أو كونفوشي، ففكرة الإله لا تزال غير واضحة في الأذهان، وفكرة البعث يتم تقديمها بأشكال مختلفة لا تتفق مع عقيدة الإسلام، ولا حتى مع ما يراه النصارى، ولم تتيسر الفرصة لإجراء حوار بين اليابان والإسلام في صورة مبسطة وواضحة.

بدأ الحوار الهادئ بعد أن استعادت اليابان حقها في إدارة شؤونها عام ١٩٥١م / ١٣٧١هـ وتأسست جمعية مسلمي اليابان عام ١٩٥٢م / ١٣٧٢هـ، وسافر عدد من المسلمين اليابانيين إلى البلدان العربية والإسلامية، وعادوا ليحاولوا بقدر جهدهم إدارة حوار داخلي ياباني ياباني بين الإسلام وبقية المعتقدات التي تروج في اليابان وعلى رأسها البوذية، إلا أن الحوار كان ضعيفا يريد أن يحدد مسارات انطلاقه من خلال عقد ندوات أو إصدار مطبوعات أو المشاركة في العمل الإسلامي داخل اليابان وخارجه.

١– مثل عبد الرشيد إبراهيم من تتارستان، ومولوى بركة الله من الهند، واليوزباشي أحمد فضلي (صاحب كتاب سر تقدم اليابان، ط مصر ١٩١١م / ١٣٢٩هـ، والنفس اليابانية وغيرهما) من مصر. للمزيد من المعلومات انظر: الإسلام والأديان في اليابان.

سعي اليابان إلى إجراء حوار ياباني إسلامي وطبيعة هذا الحوار:

مارست الظروف السياسية والاقتصادية دورا كبيرا في اهتمام اليابان بتقوية علاقاتها مع العالم العربي والإسلامي، ودعم تأسيس مراكز البحوث والجمعيات المهتمة بدراسات الشرق الأوسط، كما رحبت بتأسيس فرع لجامعة الإمام في طوكيو عام ١٩٨٢م / ١٤٠٣هـ تحت مسمى المعهد العربي الإسلامي، رافقه افتتاح مبنى متعدد الطوابق للمركز الإسلامي ليؤدي دورا بارزا في دعم الحوار الإسلامي الياباني من خلال أنشطته المتعددة، جنبا إلى جنب مع أنشطة جمعيات الجاليات التركية والإندونيسية والباكستانية وغيرها، وظهرت تجمعات إسلامية حول طوكيو، ونشر عدد من المطبوعات الإسلامية، وازدهرت الدراسات العربية الإسلامية على يد اليابانيين المسلمين وغير المسلمين، وساعدت أنشطة جمعية الصداقة السعودية اليابانية وجمعية الصداقة الكويتية اليابانية على دعم الحوار الإسلامي الياباني، لكن الملاحظ هو وجود خلط وتداخل في لغة الحوار بشكل كان من الصعب التمييز فيه بين المعتقدات ذاتها، فاليابان بلد علماني، وهو يسمح بالحرية الدينية دون تدخل الجهات الرسمية إلى جانب أي معتقد، ومن هنا ظهرت أصوات أربكت مسيرة الحوار الإسلامي الياباني داخل اليابان، كما أن الأحداث المؤسفة التي ألّمت بالعالم الإسلامي كالحرب بين إيران والعراق كان لها تأثيرها السلبي بشكل أو بآخر على نظرة الشعب الياباني للإسلام والمسلمين، وقد ظهرت كتابات يابانية تحاول تأصيل الصراع المذهبي في الإسلام، وتنبش في التاريخ الإسلامي عن صراعات شبيهة، ثم كانت جريمة غزو صدام للكويت، فربط العديد من اليابانيين بين صدام والإسلام، ووقعت حوادث أخرى متفرقة أثارت الشعب الياباني، مثل حادثة الأقصر الإرهابية عام ١٩٩٦م / ١٤١٧هـ التي صدمت اليابانيين وجعلت الصحف اليابانية تكتب عن الإسلام أنه دين إرهاب، كما نشرت إحدى

الصحف حديث سفير اليابان في السودان آنذاك الذي صرح بأن الإسلام دين يحث على قتل غير المسلم.

ومع هذا، فقد دخل في الحوار نفر من الباحثين اليابانيين الذين فسروا تلك الأحداث وربطوها بالإرهاب العالمي بل بسياسات الدول العظمى التي تربي قادة الإرهاب على أراضيها، بل نالوا أحيانا حمايتها بدعوى الديمقراطية، كما كان لزيارات الشخصيات العربية المهمة مثل زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد آنذاك، وحديثه الواضح للإعلام الياباني، ودعوته مسلمي اليابان أن يعملوا لخدمة وطنهم، وأن يمتثلوا لقوانين بلادهم وقيمها لأنها لا تختلف في شيء عن قيم الإسلام، كان لمثل هذه الزيارات أعظم الأثر في عودة الحوار الياباني الإسلامي إلى مجراه من جديد، وخاصة أن خادم الحرمين الشريفين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد آنذاك، في زيارته للصين وجه مسلمي الصين بهذه النصيحة أيضا، وقد غطت الصحف اليابانية هذه الزيارة وأشادت بالأفكار التي عرضها ولي العهد وبمسؤولية الحوار الإسلامي الذي قدمه نموذجا يُحتذى به في التخاطب مع الشعب الياباني.

هكذا بدأ الحوار يأخذ طريقا واضحا، وظهر عدد كبير جدا من المفكرين اليابانيين والباحثين اليابانيين، مسلمين وغير مسلمين، اهتموا بإشباع حاجة الدارسين والشعب الياباني إلى التعرف على الإسلام[1].

وعلى المستوى الرسمي أدركت اليابان أن مجال الدراسات الإسلامية والحضارة الإسلامية والحوار الإسلامي ليس قاصرا على بلدان الشرق الأوسط فقط بل يتسع ليشمل بلدان آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا والبلقان وغرب إفريقيا، ومن هنا بدأ المشروع الذي أداره البروفسور ساتو تسوغيتاكا تحت إشراف وزارة التربية والتعليم وأطلق عليه اسم دراسات

١- انظر: الأسماء ص ٤٢ وما بعدها، دراسات شرقية، باريس.

الحضارة الإسلامية[1].

كان الحوار هنا تلبية لحاجة المجتمع الياباني إلى التعرف على الإسلام وعلى المسائل الحياتية التي كان يستعصي على اليابانيين فهمها، وقد اهتم بالأمر الباحثون اليابانيون المسلمون وغيرهم من بعض المقيمين أو الوافدين على اليابان، وكان الحوار ينطلق من خلال ندوات تعقد لدراسة موضوع معين تفرضه متطلبات الظروف، ويبدو أن اليابان بدأت تنظر إلى العالم الإسلامي نظرة شاملة؛ فلم يعد هو الشرق الأوسط مصدر البترول بل بدأت تستعيد ذكرى فكرة آسيا الكبرى بزعامة اليابان، ومن هنا توسعت رقعة الحوار بين اليابان والإسلام لتشمل كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين على خارطة العالم، وهنا نشير إلى أن اليابان هي التي كانت تسعى في معظم الأحيان رلى التحاور بينما اقتصر جانب العالم الإسلامي على الزيارات الرسمية التي قام بها الملوك أو الرؤساء، فكان الحوار يدور في نطاق سياسي وينتهي بانتهاء الزيارة وصدور توصية قد يتم تفعيلها أو تنسى.

وبينما كانت اليابان تسعى إلى تفعيل الحوار مع العالم الإسلامي إذا بأحداث الحادي عشر من سبتمبر تفاجئ العالم أجمع، ولما كانت الأحداث تتعلق بشكل أو بآخر بالإسلام، فقد كان من الضروري أن تسعى اليابان إلى فهم الأسباب التي أدت إلى هذا الحدث الذي هز العالم أجمع، وقد أثار هذا الحدث تساؤلات كثيرة لدى أبناء الشعب الياباني بجميع طوائفه الذين لم يعرفوا –في جملتهم– شيئا عن الإسلام والعالم الإسلامي، وكان على رأس هذه التساؤلات: ما طبيعة العقيدة التي جعلت أولئك الذين غامروا أو ضحوا بأنفسهم يتحولون –بالمفهوم الياباني– إلى عاصفة إلهية أو كامي كازيه Kami Kaze؟ ما الذي وحد بين أولئك الأفراد الذين ينتمون إلى بلدان وأقطار مختلفة؟ وغيرها من التساؤلات التي احتلت مساحات واسعة على صفحات الصحف والمجلات المنتشرة في عموم اليابان.

١–بدأ العمل في المشروع عام ١٩٩٧ واستمر لخمس سنوات.

لقد سرّعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر من وتيرة سعي اليابان إلى الحوار مع العالم الإسلام ليس على المستوى الاقتصادي -كما كان متوقعا- بل على المستوى الثقافي في المقام الأول، وانشغل الباحثون اليابانيون، تدعمهم مراكز البحوث المدعومة من قبل الحكومة اليابانية، بالكتابة عن الإسلام والمسلمين، وتحليل مفاهيم الجهاد في الإسلام ومفهوم الشهادة، وأكثر من ذلك الاهتمام بالقرآن الكريم دستور الإسلام ومصدر التشريع، والاهتمام بالسيرة النبوية وعصر انتشار الإسلام، ودخل الساحة مفكرون اهتموا بتحليل الفكر السياسي الإسلامي لدى كبار المفكرين المسلمين، وترجمت العديد من الكتب عن العربية والإنجليزية، وكان الشعب الياباني يفتش في المكتبات عن كل ما يتعلق بالإسلام.

وتأثر الإعلام الياباني في تلك الآونة بالإعلام الغربي نظرا للدعايات المكثفة من قبل أجهزة الإعلام الغربية التي تأخذ عنها أجهزة الإعلام اليابانية ما تبثه فيما يتعلق بالإسلام، ومحاولة الربط بينه وبين الإرهاب، إلا أن الجامعات اليابانية ومراكز البحوث فضلا عن المنظمات اليابانية الدينية الرسمية، كان لها موقف مختلف؛ فقد سعت إلى التعرف على الحقائق حول الإسلام، ودراسة الأسباب والمسببات عن طريق الحوار الفعال مع المفكرين المسلمين، وهكذا عقدت هيئة الأديان اليابانية ندوة عالمية في أغسطس عام ٢٠٠٢م في مدينة كيوتو تحت عنوان (حوار مع الإسلام من أجل السلام) واستمع الحضور إلى فكر إسلامي يختلف تماما عما أذاعته أجهزة الإعلام الغربية عن الإسلام والمسلمين؛ وهو ما دفع بالقائمين على الندوة إلى العمل على عقد صلات مستمرة مع المؤسسات والهيئات العلمية والجامعات في بلدان العالم الإسلامي للتعرف بشكل مباشر على كل ما يتعلق بالإسلام[١]،

١- جريدة الأهرام ١٢ أغسطس ٢٠٠٢، وأيضا ١٩ أغسطس ٢٠٠٢م، أحمد حسيني هاشم. وانظر: نشرة المؤتمر الصادرة باليابانية والإنجليزية أغسطس ٢٠٠٢م، وصحيفة كيوتو تايمز الأسبوعية اليابنية ٨ أغسطس ٢٠٠٢، وأيضا مجلة الصداقة السعودية اليابانية، العدد ٢٠٩ سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ١٢.

وحرص منظمو هذا المؤتمر العالمي، وهم ينتمون في معظمهم إلى طائفة التنداي البوذية تدعمهم جميع الطوائف الدينية في اليابانية: البوذية والشنتوية والمسيحية والمسلمة، إلى دعوة ممثلي طوائف دينية من بلدان العالم المختلفة من الهند وأمريكا اللاتينية وإفريقيا وغيرها لإجراء حوار يستمر يومين، ثم يقومون بعد ذلك بالدعاء، كل طبقًا لعقيدته، من أجل أن يحل السلام بين البشر جميعا.

وتحرص الحكومة اليابانية على دفع الهيئات الدينية في اليابان إلى دعوة ممثلي أديان ومعتقدات العالم إلى القدوم إلى اليابان والمشاركة مع ممثلي الأديان في اليابان في ندوة حوار ديني على هامش المؤتمرات السياسية وبخاصة مؤتمر مجموعة الدول الثماني الكبرى، وكان آخرها تلك الندوة التي عقدت في ٧- ٨ يوليو ٢٠٠٨م في سابورو بشمال اليابان[١]. وهكذا فالهيئات الدينية اليابانية الرسمية تلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومة ليس بسبب مساندة الحكومة للأديان؛ فهذا غير مسموح به قانونا فيما يطلق عليه بالدولة العلمانية، لكن بسبب ما سيتحقق من نتائج إيجابية عن طريق حوار بناء بين ممثلي أديان العالم وممثلي معتقدات طوائف العالم المختلفة.

إن الدعوة التي أطلقها السيد كونو للحوار مع العالم الإسلامي تدل على حرص اليابان على أن تمارس دورا قياديا بين دول آسيا والاضطلاع بدور

١-انظر: The Japan Times، Thursday، July 3،2008 under the title، G8 Summit 2008 Religious Leaders hold peace parley in Hokkaido

ذكرت الصحيفة أن ٣٠٠ من ممثلي الأديان من أكثر من عشرين دولة عقدوا اجتماعا لمناقشة السلام، وذلك قبل انعقاد لقاء الدول الثماني الكبرى، ويشمل ممثلين عن المسيحية واليهودية والبوذية والإسلام والزردشتية، قاموا بإعداد صيغة لمقترحات السلام خلال مؤتمرهم الذي استمر ليومين، وناقشوا انتشار الحروب ومشاكل الفقر والتغيرات المناخية والإرهاب ليقدموا مقترحاتهم إلى رئيس الوزراء الياباني ياسؤو فوكودا الذي ترأس اجتماع قمة الدول الصناعية الثماني الكبرى ما بين ٧-٩ يوليو في سابورو.

مهم في المنطقة، ولديها خبرة تاريخية قديمة، ومن هنا سعت إلى عقد ندوات حوار إسلامي ياباني خارج اليابان[١].

إن اليابان تسعى –كما يذكر أحد الباحثين المتخصصين–[٢] من خلال مبادرة الحوار الحضاري مع العالم الإسلامي إلى « تحقيق الدور القيادي لاستكمال مشروعها القومي في القرن الجديد».

وعلى الرغم من أن المبادرة اليابانية تركز على الجانب الاقتصادي بالمفهوم الواسع، فإن اليابان ترى الشرق بتعدديته الحضارية ليس في حاجة إلى الصراع، ففلسفاته لم تبنَ على الصراع بل على التعايش والأخذ من كل الثقافات، والمجتمع الياباني خير مثال على ذلك[٣]، ولما كان الغرب يؤمن بنظرية الصراع، فاليابان التي تمثل نموذج التواصل الحضاري والامتزاج الثقافي ترى أن يتميز دورها بتحقيق أمن البشرية في آسيا، ومن هنا عليها أن تدير حوارا حضاريا مع العالم الإسلامي، وبخاصة الجزء العربي منه المؤثر في سائر الأقطار الإسلامية. إن اليابان تتوقع بدورها أن تُقبل الشعوب الإسلامية على الحوار معها حتى يعرف اليابانيون المزيد عن العالم الإسلامي، فالدول الإسلامية مهمة بالنسبة لليابان.

دعم اليابان الرسمي للمراكز البحثية المتخصصة في الحوار:

تهتم اليابان اهتماما واضحا بدعم البحوث والدراسات التي تهدف، في النهاية، إلى تحقيق شراكة في مجال تبادل المعلومات الدقيقة المتعلقة بما يفكر فيه الآخر، ومن هنا تأسست مراكز بحوث داخل الجامعات اليابانية يصعب حصرها ضمن برنامج أطلق عليه «برنامج المراكز المتميزة COE للقرن الواحد والعشرين»، وتتعدد المراكز البحثية في الجامعة الواحدة طبقا

١– كتلك التي عقدت في البحرين ثم في طوكيو، وتلك التي عقدت في الرياض والقاهرة وطهران، انظر موقع ندوة الحوار – مملكة البحرين على الإنترنت.

٢– عصام حمزة: مصدر سابق، ص ١٥.

٣– عصام حمزة، المصدر السابق، ص ١٧.

لاهتمامات الجامعة المتعددة، وقد حظيت جامعة دوشيشا بدعم وزارة التعليم اليابانية ليكون مركز دراسات الأديان التوحيدية الذي يعرف اختصارا باسم (سيسمور CISMOR) ضمن هذه المراكز المتميزة COE وقد تأسس عام ٢٠٠٣م، ويعد نموذجا لإدارة حوار علمي بناء بين الديانات التوحيدية والمعتقدات الشرقية الأخرى كالبوذية وغيرها، فلم تؤخذ الديانات التوحيدية أي اليهودية والمسيحية والإسلام ببساطة على أنها دراسة مقارنة للأديان بل على أنها دراسة متنوعة ومتعددة الموضوعات فيما يتعلق بهذه الديانات وحضاراتها العظيمة، مع الأخذ في الاعتبار تنوع وجهات النظر واختلاف الرؤى عن الأمن العالمي ونظرية الحضارة والتمدن وتاريخ العلوم[١]. ويضم المركز نحو عشرين عضوا معظمهم من كلية الإلهيات فضلا عن عدد كبير من أساتذة الجامعات اليابانية ومراكز البحوث والهيئات البحثية والإعلاميين والصحافيين ممن ينتمون إلى تخصصات متنوعة، يشاركون في برنامج البحوث من خلال المجموعات البحثية المتنوعة[٢].

يرتبط مركز «سيسمور CISMOR» بكلية الإلهيات للدراسات العليا التي شاركت منذ مدة في أنشطة بحثية وتعليمية تتعلق بدراسة اللاهوت المسيحي وبخاصة اللاهوت البروتستانتي، لذا حين تم اختيار موضوع دراسات الأديان التوحيدية ليكون ضمن برنامج المراكز المتميزة قامت الكلية بتوسيع مجال أنشطتها البحثية والتعليمية لتشمل البحث في الأديان كلها، وعينت أساتذة متخصصين في الدراسات الإسلامية منهم أستاذان يابانيان مسلمان.

وكانت هناك عدة أسباب دعت كلية الإلهيات إلى توسيع أنشطتها البحثية والتعليمة ضمن أعمال «سيسمور CISMOR» أولها يعكس بالضرورة احتياجات العصر، فمن الواضح أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر

١- تقديم موري كوئتشي موري، ص ٤، سجل ندوة الحرب والعنف في الأديان ردود من عالم التوحيد، مركز الدراسات المتعددة الموضوعات للأديان التوحيدية، جامعة دوشيشا، فبراير ٢٠٠٤م.

٢- انظر موقع سيسمور: www.cismor.jp

والحرب على العراق فضلا عن مشكلة فلسطين لها تأثير على سلام العالم المعاصر وأمنه، كما أن الأديان التوحيدية ترتبط ارتباطا وثيقا بأي مشكلة من المشاكل، والسبب الثاني هو تطوير الخدمات الاجتماعية لكلية الإلهيات عن طريق تقديم معلومات دقيقة للمجتمع الياباني عن هذه الأديان، والسبب الثالث يتمثل في تطوير منهج دراسة علم اللاهوت المسيحي؛ وذلك لإيجاد وسيلة للحوار مع الأديان الأخرى، ومن هنا يمكن تطوير نظرية اللاهوت المتعلقة بالحوار كوسيلة لإعادة دراسة اللاهوت المسيحي ذاته، ومن هذا المنطلق نشعر بأن التعايش السلمي بين الأديان والحضارات أصبح ضرورة حتمية في عالم اليوم[١].

ندوات «سيسمور CISMOR» الدولية والحوار:

بدأت أنشطة «سيسمور CISMOR» عام ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ بعقد ندوة عن الحرب والعنف في الأديان على أن تكون الردود من ممثلي الأديان التوحيدية خلال فبراير ٢٠٠٤م / ذو الحجة ١٤٢٤هـ، وقد شارك في الندوة ثلاثة وعشرون باحثا من اثنتي عشرة دولة بالإضافة إلى عدد كبير من طلاب الدكتوراه الذين شاركوا في الحوارات مع الباحثين اليابانيين وخريجي الجامعات من طلاب الدراسات العليا، وبينما كانت الجلسة الأولى مفتوحة شارك فيها نحو ثلاثمائة وخمسين مشاركا فقد اقتصرت الجلسات الثلاث الأخرى على الباحثين المتخصصين، وتمت طباعة البحوث والحوارات وما دار من نقاش في السجل العلمي للندوة الذي صدر بثلاث لغات: العربية واليابانية والإنجليزية، ومن بين موضوعات الحوار الذي دار في الندوة: الجهاد في الإسلام ونظرية الحرب المبررة أو العادلة وأخلاقيات اللاعنف في النصرانية، وكانت هناك مناقشات ساخنة نظرًا لاختلاف مفهوم الحرب في الأديان وأيضا قضايا الفلسطينيين ومشاكلهم، وأحداث الحادي

١- ص ٦ ، سجل ندوة الحرب والعنف في الأديان، مصدر سابق.

عشر من سبتمبر، والحرب على العراق.

وكان من المؤمل، كما ذكر مدير مركز «سيسمورCISMOR» البروفسور كوإتشي موري، أن يكون الحوار بين الأديان ضمن «مناقشات جذابة» بين محاورين يمتلكون وجهات نظر مشتركة إلا أن النقد اللاذع الذي تبادله المحاورون كان السمة العامة التي سادت تلك الندوة العالمية، وتطور الأمر أحيانا إلى أن وصلت المناظرة إلى نقاش ساخن بين أفراد ينتمون إلى نفس الدين وذلك نتيجة لاختلاف فهمهم لمفهوم الحرب في النص الديني[١].

كما أنه، انطلاقا من أسس التفاعل الإنساني في الندوات العالمية في المواقع ذات العلاقة، ومن خلال الرؤى التي اتضحت من تبادل البحوث، رأى الباحثون في سيسمور CISMOR القيام بمسح شامل وتقييم وزيارات لمنطقة الشرق الأوسط وغيرها من أجل دراسة إمكانية إجراء بحوث مشتركة، ومن أجل تبادل البحوث مع كليات أو أقسام الدراسات العليا ومراكز البحوث المنتشرة حول العالم[٢].

إن هدف التعليم ضمن برامج المراكز المتميزة هو تربية متخصصين يمكنهم الإسهام في التعايش السلمي بين الحضارات في عالم يزداد فيه الصراع يوما بعد يوم. إن دراسة الحوار ليس موضوع بحث قاصر على الأفراد أو خاص بطلاب الدراسات العليا ممن يدرسون الأديان ومعتقدات الشعوب، لكنه سيصبح من أساسيات العمل المستقبلي للمتخصصين في التعايش السلمي بين الحضارات، ومن هنا رأى المركز عمل دورات لطلاب الدراسات العليا في اللغتين العربية والإنجليزية مع إرسالهم في رحلات

١- ص ٨ ، سجل ندوة الحرب والعنف في الأديان.

٢- تم عقد اتصالات مع المعهد العربي الإسلامي فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في طوكيو، وعقد المركز اتفاقية مع مركز الشيخ كفتارو في دمشق، وعقد اتفاقية مع الجامعة الإسلامية الدولية في ماليزيا، وعقد اتفاقية رسمية مع مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، وصدر العدد الأول من المجلة المشتركة، دراسات يابانية وشرقية في يوليو ٢٠٠٧، العدد الثاني في يوليو ٢٠٠٨م، وهناك اتفاقيات مع جامعات ومراكز بحوث أخرى حول العالم، انظر موقع سيسمور على شبكة الإنترنت.

خارجية إلى البلاد العربية والإسلامية وإلى غيرها.

وركزت الندوة الدولية الثانية التي عقدت في نوفمبر ٢٠٠٥ م/ شوال ١٤٢٦هـ على الحوار مع شرق آسيا، مع باحثين من إندونيسيا وماليزيا والصين وكوريا والفلبين، فبلدان شرق آسيا تشهد صحوة دينية تتخطى الحدود القومية على نحو معاكس للتنبؤات السابقة بخصوص التحديث والعلمانية، ويعتقد عادة أن شرق آسيا يفتقر إلى وحدة إقليمية لافتقاره إلى حضارة مشتركة أو دين مشترك أو تاريخ مشترك مثل الاتحاد الأوربي مثلا أو العالم العربي، بيد أن شرق آسيا لأجيال عديدة شكل مجتمعا متعدد الأبعاد، ومجالا للتفاعل، يتقاسم أديانا ومعتقدات متعددة بما فيها الكونفوشية والطاوية والهندوسية والبوذية والمسيحية والإسلام. ومن هذا المنطلق، يمثل شرق آسيا منطقة متقدمة تتميز بالعمق الديني الغني، وتتقاسم تنوعا رائعا، وتحمل إمكانية تشكيل بديل أو نقيض للعولمة التي تدعو إلى التجانس العالمي القائم على المنطق المادي أو الاقتصادي.

في هذه الندوة التي شارك فيها أحد عشر باحثا من خارج اليابان، دار الحوار حول إعادة النظر في التحديث وتشكيل الهوية القومية في بلدان المحاورين الذين قدموا من إندونيسيا وماليزيا والصين وكوريا والفلبين، وإنجاز حوار فيما يتعلق بالعولمة وإحياء الدين، وتبادل الأفكار والآراء الصريحة حول مستقبل منطقة شرق آسيا بخاصة والعالم بعامة، وتقديم وجهة نظر لعالم تتعايش فيه الثقافات والحضارات والأديان والمعتقدات المتنوعة[١].

أما الندوة الثالثة التي استضافها مركز دراسات الأديان التوحيدية، فعقدت في نوفمبر ٢٠٠٦م / شوال ١٤٢٧هـ، وكانت من أجل حوار لفهم أوربا لذاتها والأديان الإبراهيمية، وكان اختيار الموضوع راجعا لعدة أسباب من

١- انظر ص ٣، السجل العلمي لندوة سيسمور الدولية ٢٠٠٥م، تحرير سمير عبد الحميد نوح، سيسمور كيوتو، ٢٠٠٦م.

بينها الأحداث التي وقعت في إنجلترا وإسبانيا ومحاولة أفراد بريطانيين تفجير طائرات ركاب، والاضطرابات العنيفة التي ارتبطت ببعض المسلمين المقيمين في فرنسا، وحادثة الرسوم الكاريكاتيرية في الدنمارك[١]، وبيان البابا بينديكت السادس عشر عن الإسلام[٢]؛ وهو ما جعل مجلس إدارة سيسمور CISMOR يشعر بأن الكيفية التي ينبغي أن تفهم بها أوربا ذاتها تشكل قضية ملحة في وقت تتحرك فيه القارة نحو اتحاد يضمها يحمل اسم الاتحاد الأوربي، واستشعارا من إدارة سيسمور CISMOR بأن مشكل التعايش وعدمه بين التدين والعلمانية يرتبط أيضا بقرار الاتحاد الأوربي كما أظهرت حادثة الرسوم الكاريكاتورية، لهذا كان اختيار هذا الموضوع للحوار، فمن الواضح أن فهم أوربا لذاتها أصبح قضية ملحة لدول الاتحاد الأوربي نظرا لتزايد أعداد المهاجرين المسلمين والمواطنين المقيمين في هذه الدول، ودار حوار وطرحت تساؤلات عديدة منها: كيف يمكن التعايش مع التقاليد الدينية الإسلامية؟ كيف يمكن إيجاد طرق تواصل بين العولمة الغربية والتقاليد الإسلامية، وكيف يمكن التعايش بينهما؟ فهذه قضايا مهمة حاسمة في الوقت الحاضر ليس للاتحاد الأوربي فقط بل للعالم أجمع. كما أن مشكلة فلسطين والصراع الفلسطيني الإسرائيلي يشكل رمزا للمواجهة بين العولمة ممثلة في الدوائر الغربية والدين الإسلامي، ومن هنا كان التركيز في حوارات هذه الندوة على مشكلة فهم أوربا لذاتها في السياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية والأيدلوجية المشار إليها سابقا[٣].

١- على هامش أنشطة سيسمور، صدر باليابانية كتاب عن ردود فعل الرسوم الكارتونية المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم في أنحاء العالم، وقد حرره وأشرف على إصداره البروفسور كوإتشي موري، وشارك في إعداد بحوثه معظم أساتذة سيسمور، فضلا عن باحثين من أوربا. انظر مجلة الفيصل، عرض للكتاب بقلم سمير عبد الحميد.

٢- كتب البروفسور كوإتشي موري بحثا عن هذا الموضوع، ويمكن الاطلاع عليه باليابانية أو الإنجليزية أو العربية على موقع سيسمور.

٣- انظر ص ٣، ٤، كوإتشي موري.

طبيعة الحوار بين الأديان التوحيدية والمعتقدات الشرقية:

ضمن الأنشطة البحثية لمركز دراسات الأديان التوحيدية، نظمت مشروعات بحثية متخصصة تقوم بها مجموعات معينة، فالمجموعة الأولى على سبيل المثال متخصصة في موضوع «إعادة البحث في التوحيد والشرك نحو حوار جديد للحضارات»، والمقصود هنا التمعن في الأديان التوحيدية والمعتقدات الشرقية كالبوذية والشنتوية وغيرها أو ما يطلق عليه الشرك، والكلمة هنا مقبولة غير مبذولة، بل قد يحدث فهم عكسي للتوحيد والشرك من خلال تقويم بعض الباحثين الذين لا ينتمون إلى عقيدة معينة. أما مشروع المجموعة الثانية فهو «الإستراتيجية العالمية وعالم التوحيد»، والمجموعة الثالثة تبحث في «العلم والتحديث في عالم التوحيد»، وأيضا «آراء الأديان اليابانية في الأديان التوحيدية»، وتبحث المجموعة الخامسة في التعايش مع الأديان الأخرى والإسلام بين التقليد والاستجابة للعالم المعاصر»[١]، وأحيانا تعقد مجموعتان معا حلقة نقاش مشتركة، وتتنوع موضوعات كل مجموعة من سنة لأخرى[٢].

وأخيرا ينظم «سيسمور CISMOR» محاضرات عامة يدعى إليها متخصصون من داخل اليابان وخارجها، يتبعها في معظم الأحيان حوارات مغلقة مع الباحثين، وفيما يلي ذكر نماذج تدل على طبيعة الحوار الذي دار بين الأديان التوحيدية، وبخاصة الإسلام، والمعتقدات الأخرى ضمن أنشطة العام الدراسي ٢٠٠٥- ٢٠٠٦م والعام الدراسي ٢٠٠٦-٢٠٠٧م:

- حوار بين الأديان التوحيدية في الشرق الأوسط: محاضرة ألقاها السفير حسن أبو نعمة (المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان) في كلية الإلهيات، ودار بعدها حوار مايو ٢٠٠٥م / ربيع الثاني ١٤٢٦هـ.

١- انظر ص ٥، ٦: السجل العلمي لندوة سيسمور ٢٠٠٦م، فهم أوربا لذاتها والأديان التوحيدية، تحرير سمير عبد الحميد نوح، سيسسمور، كيوتو، فبراير ٢٠٠٨م.

٢- انظر: سجل ندوة سيسمور لعام ٢٠٠٥م، ص ١١-١٩.

– العاطفة الدينية في الإسلام – مقارنة بوجهة نظر اليابانيين عن الدين: محاضرة ألقتها في كلية الإلهيات الأستاذة يوشيكو أودا الأستاذة بجامعة كانساي، وعلق وأدار الحوار تاكيهيتو مياكيه بجامعة دوشيشا، ١٨ يونيو ٢٠٠٥م / جمادى الثانية ١٤٢٦هـ.

– الجهاد في ضوء التفسير القرآني: محاضرة ألقتها الأستاذة كازوكو شيوجيري الأستاذة بجامعة تسوكوبا في كلية الإلهيات، أكتوبر ٢٠٠٥م / شعبان ١٤٢٦هـ، وعلق وأدار الحوار كل من الأستاذ معمر جونيا شينوهيه وحسن كو ناكاتا الذي حاور بورقة بعنوان (الجهاد والعالم الإسلامي) في جلسة بحثية أعقبت المحاضرة، ودار الحوار في مبنى «كانباي كان» خارج كلية الإلهيات، وشارك فيه عدد من باحثي سيسمور، واستمر قرابة ثلاث ساعات ونصف.

– التعايش مع الأديان الأخرى في الإسلام: قام عدد من الباحثين في نوفمبر ٢٠٠٥م / ذو القعدة ١٤٢٦هـ بإلقاء بحوث متنوعة ليدور حوار في جلستين، كان موضوع الأولى عن مستقبل جنوب الفلبين وقضاياه بعد اتفاقية السلام عام ١٩٩٦م / ١٤١٧هـ، فتحدث الأستاذ رفا غيام من جامعة ميناناو الحكومية عن جلب المهمشين إلى التيار الأساسي، دور نساء البانغانسمورو في عملية السلام في إقليم الحكم الذاتي في ميندناو الإسلامية ARMM، ثم تحدث ماريتيس فيتوغ من مجلة نيوز بريك عن الاحتمالات المستقبلية لاتفاقية السلام مع منظمة ARMM وعلَّقَ مي إتش كين الباحث بسفارة اليابان في سنغافورة. وكان موضوع الجلسة الثانية: الدراسات الإسلامية والحركة الإسلامية في جنوب شرق آسيا، وتحدث صولحين محمد من الجامعة الإسلامية الدولية في ماليزيا عن التقليد والمعاصرة في الدراسات الإسلامية في جنوب شرق آسيا، بينما تحدث إسماعيل يوسانتو من الجامعة الإسلامية الوطنية الإندونيسية عن تنوع الحركات الإسلامية في جنوب شرق آسيا، وعلق كوباياشي ياسوكو من جامعة نانزان اليابانية. وقد حضر

عدد كبير من الباحثين اليابانيين وغيرهم وشاركوا في النقاش والحوار الذي استمر يوم ٨ نوفمبر ٢٠٠٥م / ٥ ذو القعدة ١٤٢٦هـ عقب انتهاء الندوة الدولية لسيسمور ٥-٧ نوفمبر ٢٠٠٥م / ٣-٤ ذو القعدة ١٤٢٦هـ، التي عقدت بعنوان «التحديث والهوية القومية في شرق آسيا- العولمة وإحياء الدين»، وصدر سجلها العلمي بالعربية والإنجليزية واليابانية[١].

- في إطار المشروع البحثي الخاص بتصور الأديان غير الإسلامية في الكتب الدراسية في الشرق الأوسط وتداعياتها، ألقى الأستاذ محمد بودودو من جامعة محمد الخامس بالمغرب محاضرة في «سيسمور CISMOR» بعنوان: الإسلام الهجرة وسياسة الدمج الأوربية، ثم ألقى الأستاذ المصطفى الرزرازي من مشروع الإسلام الآسيوي العربي البحثي ورقة بعنوان: التعليم الديني وقبول الآخر، ودار حوار ونقاش، وذلك في ديسمبر ٢٠٠٥م / ذو الحجة ١٤٢٦هـ.

- شارك سيسمور في ندوة دولية عقدت بمركز الشيخ أحمد كفتارو بدمشق في موضوع: الإسلام والمسلمون في الدول غير الإسلامية، ما بين يومي ٢٨- ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م / ٢٦-٢٧ ذو الحجة ١٤٢٦هـ.

- في ندوة حضرها أساتذة من الجامعات اليابانية المختلفة تحدث البروفسور ياسوشي كوسوغي من جامعة كيوتو عن: الديمقراطية الإسلامية نماذجها وتجربتها وإمكانيات تطبيقها، وعلق كينجي توميتا من جامعة دوشيشا وكوإتشي موري مدير سيسمور، وتم تناول موضوعات أخرى في الندوة التي عقدت في ٢١ يناير ٢٠٠٦م / ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٦هـ.

- وفي ندوة عقدت في ١٥ مارس ٢٠٠٦م / ١٧ صفر ١٤٢٧هـ ألقى تيتسو ياما أوري الأستاذ غير المتفرغ بمركز البحوث الدولية للدراسات اليابانية بحثا بعنوان: آراء الأديان التوحيدية في أديان اليابان، وعلق عليه كوإتشي

١- السجل العلمي لندوة سيسمور عام ٢٠٠٥م، تحرير سمير عبد الحميد نوح، سيسمور ٢٠٠٦م.

موري وإيسايا تيشيما من جامعة دوشيشا، وشارك في الحوار عدد من الباحثين من الجامعات اليابانية.

- الإسلام والتحديث في ماليزيا مع إشارة خاصة إلى سياسة الأسلمة لمهاتير محمد والإسلام الحضاري لبدوي، عرض الموضوع عثمان بكر الأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ودار حوار مع الباحثين والأساتذة من جامعة دوشيشا وغيرها، وذلك في ٦ مايو ٢٠٠٦م / ٤ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ في مقر سيسمور.

- في ندوة عقدت في ١٣ مايو ٢٠٠٦م / ١١ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ بمكتب جامعة دوشيشا في طوكيو بسط الأستاذ عثمان بكر موضوع الحوار بين الأديان من منظور تاريخ الحضارة الإسلامية، وعلق إيسايا تيشيما من جامعة دوشيشا وتاكافومي كاواباتا من وزارة الخارجية اليابانية، ودار نقاش وحوار مع الباحثين من مختلف الجامعات اليابانية وبخاصة جامعات طوكيو.

- في ندوة عامة عقدت في ٤ يونيو ٢٠٠٦م / ٣ جمادى الثانية ١٤٢٧هـ في جامعة دوشيشا، وعلى مدار جلستين ناقش المحاضرون إيسايا تيشيما وكاتسوهيرو كوهارا وحسن كو ناكاتا من جامعة دوشيشا موضوع: اليهودية والمسيحية والإسلام كأديان توحيدية: الفهم المشترك من منظور الأصولية، وعلق عليهم ساداميتشي أشينا من جامعة كيوتو، وفي الجلسة الثانية ناقش أكيرا أوسوكي من جامعة اليابان للبنات وكوإتشي موري من جامعة دوشيشا وماسانوري نايتو من جامعة هيروشيما موضوع: معالم الأصولية المعاصرة.. حالات الشرق الأوسط والولايات المتحدة والاتحاد الأوربي، وعلق عليهم إيسايا تيشيما، ودار حوار ونقاش شارك فيه عدد من الأساتذة والباحثين من جامعة دوشيشا وغيرها.

- في ديسمبر ٢٠٠٦م / ذو القعدة ١٤٢٧هـ، ألقى السفير السعودي الأستاذ

فيصل بن حسن طراد محاضرة عامة في كلية الإلهيات بعنوان المملكة العربية السعودية ودورها في إرساء السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وقد حضرها فضلا عن الأساتذة والباحثين، عدد كبير من الجمهور من كيوتو وخارجها، ودار حوار ونقاش بعد المحاضرة.

– في مكتب الجامعة بطوكيو، عقدت حلقة نقاش في ١٦ ديسمبر ٢٠٠٦م / ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٧هـ بعنوان: التوحيد والشرك: فكرة التوحيد في الهند، فقدم توشيفومي غوتو الأستاذ بجامعة طوهوكو بحثا بعنوان: التوحيد من منظور الدين الإيراني الهندي القديم، وقدم هيروشي ماروي الأستاذ بجامعة طوكيو بحثا بعنوان: التحقق من فاعلية الشعائر الدينية في الفلسفة الهندية: الدفاع والتسامح، وعلق على البحثين كل من يوشيتوغو ساواي الأستاذ بجامعة تينري، وحسن كو ناكاتا الأستاذ بجامعة دوشيشا.

– في ٧ مارس ٢٠٠٧م / ١٨ صفر ١٤٢٨هـ، عقدت حلقة نقاش لبحث آراء المعتقدات اليابانية في الأديان التوحيدية وذلك في مقر سيسمور، وتحدث الأستاذ رئيجي أندو من جامعة تاما للفنون عن المفكرين في عهد ميجي والتوحيد: شوميه أوكاوا وشينوبو أوريكوتشي، وعلق عليهما وأدار الحوار الأستاذ كو إتشي موري مدير سيسمور.

الحوار مع المعتقدات الشرقية في إطار الحوار الحضاري الياباني الإسلامي:

كما ورد قبل ذلك، فإنه بدءاً من عام ٢٠٠٠م حرص وزير الخارجية الياباني الأسبق كونو على تعزيز العلاقات بين اليابان والعالم الإسلامي، وبدأ المشروع باقتراح إقامة شبكات بحثية تربط مثقفي اليابان بمثقفي العالم الإسلامي عن طريق إقامة أنشطة لتعزيز التفاهم المتبادل، ثم زار كونو نفسه قطر ليقدم مبادرته لإجراء حوار ثقافي مع دول الخليج العربي، ومن الجانب الآخر وفي ٢٩ مايو من عام ٢٠٠٠م/٢٣ صفر ١٤٢١هـ عقدت

منظمة المؤتمر الإسلامي مؤتمرا في طوكيو تحت عنوان «الشرق الأقصى والعالم الإسلامي: العلاقات اليابانية الإسلامية في قرن» بالتعاون مع المركز الإسلامي في اليابان، وشارك في المؤتمر ممثلون للمراكز الإسلامية في الصين ومعظم دول جنوب شرقي آسيا ونحو مائتي أستاذ وداعية مسلم، كما شارك ممثلون لمسلمي اليابان وكان هدف المؤتمر إيضاح حقيقة الإسلام وتصحيح المغالطات حول المفاهيم الإسلامية، ودعم العلاقات بين اليابان ودول منظمة المؤتمر الإسلامي.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، دعت وزارة الخارجية اليابانية بالتعاون مع وزارات خارجية عدد من الدول الإسلامية إلى عقد جولة لحوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي في البحرين ٢٢-٢٣ مارس ٢٠٠٢م/٧ -٨ محرم ١٤٢٣هـ[١].

ومن الملاحظ أن الحوار لم يكن بين اليابان والعالم الإسلامي، بل كان بين اليابان والدول العربية وإيران، فيبدو أن اليابان تحرص على أن يكون الحوار مع الدول التي تؤثر في مصالحها النفطية، وكان المتحاورون من الدول العربية وإيران يمثلون بلدانهم رسميًّا، أو يتولون مناصب رسمية في تلك الدول، بينما المشاركون اليابانيون كانوا من أساتذة الجامعات اليابانية المتخصصة في الدراسات الإسلامية[٢].

وفي أكتوبر ٢٠٠٣م / شعبان ١٤٢٤هـ، عقدت الجولة الثانية للحوار في طوكيو، واتسع نطاق المشاركة ليشمل ماليزيا، وتم التركيز على محورين: كيف يرى العالم الإسلامي اليابان، وكيف ترى اليابان العالم الإسلامي ثم آفاق المستقبل، وفي اليابان تكون الجلسات مغلقة عدا الجلسة الافتتاحية،

١- انظر التفاصيل في موقع الحوار الحضاري على شبكة الإنترنت، وانظر ص ٤٢، د.محمد السيد سليم، مفهوم حوار الحضارات مع الإشارة إلى خبرة الحوار الحضاري بين اليابان والعالم الإسلامي، حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة ٢٠٠٥م.

٢- ص ٤٢، ٤٣: المصدر السابق.

ولهذا انتقد د. محمد سيد سليم الأمر على أساس أن الفرصة لم تتح لعدد أكبر من المشاركين من اليابان للإدلاء بآرائهم[١]، إلا أن هذا هو الأسلوب المتبع في اليابان لإعطاء حرية للمناقشين بين الجدران المغلقة للتعبير صراحة عن كل ما يريدون قوله، ويظل التساؤل كما قال د.محمد السيد سليم: ما الهدف؟ هل هو حماية المصالح اليابانية في العالم العربي أم بناء شراكة ثقافية حضارية كما سعى إلى ذلك المسئولون السعوديون في أثناء زياراتهم الرسمية لليابان؟ ثم هل يتم التوسع ليشمل الحوار مع المعتقدات الدينية في اليابان؟

إن إثارة هذا التساؤل عن الحوار مع المعتقدات الدينية في اليابان وبخاصة الشرقية منها، أي الشنتوية والبوذية والكونفوشية والطاوية، قد تبدو إثارة جديدة رغم أن عددا من الباحثين اليابانيين قد تناولوا هذا الموضوع في كتاباتهم سواء بشكل مجمل أو ضمني أو بشكل حصري، كما أن المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش التي عقدت في مركز دراسات الأديان التوحيدية سيسمور CISMOR خلال السنتين الماضيتين[٢] تؤكد أهمية إثارة الموضوع، بل وسعي الباحثين اليابانيين إلى مناقشة الموضوع ضمن إطار تعاون علمي للوصول من خلال الحوار إلى نتائج إيجابية تسهم في التعايش السلمي بين شعوب العالم.

نماذج الحوار في التاريخ الياباني:

من المفيد أن نعرض باختصار شديد نماذج من التاريخ الياباني حاور فيها اليابانيون أنفسُهم، بعد اعتناقهم المسيحية أو الإسلام، معتقداتهم الشرقية التي كانت متجذرة في كيانهم.

١- فالياباني «تناكا إبيه» أو الحاج نور محمد تناكا الذي أسلم في الصين

١- محد سيد سليم، مفهوم حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ٤٣.

٢- كما أوضحنا من قبل، ولمزيد من المعلومات، انظر السجل العلمي لندوات سيسمور الدولية.

وأدى فريضة الحج أكثر من مرة، أجرى أكثر من مرة حوارات مع دعاة البوذية في اليابان، ولم يمنعه إسلامه من الانضمام إلى جماعة (كوهوكو كيوريو تايشي كوتان كان) البوذية ثم الاتصال بجماعات أخرى كان يقوم بإلقاء محاضرات بين أفرادها عن الإسلام، ويجرى معهم حوارات دينية، ثم كان يزور مزار إيسيه الذي يمثل الشنتوية اليابانية.

في سنة ١٩٣١م / ١٣٤٩هـ، فكر الحاج نور محمد تناكا مليًّا، ثم أوضح بأن الديانات كلها تدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، فقد كان تناكا يركز على التعاليم الأخلاقية لا العقدية. كتب يشرح لماذا دخل الإسلام: «أود أن أوضح أمورا تتعلق بالأخلاق، فهناك تعاليم أخلاقية خمسة مشتركة بين الإسلام والكونفوشية وهي: احترام الكبير وتوقيره، والاحترام المتبادل بين الأب والابن، والاحترام المتبادل بين الزوج وزوجه، والاحترام المتبادل بين الأخ وأخته، والاحترام المتبادل بين الأصدقاء»، وبعد أن دخل الإسلام، وحين كتب عن الحضارة اليابانية لم يشر إلى عقيدة أو دين بشكل واضح فقد كتب: حضارتنا اليابانية تطورت بسرعة لكننا أخذنا النموذج الغربي من أوربا وأمريكا، وهكذا وبعد خمسين سنة من حكم ميجي، باتَ الناس لا يخشون الله، ولا يخشون الرسول، ولا يخافون مما جاء به الرسل والأنبياء من تحذيرات.

ويشير إلى حرصه على أن يكون نموذجا للمتمسك بتعاليم الإسلام أمام أصحاب المعتقدات الأخرى في اليابان: أعتقد أن كلماتي وسلوكي وتصرفاتي تعطي مسلمي اليابان انطباعا خاصا.. إنني أومن بديني وأتمسك به، أحاول أن أركز أكثر فأكثر.

وفي حوار له يشرح الفرق بين الإسلام والعقائد الأخرى في الصين كتب: المسلمون في عموم الصين متطورون مع ثقافتهم الصينية ومع الكونفوشية إلا أن معتقداتهم الدينية لا تزال ثابتة على ما هي عليه، قائمة على أسس

الإسلام المتينة... والإسلام ليس مثل النصرانية أو أي دين آخر يعتمد على الشكل أو المظهر فقط، إنه قوة دينية إيمانية، وقوة الإيمان قوة عظيمة لا تساويها قوة أخرى.

لا بد لنا من أن ندرك التكوين الوجداني للياباني الذي يعيش في بلده الذي يتميز جغرافيا عن بقية بلدان العالم، فالوطن يمثل كيانا في داخل الوجدان الياباني يتساوى مع الدين، وهو أمر لا يتعارض مع ما جاء به الإسلام من حب الإنسان لوطنه فـ«حب الوطن من الإيمـان»، فحين بلغ الحاج تناكا الخمسين من عمره، واتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، كان يحمل بداخله الوطن بكل ما فيه من تاريخ وتراث وعقيدة، وهكذا وفي يوم السابع من ديسمبر أكثر الأيام حظا في التقويم الياباني، يزور مزار ميجي قبل مغادرة طوكيو، يزور عددا من الشخصيات، يزور أهل آسيا، يسافر في ذلك اليوم، ويتذكر سفره قبل عشر سنوات، لم يأت أحد لوداعه: « قبل أن أغادر طوكيو أقف تجاه قصر الإمبراطور، تنهمر الدموع من مقلتي، جاء أخي لوداعي، وجاء أيضا صديقي المسلم سكاي... رحلتي الآن من المدينة المقدسة إلى المدينة المقدسة..«فهو يزور مزار إيسيه الشنتوي»، إنني أغادر المكان المقدس لشرق آسيا إلى المكان المقدس لغرب آسيا في صباح هادئ، يمطر مطرا يطهر كل شيء في هذا العالم».

لقد شعر تناكا بأن الإسلام الذي آمن به يحتوي كل الأديان، لأنه رأى أنه لا فرق بين تعاليم الإسلام وتعاليم الشنتوية حتى فيما يتعلق بمفهوم الإله الواحد الأحد[1]، فبعد زيارته للمزار الشنتوي يزور المعبد البوذي معبد هاسيه جي حيث وجد الراهب كوباياشي، كتب تناكا: كان الراهب كوباياشي يتضرع إلى الله بالصلاة بينما كان قرع الناقوس يحدث صلصلة يتردد

١- لا يعني هذا أن تعاليم الإسلام نسخة من تعاليم الشنتوية، ولكن الحديث، هنا، منصب على أوجه التشابه والتقارب، وإلا فإن الإسلام دين الفطرة، تلك الفطرة التي قد تعبر عن نفسها بمعتقدات وسلوكات قريبة من عقائد الإسلام وقيمه.

صداها في المنطقة الجبلية متداخلة مع صوت الترانيم والتراتيل[١].

٢- أما «أوكاوا شوميه» فهو من المفكرين اليابانيين الذين اعتنقوا المسيحية، ورغم ذلك، فقد ركز في بحوثه على الحوار مع الإسلام، وفهم أن الإسلام هو الروح الدافعة لأصحابه كي يعملوا على استقلال بلادهم، فهو ليس مجرد دين بالمفهوم الياباني التقليدي، وهو بالتالي يختلف عن المعتقدات التي تنتشر في اليابان؛ لأنه طريق حياة ونظام سياسي اقتصادي، وقد حاور الكثيرين، وقدم صورة مشرقة عن الرسول ﷺ، بل ذكر أنه رآه في المنام، ومن ثم قام بترجمة معاني القرآن الكريم[٢]. وقد اشتهر عنه أنه كان عاشقا للنبي ﷺ حتى كتب بعض شعراء اليابان هذا في أشعارهم، وقد أدار حوارا من خلال أبحاثه في دراسة البوذية والشنتوية والمسيحية والإسلام، وألقى تسع عشرة محاضرة بعنوان (حوار حول الأديان)، جمعها في كتاب بعنوان «حوار في أصول الأديان»، إلا أنه كياباني يؤكد أن عقيدة الشنتو هي أساس هيكلة دولة اليابان وأساس خطها السياسي؛ ذلك لأن اليابانيين القدامى صدقوا أن الإمبراطور الأول من أحفاد الآلهة الكبرى «أماتيراسو»، وأنهم أنفسهم من سلالة الآلهة المتفرعة التي خدمت آلهة السماء الكبرى، ولم يشكّوا أبدا في تلك العقيدة[٣].

يرى أوكاوا شوميه أن جميع البشر هم سلالة السماء، وجميعم سواسية

١- انظر: سمير عبد الحميد: إشكالية الدين والوطن في الصراع بين الأنا والآخر في أدب الرحلة- الرحلة اليابانية نموذجا، بحث قدم في المؤتمر الدولي للدراسات الأدبية واللغة المقارنة الحاضر والمستقبل، كلية الآداب جامعة القاهرة ٢٨-٣٠ إبريل ٢٠٠٧م، نشر الجمعية الأدبية واللغة آداب القاهرة، وانظر: سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي، ترجمة تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية ورحلاته إلى الجزيرة العربية وبلدان آسيا، مصدر سابق.

٢- انتهى من الترجمة يوم الجمعة ١١ ديسمبر ١٩٤٨م، ونشرتها دار غيواساكي للنشر عام ١٩٥٠م.

٣- وذلك في كتابه معاني الحضارة اليابانية وقيمها، انظر ص ٢٧ وما بعدها، التسامح في المجتمع الياباني، مجلة دراسات يابانية وشرقية العدد الأول يوليو ٢٠٠٧م، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.

كأسنان المشط، ويجب احترام آدميتهم، كما أن وجود الكون ووجود البشر ليس بشيء عفوي خالٍ من المعنى، وقد انضم إلى الجمعية المسيحية اليابانية التي تكونت لنشر الدين المسيحي المعدل حسب الفكر الياباني، وسميت بجمعية الطريق، بينما كان المذهب الذي يعتنقه أهله هو «جؤودو شو» أحد المذاهب البوذية لكنه لم يكن مقتنعا به. وكان يدعو إلى إصلاح الجانب الروحي في المجتمع، وهو يلح على التمسك بسمات الشخصية اليابانية التي تتمسك بالأصول، وتقبل الآخر دون أن تفقد الذات أو الأنا، وذلك في تسامح شديد قد يثير حيرة الآخر الذي يصعب عليه فهم طبيعة الذات اليابانية، ولم يكن معاديا لثقافة الآخرين بل داعيا إلى التفاعل مع العناصر الإيجابية فيها.

٣- إينازو نيتوبيه: فيلسوف ياباني ومحاور من الدرجة الأولى، أدار حوارا مع الغرب، شارحا المعتقدات اليابانية الممثلة في الشنتو والبوذية والكونفوشية والطاوية بعد أن وضعها في حزمة أطلق عليها «البوشيدو روح اليابان»، وجعلها مقابل كلمة الدين في المسيحية أو الإسلام، ورغم أنه مسيحي، فإنه يرى أنه، كياباني، يحمل في قلبه عقيدة أخرى يصعب وضع اسم لها، ومن هنا اختار لها اسم البوشيدو وشرح اللفظة بأنها روح اليابان، وهو يرمز إلى مجموعة القيم والتقاليد والعادات اليابانية المتأصلة التي تمثل من وجهة نظره ما يطلق عليه الآخرون «الدين»، موضحا أن لدى اليابانيين الكثير مما هو في المسيحية والإسلام من قيم وأخلاق وأصول، وهو نفسه يشعر بالحيرة حين يسأله الكثيرون: أليس لليابان دين؟! ويرى أنه لا بد أن يكون لليابان دين، ويستشهد بما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (إبراهيم: ٤).

إن القيم اليابانية المستمدة من المعتقدات اليابانية الشنتوية أو البوذية أو الكونفوشية معتقدات مرنة بل مطاطة إن صح التعبير، تتسع لاستيعاب

غيرها من العقائد دون أن تفقد صفتها الأساسية، ومن هنا فالياباني يقدس آلهته الخاصة، ويحترم آلهة الآخرين، وهذا بالتالي يؤدي في بعض المراحل إلى استيعاب المعتقدات والمفاهيم الأخرى، وهذا هو الذي سهل مهمة دخول البوذية إلى اليابان وتحويلها إلى نمط ياباني بعد أن احتضنتها الشنتوية وأعادت توظيفها لخدمة المجتمع.

ومن هنا، ذكر الفيلسوف الياباني نيتوبيه إينازو أن البوشيدو هي دستور اليابانيين الديني، وهي مثل القرآن عند المسلمين، ونجده أحيانا يستشهد بآيات من القرآن الكريم، مثلما يستشهد بفقرات من الإنجيل[١].

مستقبل الحوار وآفاقه:

يظهر مما سبق أن اليابان اتخذت قبل الحرب العالمية الثانية قاعدة أخلاقية أو دينية –من وجهة نظر مفكريها– بشكل أو بآخر جعلتها أساسا للحياة والتعامل مع الآخر، وبعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة اليابان فُرضت عليها حياة لا علاقة لها بالدين والأخلاق، وطورت الإنسان الياباني بعيدا عن القيم الدينية والأخلاقية في ظل مجموعة القيم العلمانية التي تقدس المادة والعقل والعلم وتجعلها جميعا مصادرها للأخلاق والقيم، وهي قيم منغلقة على ذاتها هدفها إسعاد إنسانها وتحقيق الشقاء لغير إنسانها، وقد ظهرت نتائج البعد عن القاعدة الأخلاقية اليابانية أو المعتقدات الدينية اليابانية بوضوح هذه الأيام فيما يلاحظ من خلل في العلاقات الاجتماعية والأسرية داخل المجتمع الياباني المعاصر، وهو ما تشير إليه أجهزة الإعلام اليابانية ويقر به التربويون اليابانيون في تصريحاتهم.

واليابان اليوم، وهي مقيدة بقانون العلمانية، تحاول جاهدة من خلال نظرية العولمة ونظرية حوار الحضارات وحوار الثقافات التخلص من قيود

١- انظر: إينازو نيتوبيه: البوشيدو روح اليابان باللغة الإنجليزية، مصدر سابق. وانظر: سمير، التسامح في اليابان، دراسات يابانية شرقية.

العلمانية للعودة إلى مجتمع الأخلاق والقيم التراثية اليابانية، وقد عقدت ندوات بين الباحثين المسيحيين والبوذيين للوصول إلى نوع من التفاهم والثقة المتبادلة، والسعي إلى تقدير العقيدتين المسيحية والبوذية معا في ظل استمرار نظرة اليابانيين للمسيحية على أنها عقيدة أجنبية، وفي محاولة للتقريب ظهرت دراسات تخلط بين البوذية (وبخاصة بوذية شين ران) والمسيحية (اليابانية) التي تختلف عن المسيحية التقليدية.

إن الحوار مع المعتقدات الشرقية بعامة والمعتقدات في اليابان بخاصة لا يجب أن يكون حوارا عقديا في المقام الأول، كما لا يجب أن يغفل الحوار العقدي أيضا إذا كان ذلك يؤدي إلى تحقيق التقارب بين الناس وتجسيد التعايش السلمي، وأن نتخذ الاعتدال والتسامح نهجا في صلتنا مع أصحاب المعتقدات الشرقية. ألم يكتب نيتوبيه في كتابه البوشيدو أنه يشعر بالحيرة حين يسأله الكثيرون: أليس لليابان دين؟! ويرى أنه لا بد أن يكون لليابان دين، ويستشهد بما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (إبراهيم: ٤).

إن اليابان تسعى بكل قوة من وراء ستار العلمانية إلى وضع الدين في الصف الأول؛ فهي ترعى هيئة أو منظمة الأديان في اليابان التي تضم ممثلين عن جميع الأديان في اليابان: الشنتو بطوائفها، والبوذية بطوائفها، والمسيحية بطوائفها، والإسلام بممثليه. ومن خلال هذه الهيئة تعقد ندوات الحوار، بل تشجع الحكومة هذه الهيئة على عقد اجتماعاتها ودعوة ممثلين من جميع أنحاء العالم إلى المشاركة في هذه الندوات والمؤتمرات التي تواكب اجتماعات الدول النهائي الكبرى.

في عام ٢٠٠٦م / ١٤٢٤هـ، استضافت مدينة كيوتو الاجتماع العالمي الثامن لمؤتمر الأديان العالمي من أجل السلام، وكان للجنة اليابانية دور في المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام الذي يعرف اختصارا بالحروف WCRP

الذي شارك فيه رئيس الوزراء الياباني السابق إتشيرو كوئيزومي، وحضره ممثلون عن مائة دولة بلغ عددهم أكثر من ثمانمائة زعيم دين، وضمن حلقات النقاش اجتمع ممثلو الأديان المختلفة اليهودية والمسيحية والإسلام والهندوسية والبوذية والسيخ والجينية والشنتوية والزرادشتية، وتم التأكيد على أهمية وحدة المجتمع الإنساني والمساواة بين البشر وحفظ كرامة الإنسان في العالم أجمع، والتنصيص على حرية جميع الأفراد والحفاظ على القيم الأخلاقية التي تشترك فيها جميع الأديان. وتم التأكيد على ضرورة مواجهة سوء استخدام الدين لتحقيق مطامع خاصة، واعتبار الدين هو السبيل لتحقيق السلام، وعلى المجتمعات الدينية والقادة الدينيين أن يتخذوا خطوات عملية لمنع إساءة استخدام الدين، ثم نص البيان الختامي الذي وزع مطبوعا بعدة لغات من بينها العربية على التأكيد على احترام التنوع والاختلاف الديني والعمل من أجل الخير مع الأديان كلها[١].

وهكذا، فاليابان تفتح ذراعيها للحوار الديني بكل مفاهيمه، وبحرية كاملة، ومن هنا فلا بد أن يكون الحوار الإسلامي قائما على أساس المشترك الإنساني لتحقيق التعايش السلمي بين البشر، وهذه هي الرسالة التي جاء بها خاتم المرسلين، وهذه هي أساس دعوته التي جاء بها للناس جميعا، فهو رحمة للعالمين.

إن الشعب الياباني يتطلع إلى مكة من حيث خرج نور الإسلام ليهدي البشرية، وقد فهم الكثير من الباحثين اليابانيين هذه الحقيقة، لقد كتب تناكا إيبيه: «... كنت كلما مررت بتمثال بوذا تخيلت محمدا ﷺ وتذكرته ولم أكن أدري كيف يحدث هذا؟»[٢]. ويذكر أنه كان يدرس البوذية من خلال جماعة رين زن شيو، ورغم ذلك « كان هناك شعور بوجود خاص لمحمد ﷺ في أعماق

١- انظر سجل وقائع المؤتمر ٢٠٠٦م.

٢- ص ١٢٦، تناكا إيبيه، مصدر سابق.

قلبي لم يفارقني هذا الشعور على الإطلاق...»[١].

إن إدارة الحوار مع المعتقدات اليابانية: الشنتو والبوذية اليابانية والكونفوشية تتطلب منا في المستقبل الاطلاع على ما كتبه اليابانيون المسلمون وغير المسلمين من إيضاح للمشترك القيمي والأخلاقي في الإسلام وفي المعتقدات اليابانية، فبعد أن يشرح تناكا الدخول في الإسلام يذكر أن هناك تعاليم أخلاقية خمسة مشتركة بين الإسلام والكونفوشية[٢]، ثم يضيف: محمد كان هو الإنسان الذي امتلك التسامح والرحمة للعالمين جميعا، وقد أرسله الله رحمة للعالمين، ثم يذكر الطهارة: إن الله لا يقبل الصلاة من عبد إلا إذا كان طاهرا، ولا يقبل منه صلاة غير صحيحة، وأهم شيء في الصلاة هو أن يكون الإنسان طاهرا، وهذا الشيء نفسه فيما يتعلق بالطهارة موجود في الشنتوية في بلادي اليابان، وهكذا فالتطهر في اليابان يمكن ترجمته بتطهر الإنسان من الحدث الأكبر أو الحدث الأصغر[٣]. وهكذا يحاور تناكا مستمعيه ويقدم لهم قواسم مشتركة بين الإسلام ومعتقدهم الشنتوي أو الكونفوشيوسي.

وقد رأى تناكا، وهو في الصين، أنه لا يوجد تعارض بين الإسلام والمشترك الفكري في تعاليم الأديان الأخرى مثل الكونفوشية، فالصينيون يفكرون بأن الطريق الذي رسمه النبي محمد ﷺ (أي السنة النبوية) هو نفسه الطريق الذي بينه كونفوشيوس، ولا اختلاف في ذلك؛ فالفكرة الصينية القديمة كانت تعتمد عقديا على السماء، وهذه الفكرة تتناسب مع ما جاء به الإسلام، ولهذا السبب تحول كثير من المثقفين إلى الإسلام[٤]. لقد حاور تناكا وحاضر في ربوع اليابان بين طوائف الشنتو والبوذية وأيضا في الصين، وترجم معنى كلمة الإسلام باليابانية على أنها «سيه شين» أي الطاهر النقي،

١- المصدر السابق: ص ١٢٦.

٢- انظر: ص ١٣٠، تناكا والصفحات السابقة.

٣- المصدر السابق: ص ١٣١.

٤- من كتاب تطور الصين والمفكر ريوكايكو، نقلا عن تناكا إيبيه، ص ٤٠.

ويعني الإسلام أيضا النقاء والصفاء، والإسلام لا ينسب إلى شخص محمد ﷺ، ولهذا فيخطئ من يطلق على المسلم بالإنجليزية كلمة محمدي[1].

والإله بالنسبة للمعتقد الشنتوي موجود بنفسه وهو واحد أحد، وقد حاول تناكا شرح المفهوم الإلهي في حواره مع مواطنيه، فذكر أن لله في الإسلام صفات، وأنه لم يلد ولم يولد، وقد جاء في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ الآيات. وكان تناكا يحاول جاهدا أن يوجد علاقة من نوع ما بين الإسلام والشنتو والبوذية والنصرانية والطاوية فيما يتعلق بوجود الله، ووصل إلى نتيجة مفادها: رغم وجود خلاف في الاسم كامي هوتوكيه، و God، والله، وتين وكامي وهو الاسم الذي يطلقونه على الله لكنهم جميعا يؤمنون بإله واحد[2].

إن الاطلاع على مؤلفات اليابانيين تستلزم ترجمتها إلى اللغة العربية، بل وترجمتها إلى لغات أخرى إذا تطلب الأمر ذلك لأنها ترشدنا إلى القيم الأخلاقية في المعتقدات التي يؤمن بها الناس في اليابان وحتى في الصين، وهذه القيم هي قيم مشتركة تجمع ديانات التوحيد بمعتقدات الشرق الأقصى في اليابان والصين وكوريا على سبيل المثال، واليابانيون يؤكدون على الاتفاق على الأخلاق، ولا يعيرون اهتماما للاختلاف في العقائد الدينية فالنظم الأخلاقية التي أخرجتها عقائدهم هي التي –من وجهة نظرهم– تنظم علاقة الإنسان بالإنسان داخل المجتمع، ولا يهم ما يثار من اختلاف حول مصدر الأخلاق، لكن الربط بين ما هو قادم وما هو كائن يؤدي إلى الشعور بالارتياح، والقيم هنا ثابتة متغيرة، ثباتها من القداسة التي اكتسبها واضعوها في تراث اليابان القائم على الشنتوية والبوذية والكنفوشية، بينما تغيرها يكون بحكم قابليتها للشرح والتفسير والتعديل أو التطوير على يد شراحها من تلاميذ الواضعين الأوئل لها، كما أن تغيرها

١- ص ٤٨، تناكا إيبيه.

٢- من كتابه الإسلام في الصين (الفصل الرابع)، نقلا عن تناكا إيبيه، ص ٦٨.

يأتي بحكم مصدرها الإنساني القابل لإعادة التفسير، ويمكن الوقوف على تاريخ البوذية اليابانية، وكيف تطورت وظهرت عبر السنين فرق بوذية مختلفة، ما تزال تتوالد حتى اليوم، ويصدق الأمر نفسه على المسيحية[١].

إن المفكرين في اليابان –وأحسبهم كذلك في الصين– لا يرون أبدا وجود أي تصادم بين الحضارة الإسلامية ككل والحضارة الكونفوشية أو البوذية أو الشنتوية، فالقيم المشتركة بينها أدت إلى عدم حدوث صدام، فهي جميعها تدعو إلى السلام والعدل والمساوة والحب وطلب العلم والتسامح وما إلى ذلك، والواقع المتميز للإسلام في اليابان –رغم قلة معتنقيه– يدحض نظريات أصحاب الصدام، ويؤكد اليابانيون، من خلال الندوات والحوارات والمناقشات، أن الغرب هو الذي يتحرش بالحضارات الأخرى، ولو تخلى الغرب عن هذه الصفة لأمكن الدخول في حوار حقيقي للحفاظ على الهويات الدينية والثقافية[٢].

وقد دارت حوارات بين المسيحية والشنتوية في مراحل تاريخية، وحاول أتباع المسيحية اليهودية التقارب مع الشنتوية بدعوى أن الشنتوية طورت سابقا نوعا من الفكر بلقائها بالبوذية والكونفوشية، وبأن هناك فرصا واعدة في ملاقاة الفكر المسيحي عن طريق اللقاء البشري الإلهي في المسيحية اليهودية، فاللقاء البشري الإلهي في الشنتو يتخذ شكلا مميزا[٣]، إلا أن الشنتو المعاصرة، بما لها من هيئات متنوعة، تجعلنا نطلق على معتقدها عمومية في الإيمان أو أنها تؤمن بمفاهيم عالمية، ويمكن ملاحظة ذلك في

١- انظر: سمير، الإسلام والأديان في اليابان. وانظر: النصرانية صناعة يابانية، بالإنجليزية، مصدر سابق.

٢- انظر ص ١٣١، سجل مؤتمر المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، الأردن عمان ٥- ٧ يوليو ١٩٩٥م، مجلة الكلمة، العدد ١٠، السنة الثالثة، بيروت، ١٩٩٦م.

٣- للمزيد، انظر ص ٧ مجلة جيسمور (الإصدار العربي)، العدد الرابع ٢٠٠٨م الصادرة عن سيسمور، تحرير سمير عبد الحميد، التوحيد في ديانة الشنتو الحديثة Aasulv. Lande، أسولف لاندي، جامعة لوند بالسويد.

جماعة الأوموتو التي لا يرى بعض أفرادها حرجا في الإعلان عن دخولهم عقيدة ما، فقد أعلن بعض قادتهم حين زاروا دمشق منذ أكثر من عشر سنوات إسلامهم، وذكروا بأن عقيدة الإسلام لا تختلف في شيء عن عقيدة الشنتو بل حرص بعضهم على أداء مناسك العمرة[١].

كما عقدت مؤتمرات للحوار الديني بين المسيحية والبوذية في اليابان منذ بدايات القرن الماضي، لكن التعاون –كما يذكر البروفسور كاتسوهيرو كوهارا– بين الأديان لم ينتج عنه في كل الأحيان نشر التسامح بشكل كامل في المجتمع الياباني ككل، وهو هنا يشير في الأغلب إلى الصراع الذي يظهر عادة ما بين الشعور الوطني والشعور الديني لدى الإنسان الياباني، ومن هنا صارت المسيحية اليابانية جزءا من الوطن اليابان، وهكذا سعت المسيحية إلى دعم الوطن ورعايته جنبا إلى جنب مع المعتقدات اليابانية بما فيها البوذية[٢]، وهذا نفسه ما قام به المسلمون اليابانيون في سعيهم إلى التقريب بين اليابان وبلدان آسيا الإسلامية قبل الحرب العالمية الثانية.

خاتمة وتوصيات:

إن مثل هذه الجزئيات وغيرها كثير يمكن أن ترسم طريقا للحوار المستقبلي مع المعتقدات الشرقية، وبخاصة المعتقدات في اليابان وتوضح آفاق هذا الحوار التي يمكن إيجازها ضمن العناصر الآتية:

– إن المعتقدات الشرقية لا تفصل فصلا صارما بين ما هو ديني وما هو علماني، بل يمثل الدين والحياة شيئا واحدا متطابقا إلى حد يجعل معتنقي

١– انظر: سمير، الإسلام والأديان في اليابان. ومحمد عضيمة: عظماء يدخلون الإسلام، ط دمشق، ومعلوم أن الحديث عن أمور يظهر بينها التشابه، وقد يكون الاختلاف جوهريا في مسائل أخرى..

2- انظر: Kirisutokyo Kenkyu(Studies in Christianity(Vol.LXX June 2008 No.1 Katsuhiro Kohara " Antireligious Dialogue" in Modern Japan: Focusing on the Formation of "Religion" and the Separation of State and Religion (in Japanese).

بعض الأديان كالشنتوية والطاوية يتحرجون من شرح أديانهم للغرباء[1]، والسبب هو أن أبناء هذه الديانات يمارسون عقائد وتعاليم وطقوس وشعائر خاصة بهم، يعتبرونها روتينا يوميا طبيعيا لا كيانا منفصلا يسوّغ أن نصرف إليه انتباها خاصا أو نشرحه شرحا معينا، ومن هنا فالممارسة الدينية مسألة شخصية تتعلق بداخل الإنسان، فالكونفوشية مثلا تعتبر القلب الإنساني، أي الفؤاد، عالما مصغرا من العالم الكبير عالم السماء Ti En، وترى أن إرادة السماء تتجلى في القلب الإنساني، فالإمبراطور يعتلي منصة الحكم لتلقيه عناية السماء، وعلى الناس أن يطيعوا وليّ الأمر فهو مندوب السماء، وهذا ما تنادي به الأخلاق في البوذية أيضا[2].

- يلغي الإسلام الفصل بين الحياة الدنيوية والحياة الروحية إلغاءً جازما، ويعتبر الدين منهج حياة مقدسا شاملا كاملا لا يقتصر على تنظيم الأخلاق فقط بل يشمل كل أنظمة الحياة ومظاهرها الفردية والاجتماعية التي ترسمها الشريعة الإسلامية، وهي لا تتعارض مع سعادة البشر جميعا، وعلى المجتمع العالمي أن يعيد القيم الدينية إلى حياته اليومية وأن يرتقي الدين من وصفه الغريب الذي يُبث في وجدان الناس، والسبيل إلى ذلك هو تقديمه في إطار معاصر.

- يرى الباحثون اليابانيون أن تنصيب الحضارة الإسلامية أو الإسلام عدوا للحضارة الغربية الحديثة -كما يصوره البعض- قد يُعد مرضا تاريخيا انتشر في كل مكان في العالم، ويرى الباحثون اليابانيون أن التاريخ والحكمة الآسيوية قد يساعدان في حل معضلة العداء الديني ومسبباته، ففي اليابان هناك شكل من التوفيق بين المعتقدات المتعارضة، وهذا موجود أيضا في الصين وفي تايوان، وهناك أدلة وأمثلة على الصيغة التوافقية التي

١- انظر ما كتبه إينازو نيتوبيه في البوشيدو.

٢- انظر السجل العلمي لندوة سيسمور ص ٢٧، نوفمبر ٢٠٠٥م، تحرير سمير عبد الحميد، العولمة في الميزان، بحث د. قمر الزمان.

تتخذها أديان ومعتقدات شرق آسيا، فالاسلام في شرق آسيا يعيش جنبا إلى جنب مع البوذية والهندوسية، وعلى الرغم من وجود المسيحية أيضا فليست هناك إشارات إلى احتمال نشوب الصراع، فالتعايش السلمي الديني ذو جذور عميقة في جنوب شرق آسيا[1]، ومن هنا فالتعايش الديني المشترك أمر يجب أن يثار في حوارات المستقبل، خاصة وأن نماذج هذا التعايش بين الأديان والمعتقدات كثيرة، ويمكن استحضارها من تاريخ شعوب العالم أجمع حتى يمكن أن نجد حلا لمعضلة العداء الديني المتفشي في عالمنا اليوم أو على الأقل التخفيف منه.

- إن علماء الإسلام ومفكريه، وبخاصة علماء الفقه، يمكنهم أن يمارسوا دورا مهما في الحوار مع المعتقدات الشرقية، فهم أدرى بالتشكيل الفقهي للإسلام في علاقته مع غير المسلمين، فالإسلام يقر بالحرية الدينية اعتقادا وممارسة، وقد أجاز لأهل الكتاب ولأصحاب المعتقدات كالمجوس أن يمارسوا طقوسهم الإيمانية، وضمن للجميع، في نطاق الدولة الإسلامية، حرية التعبد ومختلف الأنشطة التي تُعلي مظهريتهم وتجعل لهم كيانا ثقافيا متميزا، وتاريخ الأندلس شاهد على ذلك، وتاريخ الهند و منطقة جنوب شرق آسيا شاهد على ذلك، فمن واجب الفقهاء أن يبينوا أن الطريق يُسرٌ أمام علاقات طيبة بين أهل الديانات والمعتقدات، وهي علاقات يمكن أن تقوم على القواعد المشتركة للبشرية جمعاء، ومن واجب الفقهاء أن يوضحوا الرؤية الخُلقية للإسلام التي تتسامى على المصالح الذاتية الضيقة لمجتمع سياسي معين، يطلق عليه (الأمة)، فالأمة في الإسلام تعني المسلمين وغيرهم، فهي ليست أمة من المسلمين بل هي أمة متعددة الأعراف واللغات والعقائد والمذاهب والطوائف، يجمعها ميثاق وعهد، فالولاء للأمة، وليس للعرق أو الطائفة، والانتساب للجماعة الأم وليس للفئة أو القبيلة

١- انظر: السجل العلمي لندوة سيسمور نوفمبر ٢٠٠٥م، ص ٤٠ وما بعدها، كين إتشي ماتسوموتو، الهوية القومية والبيت الآسيوي المشترك.

كما أوضح نبي الإسلام، وكما عاش المسلمون تاريخهم وازدهرت ثقافتهم في بغداد والقاهرة والقيروان، وبلغت ذروتها في الأندلس العصر الذهبي لجميع الثقافات دون اعتبار لدين أو ملة أو جنس، ومن هنا يجب أن يدور الحوار لإيضاح إنسانية الإسلام، وهو الموضوع الذي يتم تجاهله بل وضياعه وسط دراسات أخرى تُغيّب الموضوع الأساس، ولا يعني هذا التغاضي عن دور الإيمان الراسخ بالغيب في لا إله إلا الله، وهو يعني الانقياد والاستسلام لله خالق كل شيء.

- إن الحوار ينطلق أيضا من أن الأفضلية بين البشر هي أفضلية للجانب الخلقي على أي جانب آخر من جوانب التفاخر والتفاضل بين البشر ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾، والخطاب هنا موجه للإنسان في كل مكان وفي كل زمان، الإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه، ثم جعله خليفة على الأرض، ليحمل الأمانة، وهي إقامة النظام الأخلاقي على الأرض، فالإنسان أينما كان مطالب بحمل هذه الأمانة، والخطاب الذي ورد في القرآن الكريم موجه أيضا إلى الإنسان في كل مكان وفي كل زمان.

- إن القرآن الكريم يوضح أن الله أرسل لكل أمة رسولا بلسانها، وبعضهم ورد ذكره في القرآن وبعضهم لم يذكر، وعليه فقد شاءت مشيئة الله أن يكون هناك رسل لم نعرفهم حتى يومنا هذا، لكن من الملاحظ أن المشترك الإنساني لدى أصحاب الديانات والمعتقدات تجعل التقارب بين البشر أمرا ميسورا، وتجعل أسباب التفرقة التاريخية والأخلاقية والجغرافية أمرا لا داعي له، فالرؤية القرآنية رؤية تسمو على الرؤية الطائفية للإنسانية بوصفها دولا ذات سيادة، وهي رؤية تحطم أصنام الفخر المذهبي والبنية الثقافية التاريخية والتفرد الديني، فآدم عليه السلام أب البشر وخليفة الله على الأرض وإليه تنتسب البشرية كلها دون تمييز، ومن هنا فالبشر متساوون من حيث الخلق ولهم نفس الحقوق الطبيعية التي على أساسها قامت الشرائع.

– إن اليابانيين يتفهون مشاعر العالم الإسلامي الذي يعيش حصارا في العديد من المجالات الحيوية السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إلا أن هذا التفهم يحتاج إلى مزيد من الشرح عن طريق الحوار لإدراك الأسباب التاريخية التي أدت إلى ذلك، وإلى إشكاليات عمليات التحديث، وما اقترن بها من تطورات اجتماعية، فالعالم الإسلامي له قيمه ومفاهيمه الإنسانية التي يمكنه عن طريقها تحقيق التقدم والتفاعل مع بقية دول العالم المتقدمة، دون أن تكون مرجعيتهم هي المُثُل الغربية أو النموذج الغربي، ومن هنا يجب أن نساعد اليابان التي تسعى دائما إلى أن ينصب الحوار على قضايا الناس ومصالح البشر.

– إن الحوار مع المعتقدات في اليابان ينطلق من مفهوم التواصل الإنساني، وهو لا يعني التواصل بالحاسوب أو مجرد نقل معلومات؛ إذ هناك حاجة إلى معارف مشتركة، وهو ما يسعى إليه اليابانيون وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إنهم بحاجة إلى معارف مشتركة حول القيم التي نتبناها، وحول رؤيتنا للعالم وحول موقفنا من بلدهم اليابان، وهم لا يؤكدون على أن يكون الحوار من أجل الوصول إلى إجماع فيما يُتحاور من أجله، بل يسعوون إلى التواصل حتى مع استمرار الاختلاف، وهم لا يرون أبدا أن اختلاف العقائد وحتى القيم والآراء يكون سببا لعدم التواصل فالتواصل يكون ناجحا حتى في وجود مثل هذا الاختلاف، إلا أن الحوار يجب أن يكون من أجل أن يعرف كل طرف رؤية الآخر بشكل جيد، وهذا هو السبيل إلى تحقيق التعايش بين الشعوب.

– إن المفكرين والباحثين في اليابان يفهمون جيدا أن الصراع الذي يدور ليس صراع حضارات أو أديان أو معتقدات أو مُثُل أو قيم بل هو صراع المصالح الاقتصادية والإستراتيجية، ولهذا تربط اليابان عادة مؤتمرات الحوار بين الأديان والمعتقدات مع المؤتمرات التي تتناول الشؤون الاقتصادية العالمية، مثل مؤتمر الدول الكبرى الثماني أو مع مؤتمراتها الخاصة مع

بلدان الشرق الأوسط؛ لأن الحوار لحل مشاكل التواصل بين الشعوب لا يمكن أن يعتمد على جانب واحد مثل الجانب الديني أو الثقافي أو الاقتصادي، لأنه، في نهاية المطاف، لا يؤدي إلا إلى حلول جزئية. لهذا يرى اليابانيون أن الحوار يجب أن يتضمن مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية والتعاون فيما بينها، ومن هنا يقدمون عادة الفلاسفة والعلماء وأصحاب الدراسات الثقافية والسياسية والتاريخية والدينية والقانونية والاقتصادية إلى مؤتمرات الحوار، حتى لو كانت مخصصة لحوار الأديان والمعتقدات؛ لأن هذه هي الطريقة التي يمكن بها الكشف عن المشاكل والحواجز التي تعرقل مسيرة البشرية في سبيل تحقيق الأمن والسلام.

- إن الثقافة في اليابان، أو ثقافة المعتقدات الشرقية عامة، هي ثقافة إنسانية وغيبية أيضا، مثلما الثقافة الإسلامية إنسانية وإلهية، فلدى أهل المعتقدات الشرقية ما يؤمنون به غيبيا رغم التقدم المادي الكبير، وأصحاب المعتقدات الشرقية يختلون بأنفسهم، يدعون ربهم أو إلههم بالرحمة والمغفرة والتوفيق، ولهم في ذلك منهاجهم وشرعتهم، كما يذكرنا القرآن: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ ﴾، ومن هنا ينطلق الحوار بالاتفاق على كل ما يتعلق بالثقافة الإنسانية، ثم التحاور من أجل التعارف على الفكر الإيماني الغيبي التسليمي لدى كل طرف، فالحوار بين العقائد داخل الفكر الديني حوار صعب دون شك، لكنه يسهل إذا كان الهدف منه التعارف من أجل التنافس في الوصول إلى أعلى درجات التقوى البشرية؛ أي مكارم الأخلاق.

- ومن هنا يتوجب علينا في حوارنا مع أصحاب المعتقدات الشرقية أن نشير إلى الحاجة إلى مواجهة الوضع الراهن عن طريق إبراز جوانب الأخلاق الكريمة المستمدة من القواسم المشتركة في الفكر الإيماني الغيبي لكل طرف، وهنا يجب علينا الاعتراف بأننا نمر في بلادنا بأزمة أخلاقية نتيجة البعد عن القيم الصحيحة، وإساءة البعض تفسيرها، ويرجع سب ذلك إلى الظروف التاريخية المعقدة التي مرت بها منطقتنا، التي تتذبذب

اليوم بين القديم والوافد والواقع، في محاولة للوصول إلى الجديد الأصيل، وربما يمكننا أن نفعل مثلما فعلت اليابان التي تأخذ من الوافد ما تراه صالحا لتطوير قيمها، وتحافظ في الوقت نفسه على قديمها، فتحقق بذلك التجديد القائم على الأصالة، وتاريخنا الإسلامي فيه شواهد كثيرة لعملية التجديد الفكري الديني، التي ظهرت نتيجة لإعمال النظر العلمي الإسلامي في الموروث الديني.

- لقد قام واحد من علماء اليابان نيابة عنا بهذه المهمة حين أعمل فكره في موروثنا الديني وجذب إليه الباحثين والقراء ليس في اليابان فقط بل وفي العالم أجمع، وأقصد هنا الباحث الياباني إيزوتسو توشيهيكو الذي دارت حوله ندوة علمية في الجامعة الإسلامية بماليزيا، وقد ترجمت بعض كتبه لأكثر من لغة، من بينها العربية.

ومن هنا يمكن الاستفادة من كتابات العلماء اليابانيين مثل إيزوتسو بعد ترجمتها إلى العربية في التعرف على أسلوب الحوار -غير المباشر- مع البوذية والشنتوية والطاوية، فالباحث لديه معرفة عميقة بالثقافة العربية الإسلامية وله موقف موضوعي من الإسلام، وهو في كتاباته يرشدنا إلى أن أصحاب المعتقدات الشرقية هم أقرب إلى الإسلام، وأقدر على فهمه من الداخل، وهذا يجعل للحوار مع المفكرين من أمثاله قيمة علمية[1].

ومن هنا، فالحوار مع البوذية والشنتوية والطاوية يستلزم التعرف

١- انظر الترجمة العربية لكتابه: الله والإنسان في القرآن.. دراسة دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، ضمن منشورات المنظمة العربية للترجمة، ط أولى. وقد صدرت الطبعة الإنجليزية أكثر من مرة وهناك ترجمة للكتاب بعنوان: بين الله والإنسان في القرآن دراسة دلالة نظرة القرآن إلى العالم، د.عيسى على العاكوب صدرت عن دار الملتقى بحلب عام ٢٠٠٧م، العدد السابع من مجلة الحكمة، مؤسسة الحوراء للثقافة والإرشاد، وقد عبر مسعود ضاهر عن حزنه لأن العرب تجاهلوا ترجمة أعمال الباحثين الآسيويين عن التراث العربي والإسلامي، وقد ترك هذا أثرا سلبيا على تطور العلاقات الثقافية بين الجانبين، جريدة المستقبل، الأحد ١٠ حزيران ٢٠٠٧م، العدد ٢٦٣٩، الياباني إيزوتسو والرؤية القرآنية للعالم.

بالضرورة على هذه المعتقدات، إلا أنه يمكن الاستفادة في المرحلة الأولى من الدراسات اليابانية التي نشرت عن الإسلام أو عن العلاقة بين الإسلام والمعتقدات الشرقية. لقد أجرى إيزوتسو عددا كبيرا من البحوث عن الصوفية والطاوية كما كتب عن مفهوم الإيمان في علم أصول الدين، وكتب عن المفاهيم الأخلاقية الدينية في القرآن، وكتب عن البنية الأساسية للفكر الميتافيزيقي في الإسلام وغيرها.. ونشرت هذه البحوث وترجمت إلى لغات أوربية. وقد أشار هو نفسه إلى أهمية التعرف على معتقدات الآخرين بهذه العبارة: «إن الصداقة والأخوة بين شعوب العالم الغربي والشرقي تعتمد على الفهم الفلسفي العميق للأفكار الخاصة لكل منهما، وهو شيء ضروري جدا في الوقت الحاضر وفي الظروف الراهنة التي يمر بها العالم[١].

– إن ما يروج من مقولات عن خطورة العودة إلى الدين، وتصوير الأمر على أن الفكر الديني في جملته يمثل خطرًا يجب التصدى له، قد تجد صداها في مجتمع كاليابان يكره الحرب لأنه قاسى ويلاتها من قبل، لكن المجتمع الياباني لا يقبل هذه المقولة بجملتها بل يرى بعض الباحثين اليابانيين أن ما يعاني منه العالم اليوم إنما هو بسبب الأديان التوحيدية[٢]؛ لأن الحروب شنت باسم الدين، وربما كان النزاع الطائفي الذي لا يزال مستمرا في منطقتنا، وترويج أجهزة الإعلام لفكرة النزاع الطائفي هي التي شكلت هذا المنظور لدى بعض اليابانيين، ومن هنا يتحاور اليابانييون مع أهل السنة وأهل التشيع على أنهما عقيدتان ودينان مختلفان، وقد ساعد على ذلك الفهم إحياء التمايز الديني السياسي بين أهل السنة وأهل التشيع بهدف تقسيم هوية العراق، وكذلك ما يدور أحيانا في لبنان، وهذا أمر مثير للجدل، وكثيرا ما شرح كاتب هذه السطور في أكثر من ندوة ومؤتمر أننا مسلمون وإن اختلفنا في أمور ليست من صلب الإسلام، وأن ما يحدث

١– مقدمة مقالات في فلسفة الفكر الصوفي الإسلامي، بالإنجليزية.

٢– انظر ندوات سيسمور: رسائل من عالم الشرك إلى عالم التوحيد.

هو إقحام للمذاهب الدينية في السياسة، إلا أن الحوار الياباني مع العالم الإسلامي يقسم العالم الإسلامي إلى حدود ومناطق[1]، ومن هنا علينا أن نجعل من دائرة الحوار الإسلامي مع المعتقدات الشرقية دائرة تتسع لتضم أهل السنة وأهل التشيع، وتضم جميع أتباع المذاهب الإسلامية، لتضم المسلمين في البلدان العربية والمسلمين في غيرها في غرب آسيا وفي شمال شرق آسيا، وفي وسط آسيا وفي جنوب شرق آسيا وفي إفريقيا، فهذا من شأنه أن يشكل لدى اليابانيين فكرة واضحة عن ثقل العالم الإسلامي من جهة، وتنوعه الفكري والمذهبي[2] من جهة أخرى، ويجعله يشعر بالارتياح أمام هذا التنوع، ويجعله يدرك بأن الإسلام قريب من حدوده في إندونيسيا وماليزيا والفلبين والصين والهند.

- هناك ضرورة لتنويع الحوار الإسلامي مع المعتقدات الشرقية ليتم من خلال مفكرين وباحثين مسلمين من أقطار مختلفة، وبخاصة تلك القريبة من اليابان، وقد لفت البروفسور موري مدير مركز دراسات الأديان التوحيدية «سيسمور» الانتباه في إحدى ندوات الحوار التي دارت مع مفكري جنوب شرق آسيا عن «التحديث والهوية القومية في شرق آسيا - العولمة وإحياء الدين» قائلا: إننا نشعر أننا نتحاور مع مفكرين من بيننا، وأن الفرق كبير بين ندوات عقدت مع مفكرين قدموا من أماكن مختلفة من أوربا وأمريكا والبلدان العربية مثلا وبين هذه الندوة التي ضمت مفكرين من إندونيسيا وماليزيا والفلبين والصين.

وعليه فلا بد أن نستفيد من قدرات الباحثين والمفكرين المسلمين في بلدان جنوب شرق آسيا لإدارة حوار هادئ بناء مع البوذية والشنتوية والكونفوشية؛

١- انظر الصفحات السابقة عن الحوار الإسلامي الياباني المنعقد في قطر.

٢- هو تنوع ملحوظ، لكن العقل المسلم يأسف لوجود بعض الخلافات التي تحتاج إلى تحرير الكلام فيها تحريراً علمياً يقوم على تحقيق الروايات وتحكيم قواعد القرآن الكريم في رؤيته للآل والأصحاب، وإبراز العلاقات الأخوية بين جميع الصحابة في السيرة النبوية.

لأن النتائج ستكون بالضرورة مثمرة، ويرتبط بهذه النقطة ضرورة التعرف على الإسهامات الفكرية لجامعات دول جنوب آسيا مثل ماليزيا وإندونيسا والفلبين فيما يتعلق بصلاتها الثقافية والفكرية مع اليابان، فاليابان تحرص على دعم علاقاتها الثقافية والفكرية واستقطاب عدد كبير من الدارسين في هذه البلاد عن طريق تقديم المنح الدراسية لهم وتشجيع الكثيرين على الارتباط بالجامعات اليابانية ومراكز البحوث فيها، فالاستفادة من هؤلاء في كشف آفاق الحوار وإدارته سيكون مفيدا لجميع الأطراف.

– إن الحوار مع المعتقدات الشرقية في اليابان والصين والفلبين وغيرها يستلزم أن نثير قضية الأقلية الإسلامية في بلدان آسيا، ونوضح أن المسلم ينتمي إلى وطنه، وإلى البلد الذي يعيش فيه وهو عزيز عليه، فالمسلم في الفلبين يجب أن يعتز بوطنه، وكذلك المسلم في الصين يجب أن يعتز بوطنه، ويعمل مع مواطنيه من أتباع الأديان والمعتقدات الأخرى، والإسلام يحث على ذلك أيضا، وهذا لا يعني التغاضي عما يتعرض له البعض من أذى واضطهاد أو طمس للهوية الثقافية أو منع من إقامة شعائر الدين، واليابانيون على دراية تامة بوضع المسلمين في الدول المجاورة لهم، لكن الحوار من شأنه أن يساعد على إحلال السلام في مناطق الأقليات المسلمة، ويمكن لليابان أن تمارس دور الوسيط في هذا الأمر، وبخاصة أنها تستقدم عددا من الطلاب يكون من بينهم مسلمون ينظر إليهم عادة بحذر؛ نظرا إلى الدعايات التي تروّج لربط الإسلام بالإرهاب في تلك المناطق[1].

– إن الحوار مع اليابان يستلزم التعرف على ما تم من مشروعات دراسية على مستوى الجامعات اليابانية ومراكز البحوث المعنية بالدراسات الإسلامية وبخاصة المشروع الذي تم باسم دراسات الحضارة الإسلامية وأشرف عليه البروفسور ساتو تسوغيتاكا واستمر من عام ١٩٩٧م حتى

١– انظر: الجزيرة نت، ٢٨ إبريل ٢٠٠٨ خالد شمت – برلين، مسلمو إقليم صيني يطالبون أوربا بدعمهم مثل التبت.

عام ٢٠٠٢م، ثم تبعه مشروع آخر مكملا له بعنوان «الدراسات الإسلامية المعاصرة » في إبريل ٢٠٠٣م، وهو يقوم على دراسات إسلامية مقارنة للبلاد العربية وايران وتركيا، والهدف هو دراسة الديمقراطية وتراجعها في بلدان الشرق الأوسط بالاعتماد على الوثائق العربية والفارسية والتركية، وبدءا من عام ٢٠٠٦م، بدأ التركيز على معهد دراسات المناطق التابع لجامعة واسيدا بالتعاون مع معاهد أخرى للدراسات العليا في جامعة طوكيو وصوفيا وتويو بونكا[١]. وكما نلاحظ، فالموضوع أساسا يبدو بعيدا عن المناقشات الدينية أو دراسة العقائد إلا أنه بالضرورة سيتناول دراسة الاتجاهات الإسلامية في المناطق المذكورة، ومن هنا يستلزم الأمر المشاركة في مثل هذه المشروعات، خاصة وأن جامعة واسيدا تلقت منحة كريمة من صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سلطان لدعم دراسات الشرق الأوسط[٢].

– إن الجامعات في اليابان مؤسسات لا يمنع فيها التفكير والتعبير، وهي تضمن دائما حرية البحث العلمي من أجل المعرفة والتواصل مع الثقافات والحضارات المختلفة من منطلق التعارف والتفاعل، وسيكون من المثمر إجراء حوارات مشتركة من خلال الندوات والمؤتمرات التي تعقد مع الجامعات اليابانية داخل اليابان لأسباب يطول شرحها، يأتي على رأسها المشاركة التي تبديها شريحة كبيرة من المجتمع الياباني للتعرف على الإسلام، وقد ظهر هذا جليًّا في المحاضرات العامة وجلسات الندوات والمؤتمرات المفتوحة التي أقامها مركز سيسمور وكلية الإلهيات بجامعة دوشيشا، وفي المحاضرات التي أقامتها جامعات أخرى مثل جامعة طوكيو وجامعة واسيدا وجامعة تاكشوك وغيرها. ومن خلال التجربة الشخصية، فإن الجامعات اليابانية ومراكز البحوث اليابانية المعنية ترحب كثيرا بعقد

1- انظرSato Tsugitaka Islamic Area Studies Project in Japan، 19972002-: Its Achievements and Future Prospects Reprint from Asian Research Trends. News Series No.1 Published by The Toyo Bunko pp4243-..

٢- وقد نشر هذا الخبر في جريدة أساهي يوم ١٨ يونيو ٢٠٠٩م.

مثل هذه الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى دعم الحوار بين الإسلام بل وبين الأديان التوحيدية والبوذية وغيرها من المعتقدات في اليابان، كما أنه من الضروري أن تعقد ندوات ومحاضرات في مرحلة تالية في جامعات بلدان العالم الإسلامي يشارك فيها أساتذة الجامعات اليابانية والباحثون في مراكز البحوث والدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط وبالأديان والاقتصاد والدراسات ذات العلاقة بموضوعات الحوار.

- هناك حاجة لدعم السفارات الإسلامية -وما أكثرها- في اليابان بمتخصصين من الشباب يقومون بإجراء دراسات تخدم الحوار مع اليابان، ويمثلون فيما بعد قاعدة بيانات بشرية تدعم الحوار بين الإسلام واليابان، وليس هذا بجديد، فالسفارات اليابانية في بلدان العالم الإسلامي فيها باحثون شباب متخصصون في لغات الشعوب الإسلامية أو دراسة مجتمعات الشعوب الإسلامية، ويقوم هؤلاء بدعم العلاقة بين السفارة اليابانية والبلدان الإسلامية من جهة، وتقديم المعلومات الضرورية لبلدهم لخدمة هذه العلاقة من جهة أخرى، ويمكن أن نحذو حذو اليابان، ونستفيد من سفاراتنا وتستفيد السفارات من هؤلاء الباحثين، وتكون النتيجة في صالح تطوير الحوار بين الإسلام واليابان. ومن الجدير بالذكر أن بعض السفارات العربية تمارس دورا مهما في هذا المجال، وقد بدأت سفارة المملكة العربية السعودية في طوكيو بتطبيق نظام استقدام الدارسين الشبان للعمل بالسفارة واستكمال دراساتهم، كما أن وجود المعهد العربي الإسلامي فرع جامعة الإمام يقدم من خلال ندواته ومؤتمراته خدمة جليلة للحوار مع اليابان، ويصر سعادة سفير المملكة العربية السعودية على أن يجعله معهدا للمسلمين جميعا، وليس للمملكة العربية السعودية فحسب، كما ذكر في أكثر من ندوة وفي أكثر من لقاء.

- ومن هنا يمكن الاستفادة من المعهد العربي الإسلامي ومن مراكز البحوث اليابانية التي تدعمها المملكة العربية السعودية وغيرها من المراكز

التي تقيم معها السفارات الإسلامية علاقات ودية، كما يمكن الاستفادة أيضا من المراكز الإسلامية الثقافية في طوكيو وفي كيوتو وفي ناغويا وفي غيرها؛ نظرا لاتصالها المباشر بشريحة عريضة من الشعب الياباني، إذ يمكنها أن تدير حوارا مباشرا مع البوذيين اليابانيين وغيرهم الذين يتشوقون للتعرف على القيم المشتركة بيننا وبينهم، نظرا لأن اليابانيين عموما لا يعرفون عن الإسلام إلا ما تبثه أجهزة الإعلام، وهو في معظمه مأخوذ من الغرب.

- يفرض الحديث عن الإعلام الإشارة إلى أن الإعلام الياباني سواء الرسمي أو الخاص، يحرص، منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر على نشر أخبار العالم الإسلامي أو إعداد برامج تتعلق بالإسلام، وهناك كثيرون يتوقون إلى التعاون من أجل إعداد برامج توضح لليابانيين مبادئ الإسلام، ومفاهيم الإسلام، وروح الإسلام السمحة، وتكشف عن المغالطات التي تعرض أحيانا على التلفاز الياباني، لكن هؤلاء يحتاجون إلى من يساعدهم في إعداد مثل هذه البرامج، وتلقى برامج شعائر الحج أو صوم رمضان أو البرامج المتعلقة بالطرق الصوفية قبولا[١] في اليابان؛ نظرا لأن لدى أصحاب العقيدة البوذية مراسم للحج خاصة بهم، ولديهم شعائر للصوم خاصة بهم، وعندهم موالد ومهرجانات شبيهة بموالد الصوفية ومهرجاناتها، ومن هنا، يتوق هؤلاء لمشاهدة هذه البرامج، إلا أن اليابانيين بحاجة إلى تقديم برامج من نوع آخر، توضح لهم الإسلام بجوانبه المتنوعة تاريخيا وجغرافيا، ولا شك أن الإعلام الإسلامي قادر على تفهم احتياجات الشعب الياباني، وذلك من أجل دعم مسيرة الحوار الذي يؤدي في النهاية إلى فهم متبادل للقيم الإنسانية المشتركة، ويصحح ما يبثه الإعلام المغرض الذي يربط بين الإسلام والإرهاب أو بين الأديان والعنف، فالإعلام الياباني يشعر اليوم قبل أي وقت مضى بضرورة إحياء القيم الدينية التي بدأ المجتمع

١- مع أن كل البرامج لا تخضع للتقويم لمعرفة الصحيح من السقيم.

يفتقدها نظرا لتدهور المعتقد الديني.

- إن تدهور الأخلاق وتغير القيم الإنسانية نتيجة لغياب المعتقد الديني في عالمنا المعاصر يفرض علينا جميعا مسلمين وغير مسلمين، في الشرق وفي الغرب، في الشمال وفي الجنوب، أن نتصدى للآثار المترتبة على ذلك، بالتحاور من أجل تسليط الضوء على أهمية القيم الروحية والأخلاقية في الثقافة البشرية والتراث البشري المشترك، والقرآن الكريم دستور المسلمين فيه من الخطاب الإنساني ما يكفي لإدارة حوار بناء مع أصحاب الديانات والمعتقدات المختلفة ليس فقط في اليابان أو الشرق بل في غيرها من مناطق العالم.



المبحث الثالث:
الخطاب الديني في الفكر الياباني وموقع الإسلام فيه

مدخل:

مايزال السؤال عن الدين في اليابان هو الذي يُعاد إثارته مرات ومرات مِنْ قِبَل الجميع وبخاصة في البلدان العربية، بينما لا يتبادر هذا السؤال إلى ذهن اليابانيين أنفسهم لأسباب آمل أن تتضح من خلال الصفحات التالية.

لا بد أن يبدأ الموضوع هنا من حيث بدأت الحكايات أو الأساطير اليابانية القديمة أو ما يطلق عليه باليابانية «الكوجيكي» أو مجموعة الحكايات القديمة التي تتضمن قصة خلق اليابان من منظور أسطوري ياباني.. وأرجو أن يكون استخدامي للتعبيرات العربية والمصطلحات العربية مقبولا هنا، سعيا إلى توضيح بعض الأفكار، وأنا أدري أنها قد تربك السامع أو القارئ أو تثير بعض الانتقادات بدعوى أن هذه التعبيرات تستخدم فقط إذا ما تحدثنا عن الإسلام؛ لأن الهدف هنا نقل ما يعتقده الآخر، وليس بالضرورة أن يوافق المتحدث هنا على هذا المعتقد، أو يطالب الآخرين بالموافقة عليه.

ظهر كتاب الكوجيكي أو بعبارة أدق تم تجميع حكاياته سنة ٧١٢م[١]. والكوجيكي في عبارة واحدة هو مجموعة حكايات أسطورية، هدفها محاولة إثبات الأصل السماوي أو الأصل الإلهي للجزر اليابانية ولأباطرتها[٢]، فجزر اليابان –من هذا المنظور– هي فعل الآلهة، بل الجزر هي بنات الآلهة، وكل ما عليها من جبال وأنهار وأشجار وغيرها يجب استلهامه في الحياة، وينبغي العيش وفق قوانين الفطرة في هذه الجزر، أي وفق طبيعة

١– محمد عضيمه، مترجم الكوجيكي، ط بيروت، ص ٨٣. انظر أيضا: كرم خليل: التيارات الأدبية في الأدب الياباني الحديث والمعاصر، كتاب الرياض، العدد ٦٨ أغسطس ١٩٩٩م، ص ١٨. وللتعرف على كتاب الحوليات اليابانية انظر بالإنجليزية: Nihongi ،chronicles of Jpan translated by W. G. Aston Japan 1998

٢– الكوجيكي، ص ١٨.

الفعل الإلهي، ومن هنا فإن الوطن مقدس من المقدسات الدينية عند اليابانيين، ولا يوجد فصل بين الوطن وبين الإمبراطور –ولي الأمر– من ناحية القدسية، فالشعب يؤمن بأنه نزل أصلا من السماء، وهو في الأساس ابن الشمس[1]. ومن خلال محتوى الكوجيكي نلاحظ أن العالم ينقسم إلى: سماوي، وأرضي، وسفلي؛ سماوي يخلق الفرح والسعادة على الأرض، بينما تسبب الأرواح الشريرة في العالم السفلي الأذى والشر على الأرض، لهذا يجب التوسط بين هذه العوالم الثلاثة كي يسود الانسجام[2].

كما نلاحظ أن كلمة «كامي» التي تظهر باستمرار في «الكوجيكي» يمكن أن تعني الله، ليس فقط الله الرحمن الرحيم الذي منه الخير، بل أيضا الله الجبار المنتقم الذي منه الشر، وقد أوجدوا وسائط إلهية حيث هناك إله للشؤم مثلا وغير ذلك، ومن هنا نلاحظ أن المعتقد الأكثر دلالة وشعبية من بين المعتقدات المتعددة التي يكتشفها قارئ الكوجيكي، هو تقديس الشمس بصفتها نبع الحياة والنور، ممثلة في شخصية (الآلهة الكبيرة المهيمنة «أما – تيرا – سو»)، ولهذا السبب يعتبر اليابانيون أن معبد «إيسيه» الكبير المخصص لعبادة هذه الآلهة هو «قدس الأقداس جميعا»، ومن هنا ظهر الياباني كروزومي مُني تارا (١٧٨٠–١٨٥٠م) بمذهب شنتوي جديد في عصر إيدو يركز على تقديس الشمس، يقول: «إذا تنفستم روح الشمس في كل حركة من حركات شهيقكم، وإذا ملأت بالتالي روح الشمس جسدكم فسوف لن يكون داخل روحكم انقطاع...»[3]. ويقول أيضا: «على الإنسان أن يستيقظ والدنيا لا تزال ظلاما، ثم يتأمل شروق الشمس بإجلال واحترام، على أن يكرس نفسه تماما لواجبه اليومي وذلك حتى غروب الشمس، في كل يوم تشرق الشمس، فاعمل في كل يوم، وسوف تنام بهدوء في كل ليل، وفي اليوم

١– نفسه: ص ٢٢.

٢– نفسه: ص ٧٠.

٣– نفسه ص ٩٨.

التالي تستطيع أن تتمتع من جديد بشروق الشمس، هنا تكون حياة الإنسان، عند شروق الشمس يولد الإنسان وعند الغروب يموت الإنسان»[١].

وعلى المستوى الرسمي، أعيد الاهتمام بالكوجيكي في عهد الإمبراطور ميجي عام ١٨٦٧م صاحب حركة الإصلاح أو الاستعادة كما يقال أحيانا، فأراد أن يكون الكوجيكي ممثلا للروح اليابانية إلى جانب التكنولوجيا الأوربية المستوردة من الخارج، نظرا لوجود قلق تجاه ضياع الروح اليابانية عندما قررت اليابان الانفتاح على العالم الخارجي.. وهكذا أخذوا يدرسون حكايات الكوجيكي ويعلمونها، فكانت تدرس داخل المنهج المدرسي قبل الجامعة، وكانوا يركزون على الحكايات المتعلقة بالإمبراطور بصفته إلها، أو بإحدى الشخصيات القريبة منه.

ورغم أن هذا الأمر انتهى فيما بعد، وانتهى الآن أيضا، إذ لم تعد تدرج مثل هذه الحكايات داخل المناهج الدراسية، لكن يتم إيصال هذه الأشياء بطرق عديدة، منها المسلسلات التلفزيونية والأفلام والمسرحيات والرسوم المتحركة وغيرها، ومن خلال الأسرة التي تلقن ذلك للأطفال بشكل عفوي تلقائي، وكما يذكر محمد عضيمة مترجم الكوجيكي للعربية: «إنهم يعتبرون الكوجيكي أكثر من كتاب مقدس، لا يرددونه في الميكرفونات، بل ينثرون محتواه في الرياح مع الحياة، دون إشارة إلى أنه من الكوجيكي»[٢].

وهكذا تطورت المعتقدات الخاصة بعبادة الطبيعة وما فيها إلى عقيدة، شملت أيضا تقديس آلهة الأسلاف أو روح الأسلاف، ولم يكن هناك تمييز بين الإله والبشر، وبين الطبيعة والآلهة ومن هنا تعد الشنتوية هي الدين الفطري في اليابان. ثم كان دخول البوذية الذي يعد من أهم الأحداث التي انعطفت بتاريخ اليابان، ومنذ ذلك الحين لم يتغير اليابانيون فقط بل تغيرت

١- نفسه ص ٢٣.

٢- نفسه ص ٨١.

جميع أشكال الثقافة باليابان وتطورت في اتجاه جديد[1]، مثلما كان دخول الكونفوشية اليابان في عهد الإمبراطور «أوجين» منعطفا في تاريخ الحضارة اليابانية[2]، وظل علماء الفلسفة اليابانيون يبجلون فلسفة كونفوشيوس التي شهدت قبولا وانتشارًا إبان عصر أسرة طوكوكاوا في الفترة الوسيطة من تاريخ اليابان؛ ذلك لأن الكونفوشية الصينية (دخلت ما بين القرنين السادس والتاسع الميلاديين) هيمنت بفلسفتها على الفكر الياباني وانتشرت سلوكياتها في المجتمع[3]. والحقيقة أن البوذية جلبت معها أيضا بعضا من أفكار العقيدة الطاوية والكونفوشية. ومن هنا صار الدين في اليابان ثقافة أكثر منه عقيدة وصارت الحياة الدينية في اليابان خصبة متنوعة عبر تاريخ طويل من تداخلات عدد من التقاليد الدينية والقيم والمعتقدات والممارسات وخاصة ما يعود منها إلى الشنتو الدين الرسمي (رغم كل شيء)، الذي يمد جذوره بعمق داخل التربة اليابانية رغم كل زلازل التاريخ.

لهذه الاعتبارات، جاز لنا إفراد بعض الفقرات للحديث عن السنتو باعتباره دينا.

الشنتو :

كلمة شنتو تعني طريق الكامي أو الإله، وهي المصطلح الجديد للتعبير عن الإيمان بالله بالمفهوم الياباني، وقد استخدمت الكلمة منذ القرن ١٢ الميلادي للتعبير عن هيئة أو جماعة تحمل عقائد دينية، وليس للشنتو مؤسس أو رسول مثل بوذا مثلا وليس لها كتاب مقدس، لكنها تؤكد على الإيمان بالكامي عن طريق الاتصال بعقل أو ذهن الكامي، والكامي مصطلح يطلق على كل الكائنات على أنها الآلهة، ولكل كامي شخصية خاصة به، وقدرة خاصة به، ورغم عدم وجود نصوص مقدسة، فهناك أماكن للعبادة يطلق

١- نفسه ص ٨٣.

٢- سمير عبد الحميد: الإسلام والأديان في اليابان، مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض، ص ٣٢.

٣- المصدر السابق: ص ٥١.

عليها المزارات،والهدف الأساس للمزار هو إيجاد مهبط للكامي أو مكان لعبادة الكامي، ولا تبنى المزارات لنشر العقيدة أو تعليمها، وفي المزار حجرة يوضع فيها الرمز المقدس للكامي، وهناك مكان لتقديم القرابين، والمرآة هي أحد الرموز العامة في عقيدة الشنتو، وهي ترمز إلى العقل الصافي وهذا مأخوذ من أسطورة قديمة[١]، وهناك صولجان للتطهير ورايات بأشكال مختلفة، وهي في الغالب حلية وزينة، وهناك أشياء رمزية مثل المجن والترس والسيف، وهناك الحبل المقدس من القش. والمزار يقام في منطقة تتميز بما يحيطها من مظاهر الطبيعة، وتمثل البوابة المقدسة علامة من علامات المزار الرئيسية. أما عناصر العبادة الرئيسية فهي الطهارة وتقديم القرابين والصلاة ثم الاحتفال الرمزي.

قد يتساءل البعض: كيف انتقلت هذه العقيدة من جيل إلى جيل عبر آلاف السنين ؟ ويرد رجال الشنتو بأن الناس تصيدوا هذه العقيدة ولم يتعلموها، من خلال حاسة تقبل هذه الشعيرة والطقوس والمهرجانات الخاصة، وربما من خلال التعليم الذي يتعلق بالأخلاق والمثل.. ورغم كل ذلك كان الناس داخل حي معين أو دائرة سكانية معينة على دراية بأنهم مرتبطون معا ومحكومون دون شعور منهم بواسطة مزار الشنتو، وهذا يعني بالتالي كل شيء في الحياة اليومية، ومع هذا يمكن أن نلاحظ عبادة الأشجار، وعبادة الجبال، وهي من أقدم أنواع العبادات في اليابان التي دخلت البوذية أيضا. أما فكرة العالم الآخر فهو في الشنتوية الوادي الأعلى في السماء مكان نزول الكامي الأعلى حيث حياة الخلود، أما عالم الأشباح الميتة والأرواح الشريرة النجسة فهو عالم الظلمة[٢].

والمؤمن بالشنتوية يرى أن هذا العالم الذي نعيش فيه يورث الخير الذي يجعل سعادة الإنسان متطورة ومستمرة، وقد ينالها في الآخرة. والشنتو

١- نفسه: ص ٦٩.

٢- نفسه ص ٧٥.

لا تقول بفكرة تأصل الشر أو الخطيئة في الإنسان الذي جبل على الخير، وإذا ورد الشر على الإنسان فسببه الخداع والإغراء، ومصدره عالم الظلمة، والسبب هو الأرواح الشريرة، ومع هذا فالشر مؤقت وليس بدائم.

وتفسر عقيدة الشنتو الشر على أنه كل ما يربك الوضع الاجتماعي، ويجلب سوء الحظ ويعرقل عبادة الكامي، ولهذا يجب التمييز بين الخير والشر، والذي يميز بينهما هو روح الإنسان فهي وحدها التي يمكنها ذلك، وهذا يكون بمساعدة الكامي الحكم الصحيح، ويتم هذا عن طريق الاتصال بعقل الكامي، وهذا ممكن حين توجد حالة من الاتحاد بين المقدس أي الكامي والإنسان، وحين يمكن لهذا الإنسان أن يقترب من الكامي بعقل مضيء، نقي، طاهر في أثناء العبادة.

والموت في عقيدة الشنتو شر أو لعنة، والمصطلح الذي يعني الموت «كيه جاريه»[1] يشير أيضا إلى معنى «أمر غير عادي» أو «شذوذ» أو «حظ سيئ». ويعتقد اليابانيون أن الموتى يستمرون في الحياة كأرواح ويزورون هذا العالم من حين لآخر، ويتقبلون ما يقدمه لهم أحفادهم، ومقابل ذلك يترحمون عليهم. ومن الجدير بالذكر أن دخول أجساد الموتى إلى المزار ممنوع، كما أنه ليس للكهنة الحق في الاشتراك في مراسم الدفن، لهذا أخذت البوذية في العصور المتأخرة هذا الأمر وطلبت حكومة طوكوكاوا (١٦٠٣م – ١٨٦٨م) من الناس جميعا دفن موتاهم عن طريق كهنة البوذية.

الشنتو في العصر الحاضر:

يمكن القول بوضوح إن عقيدة الشنتو ما تزال باقية بين أفراد المجتمع الياباني من خلال منظمات أو وكالات تضم أعضاء من عبدة الكامي، وتدعو إلى ممارسات دينية معينة، فضلا عن قيامها بجمع التبرعات، حتى يتمكن غير القادرين من الحجاج المؤمنين بالشنتو إلى السفر إلى بعض المزارات،

1- Skyo، Ono: Shinto the way of Kami PP 9697.

وحين أممت حكومة ميجي المزارات، صارت بعض منظمات الشنتو، وخاصة تلك التي كانت تقدس المزار الكبير في أوزومي، فرقة مستقلة عرفت باسم منظمة طوائف الشنتو، وعلى كل حال فالمزارات تعد وسيلة لتطوير أو دعم العلاقة بين أهل الحي أو الدائرة السكانية، في سبيل دعم علاقتهم بعقيدة الكامي.

بعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت الحاجة إلى تدريب بعض الناس على أداء الشعائر والطقوس، وظهرت كتابات تهم الكهنة أنفسهم، وأخرى تهم الناس العاديين، بالإضافة إلى عقد الندوات والمحاضرات، كما أنشأت بعض المزارات دور حضانة ومدارس للتمريض وحتى ملاعب، وطبقا لإحصائية عام ١٩٦١ فقد كان هناك نحو مائة وثمانين دار حضانة داخل مزارات الشنتو، وارتفع عددها كثيرا هذه الأيام[١].

ولا تقتصر المزارات هذه الأيام على تنظيم الاحتفالات والمهرجانات، بل تسهم أيضا في دعم الشئون الاجتماعية والرفاه الاجتماعي والجمعيات الخيرية داخل الحي نفسه؛ وهو ما يؤكد قوة عقيدة الإيمان بالكامي.

البوذية اليابانية:

يؤرخ رسميا لدخول البوذية إلى اليابان من شبه الجزيرة الكورية بعام ٥٥٢م حين أرسل الملك بايكتشي بعثة إلى إمبراطور اليابان، ومعها بعض الهدايا من بينها تمثال بوذا وبعض نصوص السوترا، وهناك رواية في الحوليات اليابانية «نيهون جي» تشير إلى وصول تمثال بوذا إلى اليابان عام ٥٤٥م، وهناك إشارة أيضا إلى اختلاف مستشاري الإمبراطور في أمر قبول الدين الجديد، ثم الاتفاق على قبول فكرة بوذا كتجربة مؤقتة، وقد حدث خلاف بين الأسر الحاكمة في اليابان نظرا للاعتقاد بأن الآلهة الوطنية غضبت، حين حول الإمبراطور سوجا قصره إلى معبد لبوذا، وتجلى هذا

١- سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان، ص ٩١.

الغضب في شكل طاعون، فأحرق المعبد وألقى بتمثال بوذا في النهر، ورغم هذا التراجع وصلت عام ٥٧٧م بعثة من كوريا، تلتها بعثة أخرى، وشهد النصف الثاني من القرن السادس الميلادي تغلغل البوذية في اليابان، وطبقا للحوليات اليابانية، وجد في اليابان عام ٦٢٣م نحو ٤٦ معبدا بوذيا و٨١٦ راهبا و٥٦٩ راهبة[١].

وأسهم الاتصال بالصين في انتشار البوذية بمدارسها المختلفة[٢]، كما كان دخول المدارس البوذية من الصين عاملا في دخول التعاليم الكونفوشية ومبادئها، وبخاصة تأكيد الانسجام والترابط ورفض كل ما يؤدي إلى خلخلة نظام البلاط، وكان ذلك واضحا في دستور «شوتوكو» المسمى بدستور السبع عشرة مادة، وكان دستورا كونفوشيا بالدرجة الأولى، وقد جعل شوتوكو الأمور الدينية شأنًا من شؤون البوذية، بينما جعل الأمور الدنيوية شأنا من شؤون الكونفوشية، وأدرك أهمية الصين لتطوير الثقافة.

وهكذا تأسست مدينة نارا سنة ٧١٠م على شاكلة العاصمة الصينية «تشانك آن»، وكانت أول عاصمة ثابتة تضم الحكومة وتضم المعابد والقصور، ووجدت البوذية قبولا بسبب ما قيل من أنها تحمي معتنقيها من الأمراض، فكان الناس يرددون المواعظ البوذية (نصوص السوترا المقدسة) دون فهم معانيها.. وكانت طقوس البوذية تمثل جزءًا من احتفالات البلاط، ومع تأسيس المعابد المحلية صارت البوذية دينًا وطنيًّا، وأقطعت الأراضي لبناء المعابد واعتبرت البوذية وسيلة لحماية الدولة، وبالتدريج ظهرت طوائف بوذية متعددة[٣].

انتقلت العاصمة من نارا إلى هييان مدينة كيوتو الحالية (٧٩٤م)، وربما كان ذلك بسب تزايد نفوذ الطوائف البوذية في نارا، وتولى الإمبراطور

١- للتعرف على هذه المذاهب انظر المصدر السابق ص ١٧٢ وما بعدها.

٢-للمزيد من المعلومات عن هذه الطوائف انظر المصدر السابق، ص ٩٧-١٠٧.

٣- سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان، ص ١٧٦.

(كامّو) تحديد عدد المعابد في المدينة التي أطلق عليها «هييان كيؤو» أي عاصمة السلام والهدوء، وهناك قام الراهب «سايتشو» بإذن رسمي ومنحة رسمية بتعيين حوالي مائة من اتباعه رهبانًا على جبل هيئي القريب من العاصمة الجديدة؛ وهو ما أثار غيرة طوائف البوذية في نارا[1]، وظهرت بوذية الصفوة أو بوذية الأسرار القاصرة على طائفة معينة، وظهرت فكرة المزج بين الشنتوية والبوذية أو فكرة الشنتوية الثنائية، خليط من الشنتو والبوذية، ولم يكن من العجيب أن يسيطر رهبان البوذية على مزارات الشنتو، ولم يكن هـؤلاء يرون أي عجب في أن تمارس عقيدتان معًا تحت سقف مبنى واحد ومن جانب أفراد بعينهم.

في حوالي سنة ١١٨٥م، تمكنت أسرة ميناموتو من هزيمة معارضيها العسكريين، وبدأ عصر أطلق عليه عصر كاماكورا وعرفت حكومتهم بحكومة الشوجن أو حكومة كاماكورا العسكرية، وفي عهدهم تطور نظام الإقطاع ونما كثيرا وتغيرت وجهات النظر تجاه البوذية نتيجة للمتغيرات السياسية والاجتماعية، ورأت حكومة كاماكورا ضرورة دفع البوذية إلى منحى جديد يؤكد على النجاة من الخطيئة، وكان هذا المنحى نابعًا من تقلبات حياة المقاتلين أنفسهم، وأصبحت البوذية لأول مرة دينا شعبيا، وتواكب نشر البوذية بين الشعب مع تأميمها، فكانت تقدم على أنها عقيدة يابانية خالصة، فقد طورت الطوائف البوذية العقيدة على مر السنين حتى صارت في عصر كاماكورا تمثل المشاعر اليابانية الصادقة، ومن هنا صعد نجم عقيدة الزن البوذية التي استوردت أساسا من الصين، وأثرت عقيدة الزن على جميع جوانب الحياة الأدبية والفنية والمعمارية وغيرها.. فتناول الشاي يعني لدى طائفة الزن إيجاد تجربة معينة من خلال التواجد في محيط الطبيعة من أجل فهم وإدراك المقدس أو التفكر في الإله والتدبر في

١- المصدر السابق ١٣٧.

خلقه[1]، كما أن الفنجان يتحول من طين إلى فخار ثم إلى فنجان شاي، فكذا الإنسان يتحول إلى وعاء له قابلية استقبال التنوير، والبوذية وإدراك الطبيعة يكون عن طريق إدراك الذات، ولهذا فالزن تؤكد كثيرا على إدراك الذات للوصول إلى الخالق.

وقد صارت عقيدة الزن عقيدة الدولة، وظهر رهبان لهم شخصيات متباينة، أسهموا في نشر عقائدهم بين الناس، وأسسوا فرقا مختلفة، كان لها أثرها في المجتمع الياباني، إلا أنها أثرت سلبا على البوذية في السنوات الأخيرة من القرن ١٦ الميلادي، فحدث سقوط مؤقت للبوذية في ظل استتباب الحكم المركزي في «إيدو»، طوكيو حاليا.

وتم وضع البوذية وتحديدها ضمن قانون عرف باسم القوانين المحلية المتعلقة بالفرق والمعابد (نشر ما بين عام ١٦١٠-١٦٢٠م)، وهكذا سيطرت الحكومة على المعابد المرتبطة بالبلاط، بينما كانت القوانين المشار إليها تقف ضد النصرانية، ومن هنا لم يكن هناك ما يزاحم البوذية مدة قرنين ونصف، كما قاربت القوانين بين البوذية والشنتو، وطلبت من الناس تسجيل أنفسهم في أقرب معبد بوذي، بصرف النظر عن طوائفهم، كما حددت أياما للحضور الإجباري، وكان المعبد يحتفظ بسجلات أعضائه أو أتباعه، وأدى هذا إلى وجود علاقة بين المعبد وأتباعه والحكومة أيضا، وهكذا تحولت البوذية إلى أداة في يد الحكومة.

وهنا نشير إلى أن الكونفوشية كانت تتمتع بالحماية الرسمية لكنها لم تغتصب شيئا من البوذية؛ لأنها لم تصبح أبدا دينا بالمفهوم الذي كانت عليه البوذية. لكن البوذية فقدت مكانتها بعد الاهتمام بالشنتو لتعلن دينا للدولة (عام ١٨٦٨م)، فقد ظهر اتجاه داخل أسرة طوكوجاوا حين طبع ميتسوكوني (مات ١٧٠٠م) كتابه داي نيهون شي، أي «تاريخ اليابان»

١- نفسه ١٦٢.

بالتركيز على كل ما هو ياباني، ولم يعارض الكونفوشية لكنه هدم ألف معبد بوذي في أقاليمه فقط، وانتشرت حركة الشنتو في القرنين ١٨ و١٩ حتى حققت الشنتو مكانة سياسية في البلاد في ظل الاهتمام بكل ما هو ياباني، ولم يظهر أي بطل يدافع عنها كعقيدة.

حين بدأت حركة ميجي الإصلاحية وصدر دستور ميجي الشهير عام ١٨٨٩م، صدر قانون يطلق حرية الأديان، وكان قد سبق صدوره بعام واحد القضاء على المؤسسات البوذية وتجريد المعابد من الأوقاف، ثم تفريغ القصر الإمبراطوري من رموزها وشعاراتها، وتم نقل تماثيل البوذية من مزارات الشنتو، وترافق هذا مع تأسيس الهيئة الحكومية للشنتو، وصدر مرسوم بقطع الصلات الرسمية بين البوذية والشنتو، ونادت الحكومة بجعل الشنتو دينيا وطنيا[1].

اضطر أتباع البوذية إلى إجراء تحديث ديني، أي تجديد ديني لمواجهة الظروف، فأرسلوا بعثات إلى أوربا وأمريكا، وأعلنوا أن عقائدهم لا تتعارض مع عقائد النصرانية، رغم أنها تتفوق عليها، وانضمت البوذية إلى الاتجاه الوطني، وهاجمت النصرانية باعتبارها عنصرا أجنبيا، وكان على البوذية خلال عصر ميجي أن تتوافق مع التغيير السريع جدا الذي كان يسود عموم اليابان.

الكونفوشية وعقائد اليابانيين:

كما ذكرنا، لم تكن الكونفوشية التي انتقلت تعاليمها إلى اليابان من الصين دينا أو عقيدة، وأكثر من هذا فإن الفلاسفة اليابانيين البارزين مثل «إينازو نيتوبيه» يرون أن البوشيدو استوحت فضائل الكونفوشية واعتمدتها في تكوينها المتعلق بالأخلاق، فإقرارها للمبادئ الأخلاقية الخمسة ما بين

١- I. Notobeih ، Bushido PP ١٦-١٧ وانظر أيضا: الإسلام والأديان في اليابان، ص ١٩٤.

السيد والمسود، والحاكم والمحكوم، والأب والابن، والزوجين والأصدقاء، إنما هي جميعها تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية قبل تسرب تعاليم كونفوشيوس إلى اليابان قادمة من الصين[١].

ومن الجدير بالذكر أن الكونفوشية دخلت اليابان عن طريق كوريا في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، ولم يكد القرن السادس ينتهي حتى كانت اليابان قد بدأت بإرسال وفود إلى الصين لدراسة ثقافتها، وكانوا ينظرون إلى الصين كنموذج ومثال على الحكم القائم على السلطة المركزية في يد الإمبراطور وكنموذج على تجسيد الفكر الذي يدعم هذا النظام، ويتجسد هذا النظام الفكري في الكونفوشية، وهكذا ومنذ عصر الأمير شوتوكو (٦٠٤م تقريبا) أخذت اليابان عن الصين القديمة مؤسساتها الاجتماعية والسياسية، وعوملت باحترام شديد على أنها طقوس، كما أخذت الجوانب الأخلاقية من أجل تطبيق طقوس الحياة، وكيف يمكن للإنسان أن يكون بطبعه أو بشكل تلقائي إنسانيا[٢].

تعايشت الكونفوشية مع النظام الإقطاعي الياباني ومع السامورائ، كما تطورت لتشمل أيضا الطاوية المكملة لها، وفكرة الطريق التي تقول بها الطاوية كان لها أثر كبير على الثقافة اليابانية، بالإضافة إلى دعم البعد الروحي أو الصوفي للبوشيدو، وقد تم التعبير عنها من خلال فن الخط والكتابة (شودو)، وفن تنسيق الزهور (كادو) وفن المبارزة بالسيف (كيندو)، وفن المصارعة اليابانية (جودو) وبقية جوانب الثقافة اليابانية، وكان ذلك خلال عصر طوكوجاوا.

وظهرت البوشيدو، أي طريق الفارس أو السامورائ حين ظهر من جديد الشعور الأخلاقي للفرسان المحاربين، وبدأ هذا الشعور يتعمق عن طريق

١- انظر: محمد خليفة، تاريخ الأديان، ط القاهرة، ص ١٢٣.

٢- انظر البوشيدو وقيم الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الصفحات المتعلقة.

اتصال صفوة منهم بالفكر الكونفوشي خلال عصر الإقطاع[1]، وقد ظهرت في اليابان مدارس للفكر الكونفوشي ساعدت على انتشارها بين اليابانيين؛ وهو ما جعل المجتمع الياباني ينقسم خلال فترة من تاريخه طبقا للنظام الكونفوشي إلى طبقات: أي الساموراي، والزراع، والحرفيين، والتجار.

وتمسكت المؤسسات اليابانية في ظل حكومة الإصلاح في العصر الحديث بمبادئ الكونفوشية الرامية إلى الحفاظ على العلاقات بين الكبير والصغير والرئيس والمرءوس، ورغم التغييرات التي حدثت، فإن هناك ما يدل على أن قيم الكونفوشية ما تزال باقية داخل المجتمع الياباني ومتغلغلة بين أفراده.

النصرانية:

في سنة ١٥٤٩م، اتجه فرانسيس زافئيير أكبر منصِّر في جزر الهند الشرقية إلى جزيرة كيوشو اليابانية، وفي نيته لقاء إمبراطور اليابان[2] ووصلها في شهر أغسطس، وفي غضون سنة تنصر على يديه نحو ١٥٠ مواطنا يابانيا، وبعد سنتين وشهرين تقريبا تنصر ألف ياباني، ثم ارتحل فرانسيس زافئيير إلى كيوتو العاصمة، لكنه فشل في تحقيق أي نجاح، فعرج على ياماجوتشي غرب اليابان سنة ١٥٥١م، حيث تمكن من تنصير ٦٠٠ ياباني، وفي سنة ١٥٨٢م ذكرت التقارير التي أرسلت إلى روما أن عدد المتنصرين اليابانيين وصل نحو مائة وخمسين ألف ياباني على يد خمسة وسبعين عضوا نشطا من هيئة الجزويت، وكان الحكام المحليون يريدون الاستفادة من التجارة البرتغالية، ومن ثم تعاون التجار مع الإرساليات الجزويتية، وكان الهدف تنصير الحكام، وقد تحقق الهدف إلى حد ما في المدن الساحلية، بينما توقف التنصير في المدن الداخلية، ويقال إنه خلال خمسين سنة تحول ٣٠٠ ألف ياباني إلى النصرانية، وتحولت قرية نجاساكي التي كانت تعيش على

1- William Forbs ، Japan Today P 104. وانظر أيضا: Japanese Religion P 77.

٢- سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان: ص ٢٩٥.

الصيد إلى ميناء تجاري لليابان، تحت إمرة نصرانية سنة ١٦٣٨م.

وفي ظل هذه الظروف بدأ الخوف يدب في قلوب رجال الدين البوذيين في اليابان من جرّاء المنافسة الخطيرة، بينما خشي الحكام العسكريون أن يصبح من تنصروا أكثر ولاء لبابا روما من ولائهم لوطنهم، وهكذا قام طوكوجاوا إياسو سنة ١٦١٤م بقمع النصرانية بشدة بعد أن قضى على معارضيه السياسيين، واستمر يعاقب أعداءه ويعاقب من تنصر من اليابانيين، وكان يخيرهم بين العقاب وبين ترك النصرانية، وتم القضاء على النصرانية، وقطعت اليابان علاقتها مع العالم الخارجي سنة ١٦٣٩م إلا أن بعض النصارى أخفوا عقيدتهم سرًّا لمدة ٢٣٥ سنة.

فتحت اليابان حدودها للعالم، وهكذا وصل إلى كيوتو قس كاثوليكي عام ١٨٥٩م ليعمل في سفارة فرنسا في إيدو (حاليا طوكيو)، وفتحت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أبوابها في نجاساكي سنة ١٨٦٥م، فزارها بعد شهر آلاف المتنصرين اليابانيين، وبدأت الكنيسة الكاثوليكية تنشط قليلا بسبب سياسة التسامح التي تتبعها الحكومة، ومما لا شك فيه أن الدستور الجديد في عهد ميجي الذي أعلن عن حرية الدين أفسح المجال للإرساليات التنصيرية للعمل بحرية، كما أن النصارى لعبوا دورًا في دفع عجلة التعليم في اليابان، وعلى الأخص تعليم البنات.

ويرى بعض الباحثين أن التسامح مع النصرانية كان في صالح اليابان، كما أن الحركة الاشتراكية في اليابان تدين بوجودها للنصرانية، فقد فكر كثير من النصارى في الاشتراكية كوسيلة لتطبيق المثاليات النصرانية، وصار هؤلاء بالتالي قادة للحركة العمالية الأولى في اليابان. وهكذا وبالتدريج امتصت النصرانية شيئا من الديانات الأخرى في اليابان بصرف النظر عن المثال الصارخ للتوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة في عقيدة الشنتو والنصرانية الذي نتج عنه ما يسمى بالنصرانية اليابانية (نيهون

تيكي كريستو كيو)[1].

وعلى كل حالٍ من الملاحظ أن النصرانية لم تتمكن من مخاطبة اليابانيين خطابا ذا معنًى في المجتمع المعاصر؛ وهو ما أدى بالتالي إلى تدجين النصرانية أو تحويلها إلى عقيدة محلية أو وطنية بعد أن احتفل اليابانيون سنة ١٩٥٩م بذكرى مرور مائة عام على دخول النصرانية بلادهم.

وقد ظهرت طوائف نصرانية جديدة في اليابان من بينها طائفة الموحدين القائلة برفض التثليث والقول بالتوحيد، توحيد الرب، وطائفة الطريق وهي تحاول التوفيق بين النصرانية والكونفوشية، وحركة توحيد العالم في روح المسيح وغيرها[2]، وظهرت طوائف شبيهة مثل طائفة إهوبا وغيرها.

وإذا كان عصر ميجي ١٨٦٨م- ١٩١٢م قد أسهم في انتشار النصرانية، فإن سنوات الاحتلال الأمريكي لليابان بعد الحرب العالمية ١٩٤٥م – ١٩٥٢م قد أسهمت هي أيضا في انتشار النصرانية، لكن يظل السؤال المهم هو: إلى أي مدى قبلت النصرانية كحركة أخلاقية ؟! وإلى أي مدى بقيت كديانة في قلوب وأذهان اليابانيين؟ وهو سؤال حائر ما يزال قائما في الأذهان دون جواب.

ظهور ديانات جديدة وأثر الموروث الديني في اليابان:

انصرف اليابانيون في معظمهم عن الانتماء للشنتو أو البوذية أو حتى النصرانية كديانات تقليدية في اليابان، بينما اتجه من شعروا بالحاجة إلى الدين إلى المعتقدات الخرافية أو الحركات الشعبية التي لها طابع ديني، شكلت تجمعا أطلق عليه (الديانات الجديدة)، فكانت هذه الديانات تسد حاجة الياباني وميله إلى تكوين تجمعات خاصة، دون أن توجد فيه مشاعر جديدة تحث على البحث عن خالق الكون، وقد تشكل مجلس

١- نفسه: ص ٣٠٠.

٢- الإسلام والأديان في اليابان: ص ٢٢٥.

الديانات الجديدة[1] سنة ١٩٥٢م للإشراف على الجانب الدعوي للديانات الجديدة، وله مجلة صفحاتها مفتوحة لأقلام جميع الأعضاء[2]. وتهتم الديانات الجديدة بالقيم الدنيوية أكثر من اهتمامها بالحياة بعد الموت، وتركز على مقولات تجذب الأفراد، مثل تحسين الذات وتحقيق السعادة من خلال الإيمان أو حتى من خلال الممارسات السحرية، والديانات المعترف بها يقرب عددها من المئتين[3] أو بالتحديد ١٧١، كما تقرر الإحصائيات الرسمية[4].

لكن يبدو أن إحياء الموروث الديني القديم كان ضرورة لسد احتياجات الحياة اليومية التي مثلت لدى اليابانيين أهمية كبيرة أكثر من حاجتهم إلى الهيئات الدينية المختلفة، والموروث الديني والمعتقدات الدينية اكتسبت من الشنتوية والبوذية والطاوية والكونفوشية وغيرها من العقائد، والموروث الديني لا يقوم على عقيدة معينة أو تنظيم معين، ولا يهدف إلى كسب أتباع أو نشر عقيدة ما، بل هو عادات وتقاليد انتشرت بين الناس.

وهذا الموروث الشعبي، بما يتضمنه من احتفالات وأعياد ومهرجانات وممارسات تتم على مدار العام، لا يؤكد فقط على الأفكار بل يهتم بالشعائر والطقوس ذاتها، وقد كان هذا الموروث الديني، عبر تاريخ اليابان، مصدر الكثير من الحركات الدينية الجديدة؛ فهناك موروث ديني يتعلق بالإله والروح والعقاب والثواب والمحرمات، وهناك شعائر وطقوس تمارس على مدار السنة مثل: الاحتفال بالعام الجديد، والاحتفال بيوم الاعتدال الربيعي، ويوم الاعتدال الخريفي، والاحتفال بمهرجان الزهور، أو مهرجان

1- E. Saunders. Buddhism in Japan P 206.

٢- انظر إدوين رايشار، اليابانيون، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ص ٣١٧.

3- Buddhism in Japan P268.

٤- الإسلام والأديان في اليابان: صفحات ٢٥٣-٢٧٠.

النجوم أو عيد الموتى وغيرها[١].

والحقيقة أن الموروث الديني يبدو واضحا في حياة اليابانيين المعاصرة، ويبدو هذا جليًّا في انصراف اليابانيين عن الديانات التقليدية وميلهم إلى الموروث الشعبي الخاص بالدين، وقد ظهر هذا الموروث أحيانا في شكل الديانات الجديدة مثل ريوكاي، ومثل سوكا جاكّاي، وأوم شين ريكيو، والأخيرة نحت منحى إرهابيا أدى بالحكومة إلى محاكمة زعمائها[٢].

الإسلام:

والآن يأتي الحديث عن الإسلام في اليابان، وربما يكون من المفيد اقتصار الحديث على الخطاب الديني الإسلامي من خلال مناقشة الخطاب الإسلامي الياباني- الياباني في اليابان، والخطاب الإسلامي غير الياباني في اليابان في تسلسل تاريخي يصل بنا إلى ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ويمكن القول إن الصلات المبكرة بين اليابان والعالم الإسلامي ترجع إلى سنة ١٨٧١م، وتمثلت في زيارات متبادلة بين اليابانيين والأتراك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[٣]، وقد أشار السلطان عبد الحميد في مذكراته إلى قلق الروس من تنامي العلاقات التركية اليابانية[٤].

وقد اهتمت الصحف الأوربية بهذه المسألة، وأشارت إلى ذلك صحيفة ماي نيتشي اليابانية الصادرة في الرابع من أغسطس ١٨٩٣م، وإلى إسلام بعض اليابانيين ممن وصلوا إلى تركيا. ويذكر أن الدولة العثمانية وسعت

١- سمير عبد الحميد، الدعوة الإسلامية في اليابان بين نظريات الدعاية وواقعيات التطبيق الجريسي، القاهرة، الصفحات المتعلقة.

٢- سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان: ص ٣٣٠-٣٣١.

3- Hiso Lee . The advent of Islam in Korea P 163.

٤- انظر: مقدمة الرحلة اليابانية للجرجاوي، تحقيق سمير عبد الحميد، ط سوريا، ص ٥٣.

من نشاط فكرة الخلافة الإسلامية إلى أن وصلت إلى الصين واليابان، ويذكر علي أحمد الجرجاوي صاحب (الرحلة اليابانية) أن السلطان أرسل سعادة برتو باشا، أحد قادة الجيش العثماني، إلى اليابان لما قامت الحروب الروسية اليابانية ١٩٠٤-١٩٠٥م[١].

وعلى كل حال فقد أسلم خليل يامادا في تركيا ومعه شوتارا نودا، بينما أسلم بون باتشيرو أريجا في الهند. وبدا أن بعض اليابانيين يدخلون الإسلام لأسباب متعددة، منها فرض الإسلام عليهم لأسباب سياسية، وتظل قصة إسلام ميتسو تارو ياماوكا أول حاج ياباني محل تساؤلات عدة[٢]، وترتبط قصة سفره للحج بالداعية عبد الرشيد إبراهيم التاتاري الذي قدم إلى اليابان عام ١٩٠٩م.

مؤتمر الأديان بين الحقيقة والخيال:

إذا كان الجرجاوي قد زار اليابان وكتب عن زيارته لها كتابا نشر في حينها وترجم إلى الأردية بعد صدوره بعام واحد، فإن البعض يحاول التشكيك في فكرة عقد مؤتمر الأديان، إلا أن القرائن تؤكد أن مؤتمرا عقد في هذه الفترة التي شهدت نوعا من الانفتاح على الثقافات، فطبقا لما ذكره برتو باشا الذي بقي في بلاط الإمبراطور ميجى أثناء الحرب الروسية اليابانية، فإن الإمبراطور ميجي طلب من السلطان عبد الحميد إرسال علماء مسلمين يمكنهم شرح روح الإسلام وتنوير الشعب الياباني، وشعر السلطان بأن الشعب الياباني سيعتنق الإسلام إذا ما أرسل إليهم دعاة مؤهلين ومخلصين لدين الله، وهكذا فمن الممكن أن يكون الإمبراطور قد طلب التعرف على الدين الإسلامي عن طريق الدعوة إلى عقد مؤتمر الأديان في طوكيو عام ١٩٠٦م.

١- الإسلام والأديان في اليابان: ص ٣٤١.
2-Hiso Lee. P 172.

وطبقا لما جاء في مذكرات السلطان عبد الحميد، فقد كان الإمبراطور يود التعرف أكثر على أسلوب الحياة الاجتماعية في الإسلام، وعلى مفهوم التضامن بين المسلمين، وعلى نظام الوقف الإسلامي المعمول به في الدول الإسلامية[1]. وذكر الباحث الكوري هي سو لي أن الخليفة أرسل بعض الكتب لا الدعاة، بينما ذكر الجرجاوي أن الخليفة أرسل مندوبا عنه حضر مؤتمر الأديان، وألقى فيه خطبة شرح فيها مبادئ الإسلام[2].

في الوقت نفسه، أسس بعض الأشراف والنبلاء في اليابان جمعية باسم «الجمعية اليابانية للبحث في حقائق الأديان»، وقرروا عقد مؤتمر للبحث في المعتقدات الدينية، وطبقا للباحث الكوري، فإن الهدف الأساس من المؤتمر –طبقا للوثائق المتوفرة لديه– كان دراسة مبادئ الإسلام.

كما نشرت جريدة (تركمان جازيت) الصادرة في «بهاتشي سراي» خبر الدعوة إلى المؤتمر، وذكرت الشيء نفسه جريدة إقدام الصادرة في إستانبول، وذكرت صحيفة تشيو جاي كوهو المؤتمر، وكذا صحيفة جابان تايمز[3].

وهكذا يمكن القول إن عبد الرشيد أفندي إبراهيم نشط في مجال الدعوة الإسلامية، ثم كان قدوم الجرجاوي المصري والدكتور محمد حسين الهندي، ومولوي بركة الله الهندي، وواكب ذلك كله تأسيس بعض المساجد، منها مسجد كوبيه عام ١٩٣٥م، ومسجد طوكيو عام ١٩٣٨م الذي كان للداعية محمد عبد الحي قربان علي الفضل الكبير في العمل على بنائه، وقد أقام مدرسة ومطبعة بالحروف العربية، وأصدر مجلة شهرية بالتركية التتارية.

١- الجرجاوي، الرحلة اليابانية، الصفحات المتعلقة.

٢- الإسلام والأديان في اليابان: ص ٣٥٣.

٣- ومثال ذلك ما حدث لقربان علي الذي قبل في البداية وتم الترحيب به، ثم طرد فيما بعد.

جمعيات يابانية لدراسة الإسلام (قبل الحرب العالمية الثانية):

ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية جمعيات تهدف إلى دراسة الإسلام، من أهمها: الجمعية الإسلامية لليابان العظمى التي كان يرأسها رئيس وزراء اليابان سنجيورو هياشي (مات ١٩٤٣م)، ومعهد الثقافات الإسلامية دايتو بونا كاوكو إين، وقد تم حظر الجمعية الإسلامية قبيل الحرب العالمية الثانية، وظهرت مكانها جمعية خاصة تسمى جمعية الدراسات الإسلامية، ورغم طابع هذه الجمعيات الديني فإن أعضاءها في الأغلب كانوا من غير المسلمين، وقدم إلى اليابان بعض المسئولين والباحثين والعلماء من البلاد الإسلامية مثل حفيد سيد أحمد خان السير سيد مسعود الذي زار الجامعات وألقى بعض المحاضرات، ومثل البروفسور نظير الحسن أحمد برلاس الدهلوي الذي كان يعلم الأردية، ومثل ميان عبد العزيز رئيس الرابطة الإسلامية لعموم الهند الذي حضر حفل افتتاح مسجد كوبيه، وألقى عددا من المحاضرات، ومثل الشيخ حافظ وهبه وآخرين ممن حضروا حفل افتتاح مسجد طوكيو عام ١٩٣٨م. ونشط عدد من المسلمين اليابانيين في مجال التعريف بالإسلام مثل الحاج محمد نور تناكا إيبيه، ومomوتارو اينوموتو، ومحمد عبد المنعم هوسوكاوا، والحاج محمد صالح سوزوكي تاكيشي، وصادق إيزومي، وصدرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام ١٩٢٠م، كما صدرت الترجمة الثانية عام ١٩٣٠م.

ومن الملاحظ، من خلال استقراء الأحداث والعلاقات المتشابكة، أن اليابان لم تكن تهدف إلى التعرف على الإسلام كدين وعقيدة بقدر ما كانت تهدف إلى التعرف على شعوب العالم الإسلامي والحياة الاجتماعية في الإسلام، ونظم الدولة الإسلامية الإدارية للاستفادة منها. وكان للظروف السياسية الداخلية في اليابان دور في قبول وجود الدعاة على أرضها

أو رفضهم[1].

ويذكر أنه في عام ١٨٧٣م سنّت الحكومة بعض القوانين محاولة التدخل في عقائد الناس في اليابان، فحدث تذمر أو ما أطلق عليه انتفاضة في مارس ١٨٧٣م، اشترك فيها عشرون ألفا من أتباع طائفة الشين مطالبين بالحرية الدينية.

وقد شرح البروفسور برلاس الدعاية التي انتشرت في العالم الإسلامي عن انتشار الإسلام في اليابان بقوله في مجلة معارف الهندية، مجلد ٣٥ عدد ٥، سنة ١٩٣٥: «... هذه الأخبار عارية من الصحة، فلا الإمبراطور أسلم ولا يوجد عشرون ألف ياباني مسلم، وليس لدى حكومة اليابان أي استعداد لبناء مسجد!!». لكني أظن أن الرجل كان متشائما، لأن مسجد كوبيه افتتح، وبني مسجد طوكيو بعد عدة سنوات.

الإسلام بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد الحرب العالمية الثانية كفل الدستور الجديد حرية الدين لجميع اليابانيين، وسمح لكل ياباني بأن يعتقد ما يراه مناسبا من دين وأن يمارس الشعائر التي يؤمن بها، وهكذا تأسست جمعية مسلمي اليابان في فترة حصلت فيها معظم الدول الإسلامية في إفريقيا وآسيا على استقلالها، وفتحت لها سفارات في اليابان وبدأت اليابان تهتم بدراسة لغات الشعوب الإسلامية والتعرف على الدراسات الإسلامية من منابعها بشكل مباشر، فسافر عدد من الدارسين اليابانيين إلى البلدان الإسلامية، وقدمت الجامعات العربية والإسلامية المنح للطلاب اليابانيين، ومارست السفارات العربية والإسلامية دورا إيجابيا في دعم المسلمين اليابانيين[2].

١- مجلة المعارف الهندية (باللغة الأردية)، م ٣٥، عدد ٥ سنة ١٩٣٥م.

٢- الإسلام والأديان في اليابان: ص ٤٣٩ وما بعدها.

نشطت جمعية مسلمي اليابان منذ تأسيسها ١٩٥٢م أو ١٩٥٣م، وبعد ذلك تأسس المركز الإسلامي العالمي الذي تحول إلى المركز الإسلامي في اليابان عام ١٩٧٤م، وله جهود مشكورة في مجال الدعوة، وهناك اتحاد للجمعيات الإسلامية في اليابان تأسس عام ١٩٧٦م يضم عددا من الجمعيات الإسلامية[1]، وهناك اتحاد جمعيات الصداقة الإسلامية، وجاء تأسيس المعهد العربي الإسلامي في طوكيو بمثابة دفعة قوية للتعريف بالإسلام والثقافة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن الدارسين اليابانيين اهتموا بترجمة معاني القرآن الكريم فصدرت ترجمة شومي أوكاوا في فبراير ١٩٥٠م، وترجمة توشيهيكو إيزوتسو عام ١٩٥٧م، وترجمة أسامو إيكيدا وياسوناري بان سنة ١٩٧٠م، ثم توِّج ذلك بترجمة الحاج عمر ميتا التي صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٢م والثانية عام ١٩٨٢م[2].

كما شهدت هذه الفترة تأسيس عدد كبير من المساجد، مثل مسجد أوسكا عام ١٩٧٧م، ومسجد المؤتمر الإسلامي في شنجكو، ومسجد المعهد العربي الإسلامي، وأعيد بناء المسجد الجامع في طوكيو، ثم أسست مساجد صغيرة أو مصليات عديدة في طوكيو وما حولها وصل عددها أكثر من ٣٠ مصلى، وصدر عدد كبير من الكتب الإسلامية بعضها مترجم وبعضها مؤلّف، وظهرت مجلات إسلامية يحررها يابانيون وغير يابانيين، وبدأت اليابان تخطط لعقد ندوات ومؤتمرات، وتخطط لمشاريع بحثية انتهى بعضها ومايزال الباقي في طور التنفيذ.

١- هي سو لي عبد الرشيد إبراهيم، والعلاقات الإسلامية اليابانية: ترجمة كمال أحمد خوجه، مخطوط غير مطبوع، ص ٧٥.

٢- ذكر عبد الرشيد إبراهيم أنهم طبعوا منه خمسة ملايين نسخة، المصدر السابق ص ٨٩.

نظرة فاحصة على الخطاب الديني الإسلامي في اليابان:

نتوقف هنا لكي نحلل بأسلوب علمي دقيق الخطاب الديني الإسلامي في اليابان الذي يمكن تقسيمه تاريخيا إلى:

- فترة البدايات
- فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية.
- فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.
- فترة ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر
- فترة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

١- فترة البدايات:

شهدت فترة البدايات رغبة بعض المثقفين اليابانيين في التعرف على الإسلام من خلال قراءتهم لما كتبه الغربيون، وما ترجم من هذه الكتب إلى اللغة اليابانية، ولم تكن العلاقة المبكرة بين اليابان والعالم الإسلامي تهدف إلى التعرف على الإسلام كعقيدة، بقدر ما كانت تهدف إلى التعرف على حياة المسلمين أنفسهم في بلادهم، وقد تأثر بعض اليابانيين بالحياة الإسلامية في تركيا والهند، وأعلنوا إسلامهم، لكنهم لم يعملوا على دعوة بني جلدتهم إلى الإسلام، وإن كان أحمد أريجا الذي أسلم في الهند سعى إلى نشر ترجمة لمعاني القرآن الكريم باليابانية.

ونشير هنا إلى أن المؤتمر الديني الذي عقد سنة ١٩٠٦م لبحث موضوع الأديان وقيام الجرجاوي ومعه بعض المسلمين بالدعوة إلى الإسلام يحتاج إلى دراسة متعمقة. والحق أن هناك كتابات صدرت عن يابانيين تتعلق بالإسلام نشرت في السنة السابقة للمؤتمر وربما كانت إرهاصات لإثارة التساؤل الأكبر والرغبة في التعرف على الإسلام من أهل الإسلام أنفسهم.

أما الساسة اليابانيون فكانوا حريصين على التعرف على نظام الخلافة وقدر الخليفة في قلوب المسلمين[1]، كما أنهم كانوا يقدرون قوة العالم الإسلامي لو اتحدت أقطاره معا، ويتمنون لو أن الإسلام قدم إلى اليابان، لكنهم أشاروا إلى مسألة تعدد الزوجات كأمر غير مقبول، وفهموه على أنه من شروط الإسلام.

ويرى عبد الرشيد إبراهيم[2] أن النصارى سعوا لدى الحكومة اليابانية من أجل منع المسلمين من الدعوة إلى الإسلام في اليابان وخاصة ابتداء من عام ١٩٠٦م حين عقدوا اجتماعا بهذا الهدف، إلا أن الحكومة اليابانية رفضت؛ لأن الدستور يرى بأن لا تتدخل الحكومة في مسألة الدين، ومن هنا بدأ النصارى أنفسهم في العمل ضد الإسلام، فأصدروا كتاب «محمد» وفيه ما فيه من افتراءات على الإسلام[3] ووزعوه في القرى والمدن مجانا، ونشر المنصرون الأوربيون والروس كتبا أخرى من هذا القبيل.

حاول بعض المسلمين المقيمين في اليابان كشف الحقائق، فقام اليوزباشي أحمد فضلي المصري الذي كان يقيم في بلدة نيبوري المجاورة لطوكيو (آنذاك)[4] مع عبد الرشيد إبراهيم بإلقاء ثلاث محاضرات بالإنجليزية ترجمها إلى اليابانية السيد بابا المحرر في جريدة جابان تايمز، وقد كان لهذه المحاضرات صدى كبير لدى اليابانيين، ونشرت مقتطفات منها في الصحف اليابانية. ويشيد عبد الرشيد بأحمد فضلي كأول من تكلم في أوساط المجتمع الياباني يبين حقائق الإسلام.

ظهرت في هذه الفترة المبكرة كتابات بأقلام يابانيين وغير يابانيين دافع بعضهم فيها عن الإسلام ونبيه الكريم عليه الصلاة والسلام، ومن هؤلاء

١- نفسه: ص ٨٢.

٢- حديث الأمير إيتو مع عبد الرشيد في المصدر السابق، ص ٨١.

٣- وردت القصة في مذكرات عبد الرشيد، انظر: هي سو لي، ص ٩١.

٤- وهي الآن حي يقع في قلب أحياء طوكيو التي تمثل طوكيو الكبرى.

السيد ميهارا صديق وفضلي وعبد الرشيد، وهكذا بدأ اليابانيون يتعودون على سماع كلمة الإسلام، وتمنى بعضهم وهو غير مسلم أن يدفن إذا مات في مقابر المسلمين، وكان ذلك قبل الحرب اليابانية الروسية[١]. ومن العجيب أن يغضب بعض اليابانيين حين خلع السلطان عبد الحميد وأدخل السجن، فقد استنكروا أن يهان الخليفة بهذا الشكل، وأبدوا رغبتهم في تنظيم مظاهرات استنكار[٢]، وعلى كل حال شهدت فترة البدايات تلك اهتمام اليابانيين من غير المسلمين بنشر أبحاث مختصرة عن القرآن الكريم أساسا، ثم عن مبادئ الإسلام. فكتب نوكاريا راكؤو (وينطق أيضا كاي تين) بحثا في ٢٨ صفحة نشره على حلقتين بعنوان (حول القرآن) في ٥ يونيو ١٩٠٥م وفي ٥ يوليو ١٩٠٥م، كما كتب فوجيتا كيسؤو أيضا سلسلة مقالات بعنوان (عن القرآن) نشرها خلال سنة ١٩٠٧م، ثم كتب في شهر أكتوبر من العام نفسه مقالا بعنوان (طبعات وترجمات معاني القرآن الكريم). وفي العام التالي نشر سلسلة مقالات بعنوان (عن الكتاب المقدس في الإسلام)، ويقصد القرآن الكريم، وكان نوكاريا راكؤو سابق الذكر مهتما بالإسلام حيث نشر مجموعة من الأبحاث منها «عن المحمديين» ويقصد بهم المسلمين و«الأديان قبل محمد» و«محمد والمسيح وبوذا». وهناك من اهتم أيضا بمقارنة الأديان مثل آوكي ريتسوهيكو الذي ترجم عن الألمانية كتاب البوذية والإسلام والنصرانية لصاحبه Farke،Robat ونشره في يوليو ١٩٠٣م.

ويبدو أن بعض المفكرين اليابانيين اهتموا بالإسلام ومقارنته بتعاليم الديانات الأخرى؛ فقد نشر كاتو كين إيتشي كتابا بعنوان (التاريخ المقارن للديانات الشرقية والغربية)، نشره في نوفمبر من عام ١٩٠٣م، وكتب مقالات منها: «مغزى الإسلام في تاريخ ديانات العالم»، عام ١٩٠٧م، «الإسلام من وجهة نظر شنتوية»، سنة ١٩٣٨م.

١- نفسه.

٢- انظر مقال لصالح السامرائي بعنوان «الدعوة الإسلامية في اليابان تاريخا وتطورا»، صدر عن المركز الإسلامي بطوكيو، ص ٢ و ص ١٠.

وفي سنة ١٩١٠م، نشرت جمعية اليابان العظمى للحضارة (Greater Japan Association of Civilization) كتابا عن الإسلام ضمن سلسلة ديانات العالم. وظهر بعد ذلك بسنوات قليلة من كتب عن عقائد الإسلام وهو تاكانو شؤوجي الذي نشر بحثا بعنوان (عقائد الإسلام وفرائضه) عام ١٩١٦م، وبعدها بسنتين كتب سئيكاوا كاميه كتابا بعنوان (الإسلام) وذلك في إبريل من سنة ١٩١٨م.

ومما لا شك فيه أن المسلمين من غير اليابانيين قد أسهموا، بحسب ما لديهم من إمكانيات، في التعريف بالإسلام؛ فمولوي بركة الله الهندي الذي وصل طوكيو عام ١٩٠٩م ليعمل أستاذًا للغة الأردية في جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية انضم إلى اليوزباشي المصري أحمد فضلي وعبد الرشيد إبراهيم التتاري التركي، وأسهم فضلي في إصدار مجلة (الأخوة الإسلامية) التي أسسها مولوي بركة الله في طوكيو ما بين عامي ١٩١٠ – ١٩١٢ [١]. ومما يذكر أنه قد أسلم على يد بركة الله الكونت الياباني هاتانو وتسمى بحسن هاتانو، وقد أسلم هاتانو وزوجته ووالد زوجته وأصدر هاتانو جريدة Gunjin و Islam بعد وقف الأخوة الإسلامية، وفي سنة ١٩١٨ أصدر مجلة Islamic Brotherhood، وهي مجلة شهرية مصورة بالإنجليزية[٢].

أما على المستوى الرسمي، فقد دفعت الحكومة اليابانية شابا يدعى ياماوكا للدخول في الإسلام، إذ كانت تريد إرساله إلى الحجاز، فكان لا بد من أن يعلن إسلامه، وقصة إسلامه تدل على أن الخطاب الإسلامي في اليابان لم يكن واضحا على الإطلاق حتى عام ١٩٠٩م، وهو العام الذي ذهب فيه ياماوكا أو عمر ياماوكا للحج، إلا أن صفوة المفكرين اليابانيين

١- السامرائي: المقال السابق، ص ١١.

٢- سمير عبد الحميد، البوشيدو روح اليابان وقيم الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض.

كان لديهم تصور واضح عن الإسلام وتعاليمه، وهنا نشير إلى نموذج واحد، وهو المفكر والفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه الذي نظّر للبوشيدو روح اليابان التي تعد الدستور الأخلاقي لليابان ليرد على الاتهام الذي يوجه عادة لليابان، بأنه لا دين لها على حد قوله، فهو يرفض هذه المقولة رغم أنه اعتنق النصرانية !!. وقد أشار في كتابه الذي كتبه عام ١٩٠٥م إلى جوانب في الفكر الإسلامي، كما اقتبس من القرآن الكريم ما يدل على فهم عميق للإسلام ومعرفة جيدة بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي(١).

٢- فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية:

كان الخطاب الإسلامي في اليابان في فترة ما قبل الحرب العالمية خطابا مؤثرا، وربما مارست الظروف السياسية دورا في هذا الأمر، فقد هاجر عدد كبير من مسلمي تتارستان، ووجدوا ترحيبا من المسئولين اليابانيين، كما حرصت اليابان على كسب ودِّ مسلمي الصين الذين كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها(٢)، ومن ناحية أخرى كانت اليابان تنظر بعين العطف إلى الهند، وسمحت للتجار الهنود، وكان منهم كثير من المسلمين، بالعمل في اليابان، وهكذا أثمر تجمع التجار الهنود، بناء مسجد كبير في ميناء كوبيه عام ١٩٣٥م، كما أثمر نشاط الجمعية التركية برئاسة قربان علي، الذي انضم إليه عبد الرشيد إبراهيم بعد عودته إلى اليابان سنة ١٩٣٣م، بناء المسجد الجامع في العاصمة طوكيو عام ١٩٣٨م، واعترفت الحكومة اليابانية بالإسلام دينا بجانب النصرانية وغيرها، وهكذا، وكما يقول الباحث الكوري هي سو لي (جميل): صار المسلمون من أصل ياباني تحت ضمانة وحمايته القانون(٣).

١- انظر: تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية، تحرير نخبة من جامعة تاكشوك، ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي، تحت الطبع.

٢- هي سو لي: العلاقات الإسلامية اليابانية، ص ١٣٢.

٣- نفسه.

ومن يستقرئ أحداث تلك الفترة يدرك بأن الظروف كانت مواتية لانتشار الإسلام في اليابان، لكن اقتصار الدعوة على بضعة أشخاص دون توسع النشاط الدعوي من قبل المسلمين حال دون ذلك، وحاول عبد الرشيد إبراهيم دعوة بعض العلماء، فقدم إليه العالم القازاني موسى جار الله بيجي، وجرى التخطيط لإصدار المجلات والكتب الإسلامية، لكن الحرب العالمية الثانية منعت من وضع هذا المخطط موضع التنفيذ. كما أن ميان عبد العزيز رئيس الرابطة الإسلامية لعموم الهند استمر مدة عام تقريبا بعد افتتاح مسجد كوبيه يلقي محاضرات هنا وهناك عن مبادئ الإسلام، وقد نشر محاضراته وآراءه عن وضع الإسلام في اليابان[1].

ويلاحظ أن الخطاب الإسلامي في اليابان في تلك الفترة وجد آذنا صاغية من قبل السلطات اليابانية، التي أعادت النظر في الصفحات المتعلقة بالمسلمين والأتراك في الكتب المدرسية اليابانية، واعتمدت التصحيحات من قبل وزارة التربية والتعليم اليابانية[2].

وشهدت الفترة ذاتها ظهور عدد من المسلمين اليابانيين المؤثرين في صنع القرار داخل اليابان، ويأتي على رأسهم الحاج نور محمد تناكا إيبيه ثاني حاج ياباني بعد عمر ياماوكا، وقد تتلمذ على يديه عدد من اليابانيين، وكان يلتقي بقربان علي الذي كان يعمل في شركة خط سكة حديد منشوريا، وتناكا إيبيه يعد –بحق– رائد الدراسات الإسلامية في اليابان، ويمكن أن نعده دون حرج أول داعية إسلامي ياباني، فقد كان يدعو إلى الإسلام بالقلم واللسان، كتب في الصحف والمجلات، كما ألقى العديد من المحاضرات، وتناكا إيبيه يمثل بحق نوعية الخطاب الإسلامي الياباني الياباني، وهو يختلف عن نوعية الخطاب الإسلامي الموجه من قبل الدعاة الوافدين

١– في كتابه الذي صدر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٣٥م بعنوان Crescent in the Country of Rising Sun.

٢– انظر: تناكا إيبيه، رائد الدراسات الإسلامية في اليابان، الصفحات المتعلقة.

على اليابان، وهذا لا يعني تفضيل الأول على الثاني أو العكس، فكلاهما يكمل الآخر ويعضده، وهناك مآخذ على الخطاب الإسلامي عند تناكا إبيه مردها إلى أن الرجل تثقف ثقافة إسلامية في الصين، ثم عايش المسلمين الصينيين، وترجم ما كتب بالصينيية (ريوكاي كو) عن الرسول ﷺ، وبعد أن اقتنع تماما بالإسلام أعلن إسلامه في الصين وأراد أن يكمل فريضة الحج، وبعد الحج كتب عن رحلته، وألقى عددا من المحاضرات عن تجربته في الحج، وعن حياة المسلمين اليومية وخاصة في أيام الحج[1].

ومن الملاحظ أن تناكا إيبيه لم يتطرق في خطابه الإسلامي إلى أمور كثيرة تتعلق بالعقيدة، كما لم يهتم بتعلم اللغة العربية لغة القرآن، وإن كان قد أشار إلى تأثره الشديد وبكائه حين كان يستمع إلى صوت أحد الشيوخ يرتل القرآن الكريم، وقد نقل تناكا إيبيه كتاب السيرة النبوية عن الصينية، وترجم الكثير مما يتعلق بالقرآن الكريم عن الصينية. وهناك من اليابانيين من تأثر بالسيرة النبوية، ولم يكن مسلما إلا أنه أحب الرسول حبًّا جمًّا لدرجة أنه كان يحدث أصدقاءه بأنه رآه في المنام.. وظن هؤلاء أن أعراض الجنون بدأت تظهر عليه، وأقصد هنا المفكر الياباني رائد فكرة آسيا الموحدة أوكاوا شوميه، وهو أول من ترجم معاني القرآن الكريم إلى اليابانية معلنا أن من لا يعرف العربية يصعب عليه فهم هذا الكتاب المقدس[2].

وهكذا نلاحظ وجود نمط آخر من الخطاب الإسلامي في تلك الفترة كان صادرا عن ياباني غير مسلم، والحقيقة أنه يصعب علينا الآن حصر الكتابات التي ظهرت في تلك الفترة والتي تناولت الفكر الديني الإسلامي في اليابان، ونذكر هنا بعضها حتى نوضح اتجاهات الخطاب الديني الإسلامي

١- أووتسكا تاكيه هيرو، أوكاوا شوميه رائد مبدأ آسيا الموحدة، ترجمة د.أحمد محمد فتحي، القاهرة، الصفحات المتعلقة.

٢- استفدت من كتاب بيبلوجرافيا الكتب والأبحاث التي نشرت في اليابان منذ البداية وحتى عام ١٩٨٥م.

الصادر من اليابانيين غير المسلمين.

كتب المفكر الياباني أوكوبو كؤوجي أبحاثا متنوعة تلقي في مجملها الضوء على تعاليم الإسلام، وكان يكتب باليابانية والفرنسية والإنجليزية، منها «الإسلام» و«العقائد والشرائع الإسلامية» و «عن المحمدين» و«قراءات إسلامية» و «مبادئ الإسلام والحالة الحاضرة» و«دراسات عن القرآن الكريم» بالإشتراك مع كاجاميشيما هيرؤوكي.

أما كوباياشي هاجيميه سابق الذكر، فقد كتب «مذكرات عن رمضان» في يناير ١٩٣٨م، وفي يونيو ١٩٣٩م سلسلة مقالات بعنوان (التاريخ الإسلامي) نشرت، بعنوان (القرآن أو السيف)، واستمر في نشر سلسلة مقالات عن الإسلام حتى عام ١٩٦٠م.

وهكذا وجد مفكرون بدؤوا كتاباتهم عن الإسلام في تلك الفترة واستمروا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، مثل سودا ماساتسوجو الذي كتب سنة ١٩٣٧ م مقالا بعنوان «عن الإسلام» و سلسلة مقالات سنة ١٩٥٥ بعنوان «حكاية الإسلام».

وأنجز بعض الكتاب مراجعات لكتب الغربيين عن الإسلام، ومنهم تاساكا كؤودو الذي كتب مراجعة لكتاب (أربري الإسلام وديانات الشرق القديم) ونشرت هذه المراجعة في أكتوبر ١٩٤١م.

ومن العجيب أن يهتم بعض المفكرين اليابانيين بالمذاهب التي نسبت نفسها إلى الإسلام والإسلام منها براء، مثل البهائية، فقد كتب نايتو تشيشو بحثا قصيرا بعنوان «المذهب البهائي ومؤسسه» نشر في يناير ١٩٢٩م، كما كتب هو نفسه سلسلة من المقالات منها «حركات الصلاة في الإسلام» و«مدخل إلى الإسلام»، و«ظهور المذاهب وتطورها في الإسلام» أكتوبر ١٩٣٨م، و«الثقافة الإسلامية» و «الصلاة الإسلامية» ، كما كتب ماتسوميا شون إتشئيرو مقالة

بعنوان (البهائية) نشرت في ديسمبر ١٩٣٠م.

وباختصار، فقد ركز معظم اليابانيين في تلك الفترة على شرح مبادئ الإسلام بشكل عام، فقد كتب نوكئيوتشي ناجايوشي مبادئ الإسلام في سلسلة من المقالات نشرت مابين ١٩٣٩ و١٩٤١م، وكتب فوجيو جونجي: « العبادة والواجبات الدينية في الإسلام»، إبريل ١٩٣٩م، وكتب ميتاني كؤورو عن الشروط الإسلامية للطعام في فبراير ١٩٤٠م، وكتب ميتسو هاشي فوجيو «ماء الطهارة الذي يستخدمه المسلمون» في يوليو ١٩٤٢م، واهتم آخرون بالكتابة عن رأي غير المسلمين في الإسلام، فكتب هاراميتشي تسوجو «وجهات نظر روسية عن الإسلام» ونشر بحثه في أول أكتوبر من عام ١٩٣٩م وترجم ساكي اكئيو كتاب C H Bcker عن الألمانية النصرانية والإسلام ونشره عام ١٩٣٩م.

وهناك كتابات مجهولة المؤلف، ربما صدرت بهدف الدعاية لمذهب معين كانت مترجمة عن لغة ما، ومنها: «البهائية دين الحب»، ومنها «المذاهب والمساجد والفرق في الإسلام» أغسطس ١٩٣٨م، ومنها «الحج في الإسلام» فبراير ١٩٣٩م ومنها «المفهوم المعاصر للإسلام» مايو ١٩٣٩م، ومنها «المفهوم الإسلامي للحياة بعد الموت» ديسمبر ١٩٣٩م وغيرها[1].

لقد اهتم اليابانيون في مرحلة البدايات بالقرآن الكريم واستمر هذا الاهتمام، بل زاد كثيرا فصدرت ترجمة أريجا (أحمد) مع تاكاهاشي جورؤو في يونيو ١٩٣٨م في ٨٧٨ صفحة مع ٨ صفحات مقدمة، وصدرت سلسلة مقالات تضمنت ترجمات لمعاني آيات من القرآن وشرحا لبعضها، وقد قام بهذا كل من ساكاموتو كئين رينشي، وأوكوبو كوجي، وكوباياشي

١- انظر: عبد الكريم تومئيوكا، بحث عن الإسلام في اليابان، مكمل لدرجة البكالوريوس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١١ هجرية، غير مطبوع. وأيضا: سمير عبد الحميد: الإسلام والأديان في اليابان، ص ٤٠٥.

هاجيميه (مقالات مختصرة نشرت خلال ١٩٣٨ و ١٩٣٩م)، وقام أوكوبو كؤوجي بترجمة سلسلة من المقالات صدرت بالألمانية بعنوان: Koran der Japanischen Ubersetzung خلال ما بين ١٩٤١ و١٩٤٤م. وكتب ساكوما تيجيئيرو مقالا بعنوان «تحليل أو شرح القرآن» في فبراير ١٩٣٦م. واهتم إيكيدا تاداشي بالكتابة عن صحيح البخاري وصحيح مسلم، فنشر مقالا عن الصحيحين في سبتمبر ١٩٣٩م.

وظهرت كتابات مجهولة المؤلِّف أيضا عن القرآن الكريم والحديث النبوي، منها: حول الكتاب المقدس في الإسلام في أغسطس ١٩٣٨م، وفصول من الحديث النبوي يوليو ١٩٣٩م، والحديث النبوي سبتمبر ١٩٤٠، وهي مقالات قصيرة في أربع أو خمس صفحات.

وإذا ما انتقلنا إلى السيرة النبوية لاحظنا الاهتمام بالترجمة عن اللغات الأخرى، فقد سبق ذكر تناكا إيبيه وترجمته لموسوعة السيرة النبوية التي كتبها ريو كايكو بالصينية ١٩٤١م، وقد ترجمت الجمعية الإسلامية اليابانية عام ١٩٣٤م كتابا لعبد المجيد قريشي في السيرة النبوية عن اللغة الأردية بعنوان (هادي عالم)، أما فورونو كئيوتو فقد ترجم كتاب Dermenghem،Emile عن الفرنسية (حياة محمد La Vie de Mahammet) وذلك في ديسمبر ١٩٤٠م، كما أصدرت جمعية اليابان الإسلامية أيضا ملخص سيرة محمد بقلم أريجا (أحمد)، ونيشيموتو في إبريل ١٩٣٥م، وكتب هيروشي تطور الدراسات الخاصة بسيرة محمد في يوليو ١٩٤١م، وكتب أوكازوا شوميه مقالا بعنوان (الإسلام ومؤسسه) نشر في مارس ١٩٢٣م، بينما كتب أوكودائي را شؤإتشي مقالة صغيرة بعنوان (حياة النبي محمد) في يوليو ١٩٣٨م، وكتب أوكاجيما سئيتا رؤو (مغزى ظهور الإسلام) في أغسطس ١٩٤٢م، وكتب كوسانو هاتشيرؤو (مبدأ محمد: القرآن أو السيف) في نوفمبر ١٩٣١م، وكتب نايتؤو تشيشو (محمد المؤسس) في أغسطس ١٩٣٨م، وكتب نوجوتشي زينشيرو (حياة محمد) في يناير ١٩٣٠م.

وهكذا نلاحظ الثراء الكبير الذي شهدته هذه الفترة سواء في الكتابات المتعلقة بالقرآن الكريم والسيرة النبوية أو المتعلقة بالفكر الإسلامي بصفة عامة، وهذا يدل على أن الخطاب الديني الإسلامي كان متنوعا طبقا لمصادره التي تعددت داخل الساحة اليابانية التي كانت تعد عدتها لخوض حرب، سيكون فيها للمسلمين –على الأقل من وجهة نظر المفكرين اليابانيين– دور يمارسونه، وبالتالي يجب فهم عقيدة هؤلاء المسلمين.

ومن الملاحظ أيضا أن الخطاب الديني الإسلامي لم يمضِ على وتيرة واحدة، فتناكا إيبيه أو نور محمد تناكا أسلم في الصين وتأثر بمسلمي الصين، وكانت صورة الإسلام في ذهنه هي صورة الإسلام في المناطق الصينية التي عاش فيها. بينما حاول أرباب بعض المذاهب مثل البهائية إسماع أصواتهم لليابانيين، وحاول بعض المنصرين الدخول في المجال نفسه عن طريق تقديم بعض الكتب التي يمكن ترجمتها، وتقديم تصور الغرب عن الإسلام، ووسط كل هذه الأصوات كان هناك من يحاول التركيز على إسماع صوت القرآن عن طريق ترجمة معانيه، أو من يكتب أو يترجم كتبا عن السيرة النبوية لتقديم نموذج مثالي لحياة المسلم.

صورة متداخلة للغاية، ويزيد في تداخلها تغلب العقائد التراثية لدى اليابانيين جميعا، دون تمييز بين نصراني أو مسلم أو بوذي أو شنتوي أو كونفوشي... ففكرة الإله ما تزال غير واضحة في الأذهان، وفكرة البعث يتم تقديمها بأشكال مختلفة قد لا تتفق مع عقيدة الإسلام، ولا حتى مع ما يراه النصارى، ومن هنا كانت محاولات الربط والخلط والتداخل الذي يصعب معها الفصل بين المعتقدات لدى الشعب الياباني.. فكانت هناك حاجة ماسة وضرورية إلى وجود عدد ممن يستطيعون تقديم الإسلام في اليابان في صورة مبسطة وواضحة، والقرائن تؤكد على أن هذا الأمر لم يتيسر على الأقل في تلك الفترة، أي فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية.

٣ – فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد استسلام اليابان في الحرب العالمية الثانية نتيجة استخدام أمريكا لأسلحة الدمار الشامل، تغيرت الظروف وتعطلت المؤسسات والمنظمات ومراكز البحوث التي كانت تعمل على التعريف بالإسلام أو نشره، وتوقف صدور المطبوعات التي تتعلق بالثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي؛ ذلك لأن أهمية الإسلام عند السياسيين والباحثين قد انتهت بعد فشل تحقيق حلم آسيا الكبرى، وهكذا توقف النشاط الإسلامي حتى إعلان الاستقلال[١].

بعد أن استعادت اليابان حقها في إدارة شؤونها سنة ١٩٥١م، أسست جماعة من مسلمي اليابان جمعية لهم عام ١٩٥٢م، ذلك لأن الدستور الجديد كفل حرية الأديان لجميع اليابانيين، وسافر عدد من اليابانيين المسلمين وغيرهم للدراسة في البلدان العربية والإسلامية، وظهر دعاة يابانيون مثل: صادق إيزومي، والحاج عمر ميتا، والحاج عبد الكريم سايتو، والشيخ أبو بكر موريموتو وغيرهم ممن عملوا في حقل الدعوة، وظهرت تنظيمات أخرى، منها، المركز الإسلامي العالمي الذي تأسس في مارس عام ١٩٦٦م ليشارك في الدعوة من خلاله عددٌ من المقيمين في اليابان من مختلف البلدان الإسلامية من طلاب ودبلوماسيين[٢]، وقد تحول فيما بعد، وبالتحديد سنة ١٩٧٤م، إلى المركز الإسلامي في اليابان.

ويمكن القول إن هذه الفترة تشبه فترة البدايات، وكأن الخطاب الإسلامي في اليابان يبدأ من جديد، من خلال اهتمام اليابانيين باللغة العربية والاهتمام بشئون البلدان العربية والإسلامية، والسعي إلى التجارة مع هذه البلدان، فضلا عن فتح سفارات للبلدان العربية والإسلامية في اليابان. وكان الخطاب الإسلامي صادرًا من دعاة عاصروا الفترة السابقة مثل

١- الإسلام والأديان في اليابان: ص ٤٢٩.

٢- النشرة التعريفية بالمركز الإسلامي في اليابان، ص ١.

صادق إيمايزومي الذي أسلم على يديه يوسف إيموري، وصادق كاتاياما، والأول يعد من أفضل الباحثين في اللغة العربية في اليابان. والحاج عمر ميتا هو أيضا من المنتمين للفترة السابقة، لكنه نشط بعد الحرب العالمية ونشر كتابيه «من أجل فهم الإسلام» و«مدخل إلى الإسلام»، وترجمة لكتاب «حياة الصحابة» عن الأردية، وبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم.

وهناك من أسلم في هذه الفترة مثل الحاج عبد الكريم سايتو عام ١٩٥٧م، ومن خلال عمله أستاذا بجامعة تاكشوك أدى خدمة جليلة للإسلام ولمسلمي اليابان.

ومما يلاحظ في هذه الفترة أن الخطاب الإسلامي الصادر عن المقيمين الوافدين على اليابان كان ضعيفا، يريد أن يحدد مسارات انطلاقه، من خلال عقد ندوات، أو إصدار مطبوعات أو المشاركة في العمل الإسلامي مع إخوانهم من مسلمي اليابان.

٤- فترة ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

المقصود بها الفترة التي تبدأ تقريبا من سنة ١٩٧١م، وهي السنة التي زار فيها المرحوم «جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز» اليابان، وهي فترة مهمة، وتحتاج إلى قليل من التفصيل؛ لأنها شهدت ارتفاع صوت الخطاب الديني الإسلامي عبر مكبرات صوت متنوعة، وربما متباينة أحيانا، فبينما استمر نشاط جمعية مسلمي اليابان ضمن برنامج محدد يتلخص في إصدار مطبوعات باليابانية، وعقد ندوات، وتنظيم فصول تعليم اللغة العربية، وإرسال الطلاب اليابانيين المسلمين إلى الخارج، والرد على أسئلة تتعلق بالإسلام، ومساعدة الشركات التي بدأت مكاتبها تنتشر في العالم العربي والإسلامي، فقد قام المركز الإسلامي الذي كان يعرف قبلا بالمركز العالمي الإسلامي بالحصول على اعتراف الحكومة اليابانية به كمنظمة دينية قانونية عام ١٩٨٠م، وكان خطابه الديني يركز على إعطاء فكرة

صحيحة عن الإسلام بالطرق الميسرة من عقد ندوات لتدريس العربية، وترجمة وطباعة كتب عن تعاليم الإسلام[1] ونشط المركز كثيرا، وبخاصة بعد تأسيس مبناه الجديد، وتزويده بكوادر نشطة عن طريق دعم من رابطة العالم الإسلامي، ووزارة الأوقاف الكويتية، ودار الإفتاء بالسعودية، ووزارة الشؤون الإسلامية في الإمارات، وغيرها.

لا شك أن الظروف الاقتصادية مارست دورا مهما في دعم الخطاب الإسلامي في اليابان، كما كانت زيارة الملك فيصل لليابان ذات أثر عظيم، من الناحية المعنوية والمادية؛ إذ زاد الاهتمام بدعم العمل الدعوي المنظم، فقد كانت نظرته الثاقبة تدرك أن الظروف مهيأة للتعريف بالإسلام، في وقت اشتد فيه حرص اليابان على التعامل مع بلدان العالم الإسلامي المنتجة للنفط، ومن هنا سعت أيضا للتعرف على الإسلام، وهكذا أرسلت المملكة العربية السعودية إلى اليابان عددا من الدعاة وقامت بدعم عدد آخر.

في أعقاب ذلك، تأسست جمعية الثقافة الإسلامية في اليابان التي كانت تضم مسلمين وغير مسلمين، وأسست شركة لنشر مطبوعاتها، ثم شهدت مدينة طوكيو العاصمة تأسيس المؤتمر الإسلامي الياباني الذي بدأ رئيسه الطبيب شوكت فوتاكي يدعو إلى الإسلام من خلال عياداته الطبية؛ وهو ما أسهم في تحول عدد كبير جدا من اليابانيين إلى الإسلام[2]، وتأسست جمعية باسم مؤسسة الفاتحة، وبدأت جمعيات ومؤسسات إسلامية في الظهور، وربما كان ذلك بفعل الرخاء الاقتصادي في البلدان الإسلامية، وشكلت هذه الجمعيات اتحادا عرف باسم اتحاد الجمعيات الإسلامية في اليابان، وذلك في منتصف سنة ١٩٧٦م.

وكان الأمر الذي لفت أنظار اليابانيين وغيرهم هو تأسيس المعهد العربي

١- تذكر بعض المصادر أن ١٧٧٥ يابانيا اعتنقوا الإسلام في ستة أشهر.

٢- من هذه الدول العراق وإيران وليبيا ٢- الإسلام والأديان في اليابان: ص ٤٦٥ وما بعدها.

الإسلامي في طوكيو عام ١٩٨٢م، ثم افتتاح المبنى الجديد للمركز الإسلامي وبدء نشاطاته المتعددة، وكان من المؤسف أن تخبو أضواء بقية الشموع تدريجيا، وتظل بعض الجمعيات تعمل بمفردها مثل جمعية الجالية التركية والجمعية الإندونيسية، والجمعيات التي أسسها أبناء الجاليات الهندية والباكستانية والبنغالية. إلا أن أهم ما يميز هذه الفترة هو بدء تشكيل ما يمكن أن نطلق عليه التجمعات الإسلامية حول طوكيو، وظهور أعداد كبيرة من المطبوعات الإسلامية، وبروز بعض المجلات الإسلامية اليابانية الصادرة عن مؤسسات أو عن أفراد، وازدهار الدراسات العربية والإسلامية على يد اليابانيين المسلمين وغير المسلمين[١]، وزيادة تأثير مجموعة الدعاة المنتمين لجماعة التبليغ، وزيادة أنشطة جمعية الصداقة السعودية اليابانية وجمعية الصداقة الكويتية اليابانية، مقابل تراجع نشاط المؤتمر الإسلامي الياباني الذي كان يرأسه الدكتور شوكت فوتاكي[٢]، وكذلك المكاتب الثقافية العربية التي أغلقت أو توقف نشاطها تماما.

ومن ناحية أخرى كانت هناك أحداث ألمت بالعالم الإسلامي أثرت بشكل أو بآخر سلبا أو إيجابا على نظرة الشعب الياباني للإسلام والمسلمين، ومنها الحرب العراقية الإيرانية، التي أثارت الباحثين اليابانيين، فأصدروا عددا من البحوث، وكتبوا عددا من المقالات، محاولين تأصيل الصراع المذهبي بين الجارتين المسلمتين، بل وتجذير هذا الصراع، والنبيش في دروب التاريخ الإسلامي عن صراعات شبيهة.. ثم كان غزو صدام حسين لدولة الكويت، فأثيرت تساؤلات عديدة، بل ربط بعض أفراد الشعب الياباني بين صدام والإسلام.. ثم كانت أحداث الإرهاب التي طالت معظم الدول العربية والإسلامية، وكانت حادثة الأقصر عام ١٩٩٦م صدمة للشعب الياباني نظرا لأن بعض الضحايا كانوا من السياح اليابانيين.

١- المصدر السابق.

٢-المصدر السابق، ص ٤٧٦.

حاول الإعلام الياباني تقديم تفسيرات لبعض القضايا التي تثار في العالم الإسلامي، وتعد بالنسبة للقارئ أو المستمع أو المشاهد الياباني غير مفهومة؛ نظرا لندرة المصادر التي تتناول القضايا الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، وهكذا تناولت جريدة آساهاي شنبون واسعة الانتشار قضية نصر أبو زيد الأستاذ الجامعي المصري، وصدور حكم باعتباره مرتدا، ثم المطالبة بتطليق زوجته، ومن هنا شرحت الصحيفة على لسان بعض المتخصصين معنى كلمة مرتد مع التركيز على الأصوليين، وشرحت الصحيفة ما ورد في قانون الأحوال الشخصية، وارتباطه بأحكام القرآن وأهمية الأسرة في المجتمع. وفي أعقاب حادثة الأقصر بدأت بعض الصحف اليابانية تتكلم عن الإسلام كأنه دين إرهاب، ونشرت إحدى الصحف[١] حديث سفير اليابان في السودان آنذاك الذي قال: إن الإسلام دين يحث على قتل غير المسلم. لم يكن هذا الخطاب هو الخطاب الوحيد الذي يسمعه الشعب الياباني، فقد نشط بعض الباحثين في تفسير تلك الأحداث وربطها بالإرهاب العالمي، بل وبسياسات الدول العظمى التي تربي بعض قادة الإرهاب على أراضيها، بل نالوا أحيانا حمايتها.

وأهم من كل هذا زيارات كبار القادة وكبار المسئولين من بلدان العالم العربي والإسلامي لليابان، وهنا نشير إلى زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني آنذاك إلى اليابان، وحديثه الواضح للإعلام الياباني، ودعوته مسلمي اليابان أن يعملوا لخدمة وطنهم اليابان، وأن يمتثلوا لقوانين بلادهم وقيمها لأنها لا تختلف في شيء عن قيم الإسلام، وقد غطت الصحف اليابانية هذه الزيارة، وأشادت بالأفكار التي ذكرها ولي العهد آنذاك، صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز[٢].

١- صحيفة نيهون كئيزاي شينبون.

٢- انظر: الصحف الصادرة في أكتوبر ١٩٩٨م / رجب ١٤١٩ هجرية.

وعلى كل حال يمكن القول باختصار: إن الخطاب الإسلامي في اليابان بدأ يمضي على خط صحيح، رغم وجود من يحاول التشويش أو من يحاول الصراخ، فهو خطاب هادئ يصدر في معظمه عن عدد من الباحثين اليابانيين المسلمين ومن غير المسلمين أيضا ممن تعمقوا في دراسة الإسلام من مثل البروفسور هشام كرودا، والبروفسور يوسف إيموري، والبروفسور الدكتور حسن كو ناكاتا، وحبيبه كاؤري تناكا، والبروفسور يوسف كاشيورا، والبروفسور نور الدين موري، والسيدة فاطمة توكوماس وأمين توكوماسو ومختار الطيب موتو، ورمضان إيسوزاكي، وأشرف ياسوي، وعادل أوكي، والشيخ معمر شينوهي، وياسر كوسوجي وسليمان هاماناكا، وأحمد سوزوكي، وعبد الواسع كيمورا، وعبد الكريم تومئيوكا، وحنيفة تومئيوكا، وقد درس البعض في مصر والمملكة العربية السعودية وقطر وليبيا وباكستان وإندونيسيا أو في غيرها.. مثل: توشيهيكو إيزوتسو، وكوجيرو ناكامورا، وسوسومو فوجيتا، وميتسو أوجوتو، وشيجيرو كامادا، وشينيا ما كينو، وجوهي شيمادا، وتاكيشي يوكاول، وكاتوجي فوجيموتو، وكوسي موريموتو، وساتشيكو موراتا، وناري آكي هانادا، وغيرهم، واهتم هؤلاء بما يشبع حاجة الدارسين وحاجة الشعب الياباني للتعرف على الإسلام.

فبالإضافة إلى القرآن الكريم صدرت ترجمة لصحيح البخاري بقلم المستشرق الياباني شينيا ماكينو، وصدرت ترجمة لصحيح مسلم بقلم يوسف إيموري ورمضان أيسوزاي وآخرين، كما صدرت ترجمة مختصرة لسيرة ابن هشام بقلم المستشرق الياباني جوهيه شيمادا، وترجم حسن ناكاتا كتاب د. مصطفى السباعي «السيرة النبوية دروس وعبر»، كما ترجم المستشرق الياباني تاكيشي يوكاوا كتاب «الأحكام السلطانية» للماروردي، وترجم أيضا بالاشتراك مع حسن ناكاتا «السياسة الشرعية» لابن تيمية، كما ترجم كاتوجي فوجيموتو «المنقذ من الضلال» لأبي حامد الغزالي، وترجم كؤوسيه موريموتو «مقدمة ابن خلدون»، وترجم المستشرق الياباني ناري آكي

هنادا «التاريخ في أنساب الأشراف وأخبارهم» و«فتوح البلدان» للبلاذري، أما ياسر كوسوجي فترجم «الخلافة» لرشيد رضا، و«الإسلام ومنطق القوة» لمحمد حسين فضل الله، واهتم توشيهيكو إيزوتسو بالترجمة عن الفارسية، فنقل كتاب «فيه ما فيه» لجلال الدين الرومي، ونقل بعض مؤلفات صدر الدين الشيرازي، واهتم البعض بالفقه وأصوله فترجم كوجيرو ناكامورا «علم أصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف، بينما اهتم آخر بالاقتصاد فنقل هشام كورودا كتاب «اقتصادنا» لمحمد باقر الصدر، وترجم للصدر أيضا كتاب «فلسفاتنا».. وهناك من اهتم بالقضايا المعاصرة والشريعة فترجم يوشينوري سانارا «الشريعة الإسلامية والقضايا المعاصرة» للشيخ أحمد زكي يماني.

وقد صدرت في هذه الفترة دراسات كثيرة جدا عن القرآن الكريم وترجمة معانيه بقلم باحثين يابانيين مثل فوجيموتو كاتسومي الذي حرر ترجمة أكيدا أوسامو وبان كوسائي وفوجيموتو كاتسوجي لمعاني القرآن، وصدرت الترجمة عام ١٩٧٠ في ٥٦٦ صفحة، بالإضافة إلى أبيه هاريو (علي) الذي ترجم معاني القرآن الكريم نوفمبر ١٩٨٢م، ثم ترجمة معاني القرآن التي أشرفت على إعادة إصدارها جمعية مسلمي اليابان[١].

كما شارك المسلمون (من غير اليابانيين) المقيمون بأبحاث عن القرآن الكريم فكتب أفضل الرحمن مقالا بعنوان «ذكر الصناعات في القرآن الكريم»[٢]، وكتب الشيخ علي السامني «التعاليم الأخلاقية في القرآن الكريم»[٣]، وكتب أيضا «محاولة لفهم القرآن»، بينما كتب أسرار أحمد «بماذا يدين المسلمون للقرآن»، أو «فضل القرآن على المسلمين»[٤].

١- الإسلام والأديان في اليابان: الصفحات المتعلقة بترجمة معاني القرآني الكريم.

٢- مجلة السلام: ١٩٨١/٩/٢٥م.

٣- مجلة السلام: ١٩٨١/١٢/٢٥م.

٤- الإسلام والأديان في اليابان، ص ٤٦٧ وما بعدها.

وشارك الباحثون اليابانيون في الكتابة عن القرآن الكريم؛ فكتب البروفيسور إيموري كاسوكيه (يوسف) «القرآن وطريقة حياة المسلمين» أكتوبر ١٩٧٢م، وكتب توشيهيكو إيزوتسو عن تلاوة القرآن مقالين نشرا في إبريل ١٩٨٢م، ويونيو ١٩٨٣م، وكتبت الباحثة أودا يوشيكو سلسلة مقالات بعنوان: مفهوم الأمة في القرآن الكريم – أساس المجتمع المسلم في سنة ١٩٨٤م، ومفهوم التقوى في القرآن الكريم في مارس ١٩٨٥م، ونشرت بحثا بعنوان «الفكر القرآني» في ٩/٣٠/ ١٩٨٥م. وكتب خالد كتيبًا عن «القرآن مصدر التشريع الإسلامي» ١٩٨٩/١٢/٢٥م (مجلة السلام)، وعن تاريخ الأمم في القرآن (قوم عاد) ١٩٨٦/١/١٥م (السلام)، كما كتب تناكا شيرؤ «حكمة القرآن الكريم» ١٢/٢٠/ ١٩٧٢م، و«القرآن الكريم كتاب حي» ١٩٧٥/٤/١م، أما هوري أوتشي ماسارو فقد اهتم بالقراءات في القرآن فكتب عن «الوقف في القرآن الكريم ووظيفته في التلاوة» أغسطس ١٩٧٢م، وكتب عن البسملة وتلاوة القرآن الكريم مارس ١٩٧٧م (مجلة جمعية الصداقة)، وكتب عن مدارس القراءات نوفمبر ١٩٧٩م، كما كتب مايجيمي شنجي عن القرآن والحياة اليومية للناس نشرت في مارس ١٩٨٠م، وأعيد نشرها في سنة ١٩٧٨م.

وكتب باحثون يابانيون عن سيرة الرسول أبحاثا ومقالات، ومن هؤلاء ساداموتو إيزوساكي الذي كتب عن معراج الرسول محمد ﷺ إلى السماء يناير ١٩٧٧م، وكتب أيضا «محمد في الحديث الشريف» ٨/٢٠/ ١٩٨٠م (مجلة السلام)، وكتب جوتيه أكيرا سلسلة مقالات كان قد بدأها في فترة مبكرة، ومنها: من هو محمد؟ ١٩٧٨/٨/١م، و«محمد والعرب» ديسمبر ١٩٨٠م، و«المدينة المنورة وقت هجرة النبي إليها» فبراير ١٩٨٤م، وملاحظات على المصادر التاريخية للسيرة النبوية في ما بين ١٩٨٥ و ١٩٨٧م.

ولم يقتصر الأمر على موضوعات تتعلق بالقرآن والسيرة النبوية، بل اهتم الباحثون اليابانيون بالفكر السياسي والاقتصادي في الإسلام، فترجموا

بعض كتب ابن تيمية وكتبوا عن فكره، فقد ترجم حسن ناكاتا «السياسة الشرعية» لابن تيمية وكتب إيموري كاسوكيه (يوسف) بحثا بعنوان «ابن تيمية وعصره» إبريل ١٩٧٦م، وكتب إيموري نفسه عن مفهوم الأمة وتطوره مارس ١٩٨١م (السلام).

وفرضت هذه الفترة الاهتمام بموضوعات معينة مثل مفهوم السلام في الإسلام، وهو عنوان مقال للشيخ عبد الله عمر نصيف ترجمه كوميه تشئي ونشر بمجلة السلام في ٢٠ يناير ١٩٨٨م، كما نشر معهد كاجيما للسلام الدولي ترجمة ما كتبه عبد الرحمن عزام بعنوان «رسالة الخلود التي بعث بها محمد» (يناير ١٩٧٥م)، وصدرت مجموعة أبحاث مترجمة لسيد حسين نصر، ونصر الله وآخرين قام بترجمتها توشيهيكو إيزوتسو وآخر وصدرت عام ١٩٨٨م، كما كتب إيسوزاكي ساداموتو عن «الجهاد في الإسلام» مارس ١٩٧٣م، و«التسامح في الإسلام» مارس ١٩٧٩م، وكتب إيتاجاكي يوزو عن الإسلام والمجتمع (فبراير ١٩٨٠م) وعن مستقبل الإسلام في نوفمبر ١٩٨٣م، وكتب أوجاساورا يوشيهارو عن الإسلام دين السلام والتسامح مارس ١٩٨٠م.

وشهدت هذه الفترة عقد سلسلة من الندوات، منها: ندوة «المفهوم الديني للإسلام والأديان الأخرى في الشرق الأوسط»، وصدرت البحوث في ٣٢٥ صفحة في ديسمبر ١٩٨٤م، كما صدرت وقائع ندوة عن الحج في مجلدين المجلد الأول في ٣٣٣ صفحة في سبتمبر ١٩٨٦م والمجلد الثاني في ٢٩٥ صفحة في مارس ١٩٨٨م، كما عقد مؤتمر الدراسات الشرقية في طوكيو ونشرت بحوثه، وعقدت ندوة في مركز الثقافة الآسيوية التابع لجامعة آياصوفيا بطوكيو، وتناولت موضوعات تتعلق بالإسلام والسلام والمجتمع، وصدر سجل أعمال الندوة في مجلدين عام ١٩٨٨م. ولا يمكن حصر الندوات المتعلقة بالإسلام التي تعقد سنويا في اليابان، لكن نشير هنا إلى الندوة التي نظمتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في معهد طوكيو، وقدمت

فيها بحوث منها: دراسة الفقه في اليابان وترجمته للدكتور حسن كو ناكاتا، ومن قضايا المسلمين في اليابان للدكتور عبد الله اليحي، والإسلام وحكومة العولمة للبروفسر أكودا أتسوشي، وغيرها.

وعلى المستوى الرسمي، أدركت اليابان أن مجال دراسة الإسلام والحضارة الإسلامية ليس قاصرا على بلدان الشرق الأوسط فقط، بل يشمل أيضا بلدان آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا والبلقان وغرب إفريقيا، ومن هنا بدأ المشروع الذي أداره البروفسور ساتو تسوجيتاكا الأستاذ بجامعة طوكيو تحت إشراف وزارة التربية والتعليم، وأطلق عليه بالعربية دراسات الحضارة الإسلامية، وبالإنجليزية Islamic Area Studies، وبدأ العمل به سنة ١٩٩٧م واستمر لخمس سنوات، وكانت المحصلة صدور عدد من البحوث القيمة والكتب التي تناولت موضوعات الشريعة الإسلامية والمذاهب والفرق وإدارة الدولة وغيرها من أمور حضارية شاملة عن الإسلام وبلاد العالم الإسلامي، وهناك ملاحظات عامة لا مجال لذكرها هنا.

وهكذا نلاحظ أن الخطاب الديني في تلك الفترة كان يلبي حاجة المجتمع الياباني إلى التعرف إلى الإسلام والمسائل الحياتية التي كان يستعصي على اليابانيين فهمها، وقد اهتم بالأمر الباحثون اليابانيون المسلمون وغيرهم من بعض المقيمين أو الوافدين على اليابان، بينما كانت الندوات تعقد لدراسة موضوع معين تفرضه متطلبات الظروف، وعلى المستوى الرسمي بدأت اليابان تنظر إلى العالم الإسلامي نظرة شاملة، فلم يعد هو الشرق الأوسط مصدر البترول، بل بدأت تتذكر فكرة آسيا الكبرى بزعامة اليابان، ومن هنا كان التوجه لدراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين على خارطة العالم من خلال مشروع دراسة الحضارة الإسلامية الذي أشرنا إليه من قبل. ويبدو أن هذا التوجه استمر بل قوي في الفترة التالية؛ أي فترة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

٥- فترة ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

بدأ ما يسمى بعصر العولمة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وهي التسمية المزركشة لعصر هيمنة القطب الواحد، ولم يكد الباحثون ينشغلون بشرح مصطلح العولمة حتى فوجئ العالم بأحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م ليبدؤوا من جديد الانشغال بشرح أسباب الحدث ومسوغاته ونتائجه... إلخ.

ولما كانت الأحداث تتعلق بشكل أو بآخر بالإسلام، فقد كان من الضروري أن تؤثر تلك الأحداث على الخطاب الديني الإسلامي في اليابان، ولا شك أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تركت أثرا سلبيا على العمل الإسلامي الدعوي في اليابان على المستوى الرسمي، لكنها من ناحية أخرى أثارت تساؤلات كثيرة لدى أبناء الشعب الياباني، الذين لم يعرفوا شيئا من قبل عن الإسلام والعالم الإسلامي، وكان على رأس قائمة التساؤلات التي طرأت على أذهانهم:

- ما الدوافع التي أدت إلى هذه الأحداث؟

- من أولئك الناس الذين غامروا بأنفسهم أو ضحوا بأنفسهم، إن صح التعبير، للقيام بهذا العمل؟

- لماذا اختاروا أمريكا؟

- ما طبيعة العقيدة التي جعلتهم يتحولون –بالمفهوم الياباني– إلى عاصفة إلهية أو كامي كازيه Kami Kaze؟

- ما الذي وحد بين أولئك الأفراد الذين ينتمون إلى بلدان وأقطار مختلفة؟

وغيرها من تساؤلات احتلت مساحات واسعة على صفحات الصحف والمجلات المنتشرة في عموم اليابان.، وهكذا انشغل الباحثون والمفكرون بالكتابة عن الإسلام والمسلمين، وتحليل مفاهيم الجهاد الإسلامي، ومفهوم الشهادة في الإسلام، وأكثر من هذا وذاك الاهتمام بالقرآن الكريم الذي هو دستور الإسلام ومصدر الشريعة، والاهتمام بالسيرة النبوية وعصر انتشار الإسلام، وقد دخل الساحة مفكرون اهتموا بتحليل الفكر السياسي الإسلامي لدى كبار المفكرين المسلمين، وترجمت بعض الكتب عن العربية والإنجليزية وغيرها، وشكل بعض المتخصصين فريقا ليصدروا -في مجلد واحد- دائرة معارف العالم الإسلامي الحديث[1]، كما صدرت كتابات أخرى، ومنها على سبيل المثال، الكتاب الذي أصدره الياباني المسلم أحمد سوزكي في سبتمبر من عام ٢٠٠٢م وجعل عنوانه «معنى ما يريد المسلمون قوله»، وهذه هي الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب الذي تضمن فصولا عن الإسلام والسلام، والشهادة في الإسلام، والوضع في فلسطين وموقف الفدائيين، وسوء فهم الإسلام، والعبادات في الإسلام، والسيرة النبوية والقرآن الكريم وترجمة معانيه، والإسلام في الوقت الحاضر، والإسلام في اليابان، والمشاكل التي تواجه المسلمين اليابانيين، وغيرها من موضوعات تهم اليابانيين[2]؛ ذلك لأن الشعب الياباني كان يفتش في المكتبات عن كل ما يتعلق بالإسلام. واتجه المسلمون اليابانيون إلى ترجمة تفسير القرآن بعد

١-صدرت في ٣٥ مارس في مجلد ضخم يقع في ٥٠٠ صفحة، وقام بإعداده فريق يتكون من أربعة من المستعربين اليابانيين بإشراف الدكتورة موتوكوكاتاكورا الأستاذة بجامعة تشيو في طوكيو.

انظر: عرض وتحليل دائرة معارف العالم الإسلامي، سمير عبد الحميد ص٣٨ وما بعدها، أحوال المعرفة، مكتبة الملك عبد العزيز، ع٢٦ السنة السابعة، سبتمبر ٢٠٠٢م.

٢- أحمد سوزكي من الجيل الثاني لمسلمي اليابان، فقد ولد لأب مسلم، ويذكر أن أباه وعمه أديا فريضة الحج، أما هو فدرس في الأزهر وعمل بالسفارة اليابانية في السعودية، ثم في شركة سوميتومو التجارية قسم الشرق الأوسط، وعاش سنوات في السودان والأردن والبحرين واليمن، واستقال من عمله سنة ١٩٩٧ وانتقل للعمل مستشارا اقتصاديا في الفلبين، وفي سنة ٢٠٠١م صار مستشارا في المعهد العربي الإسلامي في طوكيو.

أن انتهوا من مرحلة ترجمة معاني القرآن الكريم وترجمة كتب الحديث[١]، فقاموا بترجمة تفسير الجلالين وصدر الجزء الأول منه بترجمة حبيبة كاأوري ناكاتا وبإشراف ومراجعة الدكتورحسن ناكاتا، وذلك في شهر أكتوبر سنة ٢٠٠٢م[٢].

وهناك من أدباء اليابان الذين برعوا في فن القصة من اهتم بالقرآن الكريم، وأعني الأديب الياباني أتودا تاكاشي[٣] الذي كتب سلسلة من المقالات في المجلة الشهرية شين تشؤو بعنوان: هل تعرف القرآن؟ استمرت لسنة تقريبا، ثم جمعها ونشرها في كتاب هذا العام ليكون الأول على أفضل ثلاثة كتب تباع طبقا لإحصائيات منافذ البيع الخاصة بدور النشر اليابانية، والكتاب مفيد لليابانيين من غير المسلمين المهتمين بالتعرف على الإسلام، إلا أن المسلمين اليابانيين قد يشعرون بأنه يكتب كتابة سطحية غير متعمقة، رغم أن الكتاب ككل يتضمن معلومات مفيدة وجذابة، وقد زار المؤلف المملكة العربية السعودية وتجول في معظم مناطقها، وبخاصة تلك التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، واستفاد من خبرته في كتابة مقالاته تلك[٤].

وكان من الطبيعي أن تدفع أحداث الحادي عشر من سبتمبر والظروف التي تلتها غير اليابانيين المقيمين في اليابان بعيدا عن الساحة، فقد كان من الصعب على غير الياباني الدخول في هذه الحلبة، نظرا للدعايات المكثفة من قِبَل أجهزة الإعلام الغربية التي تأخذ عنها أجهزة الإعلام اليابانية، فيما يتعلق بالإسلام، ومحاولة ربط الإسلام كدين بالإرهاب. لكن هذا

١- سبق أن صدرت ترجمة صحيح مسلم في ثلاثة مجلدات بالتعاون بين جمعية الصداقة اليابانية السعودية وجمعية مسلمي اليابان..

٢- يشتمل المجلد الأول على تفسير سورة الفاتحة حتى سورة الأعراف، واهتمت بنشره جمعية الصداقة اليابانية السعودية.

٣- نشرت له مجلة الفيصل قصة مترجمة بعنوان القميص المنحوس، كما نشرت له مجلة نوافذ نادي جدة الأدبي قصة بعنوان «إشارة الخطر».

٤- انظر: مسلم شينبون، العدد ١٣٦ الصادر في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٣م.

لا يعني أن صوت غير اليابانيين من المسلمين لم يكن مسموعا في الخطاب الديني، فهناك من المسلمين المقيمين من استوطنوا اليابان، وخاصة من الجاليات التركية وشبه القارة الهندية، وهم يتفهمون تماما طبيعة الشعب الياباني، ونوعية الخطاب المقبول بين أوساط هذا الشعب، ويعرفون أن الشعب الياباني لا بد أنه يسترجع التاريخ، والأحداث التي مرت بها اليابان، ويتذكر دفاع اليابانيين عن بلدهم، وتضحيتهم بأنفسهم، بعد أن يتحولوا إلى ما يسمى بالعاصفة الإلهية، ومن هنا اختلفت وجهات نظر معظم أفراد الشعب الياباني عن وجهة النظر الرسمية.

وقد سعت الجالية التركية إلى إقامة مدرسة يابانية يدخل ضمن مناهجها تدريس العلوم الإسلامية، وهي أمنية طالما كانت الجالية الإسلامية في اليابان تحلم بها، ولا يزال البعض يسعى إلى تأسيس مدارس على هذا النحو وقد نجح بعض أفراد جالية شبه القارة الهندية الباكستانية أيضا في تأسيس مدرسة، لكن على نظام المدارس الدولية، أما المدرسة التي أسستها الجالية التركية بالتعاون مع بعض المسلمين اليابانيين في يوكوهاما فقد اتبعت النظام الياباني، ونالت اعتراف وزارة التربية والتعليم اليابانية وبدأت في عام ٢٠٠٢م وتسمى: Horizon Yokohama International School ولها موقع على الإنترنت يمكن الرجوع إليه للمزيد من المعلومات[1].

وقد سعى أحد الباكستانيين المقيمين في طوكيو مؤخرا إلى تأسيس مدرسة عرفت باسم Sophia International School في منطقة إيكيبوكورو الشمالية في حي توشيما وقد بدأت المدرسة في سبتمبر ٢٠٠٣م[2].

واهتمت المنظمات الدينية الرسمية في اليابان بالتعرف على الإسلام، وإدارة حوار فعال مع المفكرين المسلمين، ومثال ذلك المؤتمر الذي عقد في أغسطس من عام ٢٠٠٢م في مدينة كيوتو ونظمته هيئة الأديان العالمية

١- موقع المدرسة: www.horizonyokohama.org

٢- موقع المدرسة على الإنترنت هو: www.sophia-school.com.

باليابان تحت عنوان «الحوار مع الإسلام من أجل السلام»، واختارت أن يكون المتحدث الرئيس في الندوة مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الدكتور محمد بن سعد السالم، وقد دهش الجميع لأنهم استمعوا إلى فكر إسلامي يختلف تماما عما أذاعته أجهزة الإعلام الغربية عن الإسلام والمسلمين؛ وهو ما دفع القائمين على الندوة إلى محاولة عقد صلات مستمرة مع الهيئات العلمية والجامعات في بلدان العالم الإسلامي للتعرف بشكل مباشر على كل ما يتعلق بالإسلام[1].

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة اليابانية سعت هي الأخرى للتعرف على تأثير الأحداث داخل اليابان وخارجها، وسعت إلى دعم علاقاتها بالعالم الإسلامي بدءا من دول الخليج وبلدان الشرق الأوسط، ومن هنا كانت الدعوة إلى عقد ندوات ومؤتمرات وجلسات للحوار بين اليابان وبلدان العالم الإسلامي وبخاصة دول الخليج والشرق الأوسط، فكان تنظيم ندوة الحوار الإسلامي الياباني التي عقدت في البحرين ثم في طوكيو، وندوة الحوار السعودي الياباني التي عقدت في الرياض في مقر مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية ونظمتها سفارة اليابان في الرياض بالتعاون مع المركز أواخر عام ٢٠٠٤م، وتبعتها ندوات أخرى كل عام تقريبا.

وكانت دعوة وزير الخارجية السابق السيد كونو إلى دعم الحوار مع دول العالم الإسلامي واضحة وصريحة، وكأن اليابان تريد أن تأخذ زمام المبادرة لقيادة آسيا من جديد، والاطلاع بدور مهم في المنطقة، وهذا يذكرنا بما كانت تقوم به في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية.

١- والتدريس فيها باللغتين الإنجليزية واليابانية، وتقبل التلاميذ من جميع الجنسيات دون تفرقة أو تمييز وهي تدرس لغة ثالثة يمكن أن تكون الهندية أو الأردية أو البنغالية أو الصينية أو الكورية أو العربية أو الإندونيسية أو الماليزية أو التجالوج أو الروسية أو الأسبانية أو الفرنسية وغيرها، كما يوجد ترتيب لتدريس القرآن الكريم مع اللغات المذكورة ويتولى نظارة المدرسة محمد كامران شوكت علي من باكستان، نشرة المدرسة باللغة الانجليزية

واهتمت وسائل الإعلام المرئية في اليابان الرسمية وغير الرسمية بالإسلام، وبدأ التلفاز الياباني الرسمي «إن أتش كيه» يذيع برامج لتعليم اللغة العربية في موسم الصيف، ويبث برامج أخرى تتعلق بثقافة وحضارة العالم الإسلامي، وسعت الجامعات اليابانية لعقد ندوات علمية تتناول الإسلام وتاريخ الإسلام والفكر الإسلامي مع التركيز على سماع الصوت الإسلامي عن طريق دعوة متخصصين من البلدان الإسلامية، كما عقدت ندوات في المعهد العربي الإسلامي تدور حول الحوار الإسلامي الياباني مع التركيز على العلاقات اليابانية السعودية[١].

ومن ناحية أخرى ظهر اهتمام الجامعات اليابانية بدراسة الإسلام، وحث الطلاب على دراسته، وهكذا أنشأت جامعة تاكشوك اليابانية في طوكيو مركز دراسة الشريعة الإسلامية في عام ٢٠٠٢م، ويديره البروفيسور نور الدين موري الذي تخرج في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ويعمل فيه أساتذة وباحثون يابانيون مسلمون تخرج معظمهم في جامعات عربية وإسلامية، كما تشكلت أيضا لجنة شرعية يرأسها طيب المختار موتو..

أما جامعة دوشيشا في كيوتو، فقد أنشأت مؤخرا في كلية الإلهيات قسما للدراسات الإسلامية والعربية. وجامعة دوشيشا تأسست قبل أكثر من مائة سنة بهدف دعم النشاط التنصيري في اليابان[٢]، وقد بدأ العمل بهذا القسم الذي يهتم بتدريس الفكر الإسلامي وتفسير القرآن الكريم ودراسة السنة والسيرة النبوية واللغة العربية واللغة الفارسية والفقه وأصول الفقه

١- انظر محمد الربيع: جهود المملكة العربية السعودية في دعم الدراسات العربية والإسلامية في اليابان، ورقة عمل مقدمة لندوة العلاقات السعودية اليابانية مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ٢٣-٢٤ رجب ١٤٢٤ هجرية، ص ٢٠.

٢- من المواد التي تدرس في المرحلة الجامعية دراسات في السيرة والسنة، مدخل إلى الفقه الإسلامي، وتفسير آيات الأحكام المتعلقة بالنساء، والبيوع والنظام الاقتصادي في الإسلام، وعلوم القرآن والحديث، مدخل إلى فهم الإسلام، علم أصول الدين، فقه العبادات، تاريخ الفكر الإسلامي مع قراءة نصوص من التراث الإسلام، مع دراسة قواعد اللغة العربية والمحادثة. انظر موقعها على الإنترنت للتعرف على تاريخها وكلياتها ومناهجها.

في المرحلة الجامعية وفي الدراسات العليا أيضا، ويرأسه حاليا البروفسور الدكتور حسن ناكاتا، ويعاونه الشيخ معمر جونيا سينوهي ويعمل به مسلمون يابانيون وأساتذة زائرون، منهم كاتب هذه السطور، من بلدان العالمين العربي والإسلامي.

أما المعهد العربي الإسلامي فيلقى هذه الأيام ترحيبا من اليابانيين على جميع المستويات، كما أن نشاطه المتزايد يلقى الترحيب أيضا على المستوى الرسمي من الخارج والداخل، وهو يجمع كثيرا بين المفكرين في العالم الإسلامي والمملكة العربية السعودية والمفكرين اليابانيين.

كما كان لاستخدام الإنترنت أو ما يطلق عليه الشبكة العنكبوتية أعظم الأثر في التعريف بالإسلام بين اليابانيين، وهناك موقع «مسلم نت» وهو موقع حصري، يقتصر الدخول فيه على المسلمين اليابانيين فقط، يناقشون فيه أمورًا تتعلق بالإسلام وقضايا العالم الإسلامي، ويتبادلون فيه المعلومات والآراء، ويشرف عليه الدكتور حسن ناكاتا وزوجته السيدة حبيبة ناكاتا، ويتصف الموقع بالحيادية المطلقة، وحرية الرأي والنقاش، ويستخدم اللغة اليابانية فقط؛ لأنه مقصور على المسلمين اليابانيين كما ذكرنا. وهناك مواقع أخرى شخصية لعدد كبير من المسلمين اليابانيين والمسلمات اليابانيات، تهدف إلى التعريف بالثقافة والحضارة الإسلامية، والكتابة عن التجارب الشخصية أو إثارة تساؤلات عامة.

كما أن موقع المركز الإسلامي على الإنترنت، وموقع مسجد طوكيو الجامعة، وموقع المعهد العربي الإسلامي، وموقع جمعية مسلمي اليابان، ومواقع المساجد التي أسست حديثا مواقع مفيدة أيضا، مع أنها تركز على التعريف بنشاطاتها، ولهذا فهي تختلف عن نوعية موقع مسلم نت الذي يتبادل فيه اليابانيون المسلمون آراءهم ومعلوماتهم ويعلنون عن نشاطاتهم أو نشاطات غيرهم.

وقد فرض الوضع في اليابان على جمعية مسلمي اليابان أن تنشط وتعمل رغما عنها، فالمؤسسات الحكومية وغير الحكومية والمنظمات المختلفة داخل اليابان عادة ما تلجأ إليها للرد على التساؤلات والاستفسارات التي تظهر فيما يتعلق ببعض قضايا ذات صلة بالإسلام أو العالم الإسلامي، وقد أقبل كثير من اليابانيين على الإسلام، ويذكر أمين توكوماس أنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فإن ما يقرب من ٣٠٠ ياباني يدخلون الإسلام كل سنة.

كما تجدر الإشارة إلى أن الجمعية تتعاون مع جميع الجهات الرسمية وغير الرسمية في دعم الخطاب الإسلامي الصحيح في اليابان؛ فهي تتعاون مع الجامعات اليابانية والخارجية اليابانية والمعهد العربي الإسلامي وجمعيات الصداقة اليابانية العربية والإسلامية والمدارس المؤسسة حديثا وغيرها؛ لأن أعضاءها يعملون هنا وهناك، وينشطون من خلال المؤسسات الحكومية وغيرها.

أما الصحافة الإسلامية فقد نشطت صحيفة «مسلم شينبون» التي تصدر باليابانية كل شهر وتوزع على المسلمين اليابانيين داخل اليابان وخارجها، وهي تشبه إلى حد كبير موقع مسلم نت؛ فصفحاتها مفتوحة لجميع القراء للتعبير بحرية عن آرائهم.

ومن الجدير بالذكر أن الجالية التركية في طوكيو بدأت في إصدار مجلة شهرية بعنوان «يا سو را جي» وتعني الاستراحة، والمجلة تخاطب القارئ بشكل مختلف تماما عن أسلوب مسلم شينبون سابقة الذكر؛ فالمجلة تتضمن شعرا ومقالات مترجمة ووصفات لأطباق شهية فضلا عن ترجمات مأخوذة من كتب تتعلق بالتاريخ الإسلامي أو الإعجاز العلمي في القرآن، ويمكن تصفحها في موقعها على الإنترنت[1].

١-انظر الموقع على الإنترنت: http://isuramu.netfirms.com/m__yasuragi.htm،
ويمكن الاتصال بالمجلة على العنوان التالي:yasuragi__nihon@hotmai

وهناك مجلات أخرى كانت تصدر من قبل، وما تزال مستمرة، مثل مجلة جمعية الصداقة اليابانية السعودية التي أصبحت تسمى صداقة، أما مجلة جمعية الصداقة اليابانية الكويتية فأصبحت تسمى «الدانة»، وهي تقدم بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية فضلا عن تغطية النشاطات التي تتعلق بالعلاقة بين اليابان والبلدان المعنية، كما توجد مجلة «الإسلام» لسان حال جمعية مسلمي اليابان، ومجلة «السلام» لسان حال المركز الإسلامي، وقد قدمت خدمات عظيمة لنشر الثقافة العربية الإسلامية في اليابان عن طريق ترجمة المقالات والبحوث العربية وعرض بعض الكتب، واستكتاب بعض اليابانيين في موضوعات تتعلق بالإسلام في اليابان أو تتعلق بالقرآن الكريم والسيرة النبوية أو الفقه الإسلامي وغيرها، وقد ورد ذكر بعضها في الصفحات السابقة وفي الحواشي والتعليقات، والأمل معقود على أن يصدر المعهد العربي الإسلامي – فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مجلة باليابانية تهتم بنشر موضوعات عن الثقافة العربية الإسلامية وتجذب الباحثين والكتاب اليابانيين.

خاتمة:

إن الخطاب الإسلامي، رغم الهجمة الشرسة على الإسلام، بدا قويا ومسموعا لدى الشعب الياباني الذي يتوق إلى التعرف على هذا الدين وحضارته، وإذا كان أحد المفكرين اليابانيين قد ذكر بأن الشنتو ديانة لم تبلغ لليابانيين لكنهم تصيدوها بأنفسهم، فإنه يمكن القول إن اليابانيين هذه الأيام يتصيدون الإسلام، وما علينا إلا أن نوفر لهم السبل ونساعدهم على اصطياد كل ما يتعلق بالإسلام من حضارة وثقافة وعقيدة..

وعلينا أن نطمئن المسئولين اليابانيين الذين يرسلون بين الحين والحين بعض الدارسين إلى البلدان الإسلامية، كقرون استشعار للتعرف على مجريات الأحداث، واستقراء ما يمكنهم من خلال المشاهدة، ومن خلال اللقاءات.

وقد بدأ الباحثون اليابانيون المكلفون من قبل المسئولين الرسميين في إجراء دراسات عن وضع المسلمين المقيمين في اليابان، وكانت النتيجة في مجملها أن اليابانيين المسلمين يتفهمون تماما الوضع في بلادهم، ويتفهمون ضرورة الانسجام والتناغم مع المجتمع ككل، وكذلك الجالية التركية التي قَدِمت إلى اليابان منذ أكثر من قرن وربع، فهي تفهم طبيعة المجتمع وحدوده وتقاليده، وقد عاشت في هدوء، تمارس عقيدتها الإسلامية وتختلط بالشعب، وتعيش في وئام تام، أما المقيمون من دول عربية مثلا، فلا حرج، فهم يقضون بضع سنوات ويعودون، وكذا من جاءوا من إيران، فهم لا يهتمون بشيء، ويلاحظ أنهم يندمجون في الحياة مدة إقامتهم ثم يعودون أدراجهم، لكن المسألة التي تهم المسئولين تتركز على جالية أبناء شبه القارة الهندية من هنود وباكستانيين وبنغاليين، فهؤلاء قدموا ليستقروا، فالتحقوا بالأعمال الصعبة، وتزوجوا من أهل البلاد وأنجبوا، وكونوا تجمعات في طوكيو وما حولها، وتمكنوا بجهودهم الشخصية من بناء مساجد ومصليات صغيرة، اقتطعوا

ثمنها من رواتبهم القليلة، وأثاروا إعجاب من حولهم من اليابانيين، وجذبوا إليهم جيرانهم، الذين شعروا بالراحة في جوارهم بعد أن تمكن هؤلاء من شراء دور القمار أو المراقص التي تثير الضجيج طوال الليل، وحولوها إلى مصليات يسودها الهدوء، وتعمها السكينة، وينظر الناس بإعجاب إلى هؤلاء الناس الذين يداومون على الصلاة ويتصفون بالخلق الحسن، ويتساءل المسؤولون الرسميون: ماذا لو ظهرت مشكلة لهؤلاء الناس شبيهة بمشكلة المسلمين في أوربا الآن، الذين يطالبون بحقوقهم، ويثيرون قلق دول أوربا مثل فرنسا وغيرها؟ ويظل السؤال معلقا ليجيب عليه الباحثون اليابانيون الذين يرصدون نوعية الخطاب الإسلامي في اليابان..



المبحث الرابع:
البوشيدو.. روح اليابان
وقيم الحضارة العربية الإسلامية

مدخل:

إذا كانت اليابان تعد من الجماعات الوثنية، وينظر إليها على أنها دولة متأخرة من ناحية السمو الديني، نظرا لعدم وجود كتاب يدون معتقداتها، ويضبط شرائعها الدينية، كما هو الحال لدى أصحاب الديانات السماوية إلا أن العلماء اليابانيين لم يغفلوا هذا الأمر، فأوضحوا في مؤلفات عديدة عادات بلدهم، ومذاهب أمتهم في التفكير، وتفسير الأحداث الاجتماعية والكونية[١]، وهكذا شرح الفيلسوف الياباني الدكتور إينازو نيتوبيه[٢] هذه القضية مفسرًا لمفهوم «البوشيدو» الذي يعد –بحق – روح اليابان ودستورها الأخلاقي حين كتب ما يلي: «... ورد في القرآن الكريم ما معناه أن اللّه تعالى أرسل لكل أمة نبيا ينطق بلغتها[٣]، لكننا لو اتجهنا إلى جميع الأنحاء نبحث عن مصدر نستوحي منه النور والهداية والنشاط والقوة فلن نرى –في اليابان– مصدرا خليقا بأن يحتل مكانة البوشيدو»[٤].

ومن هنا تتضح أهمية هذا الموضوع «البوشيدو روح اليابان وقيم الحضارة العربية الإسلامية» حتى يمكن تفسير معنى البوشيدو، وإلقاء الضوء على مبادئها ومقارنة هذه المبادئ والقيم بالمبادئ والقيم العربية الإسلامية، فما حققته اليابان من نهضة جذبت إليها الأنظار، لم تكن وليدة الاندماج

١- انظر سمير عبد الحميد إبراهيم، الإسلام والأديان في اليابان، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، الصفحات الأولى.

٢-ولد الفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه سنة ١٨٦٢م ومات سنة ١٩٣٣م، والتحق بالكلية الإمبراطورية بعد تخرجه في كلية الزراعة، وتخصص في الأدب الإنجليزي؛ لأنه أراد أن يكون همزة الوصل في التقاء الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية. وقد تقلد مناصب عدة، منها مناصب دبلوماسية سمحت له بعرض أفكاره على الغرب، ومن ثم تأليف كتابه البوشيدو روح اليابان بالإنجليزية حتى يشرح للغرب قيم الحضارة اليابانية الشرقية، وكان الدكتور غينازو نيتوبيه عضوا بالمجلس العلمي الإمبراطوري في اليابان، وأحد أساتذة الجامعة الإمبراطورية في طوكيو.

٣- يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ (إبراهيم: ٤)، انظر: البوشيدو للدكتور إينازو نيتوبيه، ترجمة مختار كنعان، سنة ١٩٣٨م، ص٢٥٨.

٤- انظر مقدمة الترجمة العربية للبوشيدو، مختار كنعاني، ص ١٩.

الأهوج مع تقاليد الغرب وعاداته، وإنما كانت نتيجة حرص اليابان الشديد على روحانيتها وأخلاقها القومية التي يمكن الوقوف عليها من خلال تعاليم البوشيدو التي تمثل بالنسبة لليابانيين «روح اليابان» ومجموعة القيم التي يؤمنون بها ويتمسكون بها، فالبوشيدو هي المثل الأعلى للأمة اليابانية، وقيم البوشيدو هذه تشبه إلى حد كبير قيم الفتوة والفروسية العربية الإسلامية التي تعتمد في أسلوبها على القيم السامية للحضارة العربية الإسلامية، وتعاليم الإسلام الجليلة، وإذا كانت البوشيدو قد استمدت تعاليمها من الكونفوشية والشنتوية أساسا، فإن الفتوة أو الفروسية قد استمدت قيمها ومثلها من تراث الحضارة العربية، ومن مبادئ الإسلام ونهجه القويم.

البوشيدو روح اليابان:

ما تزال الدراسات والبحوث تناقش حتى يومنا هذا العوامل التي حفظت للأمة اليابانية تماسكها وتجانسها، وتتلمس السبيل الذي مضت عليه هذه الأمة، فحفظ لها وحدتها القومية وروحها السامية التي يطلق عليها الفيلسوف الياباني «إينازو نيتوبيه» (البوشيدو) فهو يصف البوشيدو بأنها «روح اليابان».

وتجدر الإشارة إلى أن لليابان –على عكس ما يرى البعض– ثقافتها الدينية وحضارتها الدينية، فلدى اليابانيين تهافت غريب على اتخاذ المثل الأعلى والسمو الخلقي أساسا لتنظيم حياة الفرد والجماعة، واليابان ليست، كما يصورها البعض وبخاصة في الغرب، أمة مال لا همّ لها إلا الربح، ضاربة في سبيل ذلك كل حاجز واعتبار معنوي حتى وصفت بأنها «حيوان اقتصادي»، وإنما هي وليدة بطولة عريقة، أصابت كاسب جليلة من خلال الزهد في الحياة، والصد عن توافه المادة والتبذل المفروض و الارتقاء على أسباب الربح ومطالب الاتجار[١].

١– المصدر السابق: ص ٢٠.

وسيتضح هذا الأمر من خلال هذه الدراسة؛ إذ يلاحظ وجود تقارب غريب بين مبادئ البوشيدو وقيمها، وبين قيم الحضارة العربية الإسلامية بل -وكما ذكر مختار كنعان في تقديمه لترجمة البوشيدو- «هناك شبه جلي جدا بين مبادئ البداوة والعروبة الصادقة الخالصة، وبين خلق الياباني وإغراقه في الإباء والبطولة، والفرق هو أن العربي أغفل بطولته بين حين وآخر، بينما الياباني حرص عليها كل الحرص فنسج من البطولة والخصائص القومية شباك مدنيته، ومظاهر تطوره ورقيه الحالي»[١].

أصل البوشيدو ومفهومها:

تتكون كلمة البوشيدو من ثلاثة مقاطع: بو(bu) بمعنى فارس، وشي (shi) بمعنى سيد، ودو (do) بمعنى طريق، وهي بهذا تعني حرفيا «طريق السيد الفارس». ولكن مفهومها الاصطلاحي باللغة اليابانية هو: «المنهج الأخلاقي الذي ينبغي على الفارس أن يتخذه أسلوبا في حياته العملية». وبعبارة أخرى: ما السلوك الواجب على الفارس وهو يمارس مهنته، إن صح القول بأنها مهنة؟!.

١- مع القرن الثاني عشر الميلادي ضعفت سلطة الحكومة المركزية في اليابان، وفقدت قوتها فاتحدت المجموعات المختلفة من زعماء الأقاليم المحليين، وأقاموا علاقات ترابط فيما بينهم لتوفير الحماية المتبادلة، وكانت تلك المجموعات تضم في البداية الأقارب والجيران الذين التفوا حول شخصية زعامية توحي لهم بالولاء، ونظم أعضاء هذه الجماعات أنفسهم، وكانوا في حقيقتهم فرقا من الفرسان ما لبثوا أن شكلوا أرستقراطية محلية، وشاركوا بعد ذلك في شؤون الحكم. وفي القرن السادس عشر الميلادي تعرض النمط الإقطاعي «الزراعي» في اليابان لتطورات من خلال إدماج الإقطاعيات الصغيرة الأقل كفاءة في الإقطاعيات الناجحة ذات التنظيم الإداري المحكم، واستمر هذا النظام قائما حتى استعادت اليابان وحدتها السياسية بعد وصول الأوربيين إليها، ونتيجة لجهود القادة العسكريين اليابانيين مثل أودا تويوناجا وهايديوشي، وأخيرا توكوجاوا إياسو الذي تلقب بالشوجن، وقسم أراضي اليابان كلها إلى قسمين قسم خاص به وقسم خاص لأبنائه. لمزيد من التفاصيل انظر: أدوين رايشاور اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم ١٣٦ إبريل ١٩٨٩م، ص ٩٦ وما بعدها. وانظر أيضا: الثورة الإصلاحية في اليابان، إعداد ناجي متشيو، وترجمة عادل عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني، رقم ١٠٨ ١٩٩٢م، ص ٥٧ وما بعدها، وص ٢٢٣ وما بعدها.

ومع هذا، فالبوشيدو تاريخيا تعني مناهج خاصة في التفكير والتأمل، كما أنها تعني التعبير عن شخصية مستقلة بارزة لطائفة من الجماعات البشرية.

ولما كان من الصعب على الباحث أن يحدد تاريخ نشأة المبادئ الأخلاقية، فهكذا يصعب تحديد بداية البوشيدو، لكن إذا افترضنا الحديث عن تطورها بالمعنى التاريخي، فمن المرجح أنها بدأت في العهد الإقطاعي[١] الذي لم يحصل هو نفسه كنظام فجأة[٢].. ففي بداية العصور الوسطى، ولنقل قبل القرن الثاني عشر الميلادي، أطلق على جنود قصر الميكادو (أي الإمبراطور) لقب «سامورائي» بمعنى جنود الحراسة[٣]، لكن حين بدأ نظام الإقطاع، وذلك منذ استيلاء «ميناموتو يوريتومو» على مقدرات البلاد ظهرت عبارة «بوكي أو بوشي» وتعني فارس بطّاش، وتشير إلى فئة اجتماعية كان دأبها القتال والتنازع، ولهذا كانت تتألف من أشد الأفراد رجولة، وأكثرهم إقداما ومغامرة[٤]، وهكذا كانت نشأة السامورائي وتكوينه الاجتماعي، واتخذت كلمة السامورائي في ظل النظام الإقطاعي لتعني طبقة المحاربين كلها أي طبقة العسكريين، وهي شبيهة بطبقة المماليك في مصر، مع الفارق، وقد ترجمها المتخصصون في الغرب بكلمة gentry الإنجليزية أو military class أو warriors؛ ذلك لأن الكلمة تحمل عبق التاريخ الياباني وتعني أن جميع السادة gentlemen المحترمين يجب أن يكونوا جميعا جنودا في خدمة الوطن، وجميع الجنود يجب أن يكونوا سادة مهذبين gentlemen [٥]، وقد حددت هذه الطائفة لنفسها مناهج عامة، ونظما مشتركة لتحديد طرائق عيشها ومنهج حياتها، وتوحيد شكلها العملي.

١- البوشيدو، الترجمة العربية لمختار كنعان، ص ٣٠. والفصل المتعلق بالإقطاع في كتاب رايشاور اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي.

2- Basil Hall Chamberlain، Japanese Things Tokyo،1985 P.415

٣-البوشيدو: الترجمة العربية، ص ٣١.

4- Japanese Things p. 415.

٥- البوشيدو: ص ٣٤.

ويرى البعض -ولا يوافقهم الباحث في رأيهم- أن الأفكار النصرانية أثرت على نظام القيم الصارم المعروف باسم «البوشيدو»، والمتمثل اختصارا في الحكمة واليقظة والشجاعة، وهي الركائز الثلاث لنظام القيم الذي يعتمده الفارس الياباني[١].

وقد تغيرت كلمة الساموارئي إلى «شيزوكو Shizoku» سنة ١٨٧٨م، والكلمة مصطلح صيني يحمل تقريبا مفهوم الساموارئي نفسه، وتحت هذا المصطلح استمر وجود الساموارئي كطبقة ضمن الطبقات التي تشكل المجتمع الياباني[٢].. إلا أن طبقة الساموارئي ظلت تحتفظ بمكانتها داخل المجتمع، فقد كانت تملك قدرا مهما من الثقافة العصرية، فشارك قسم كبير من هذه الطبقة بنشاط في تعليم اليابانيين إلى جانب المعابد البوذية[٣]، وكان التعليم داخل طبقة الساموارئي يشمل الذكور والإناث، ويتم داخل المنزل العائلي حتى الخامسة عشرة، ثم ينقل الطالب أو الطالبة إلى مدرسة المقاطعة[٤]، وظل هذا حكرا على أبناء الساموارئي حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ثم تغير الوضع سريعا، وفتحت المدارس الثانوية أمام جميع طبقات الشعب[٥].

ويهمنا هنا أن نشير إلى أنه نظرا لاهتمام الساموارئي التاريخي بتعليم أبنائهم وانفتاحهم على العلوم العصرية، كان أبناء الساموارئي أكثر المؤهلين لرفد الجهاز الإداري في اليابان بأفضل الكوادر المدربة، وذوي الخبرة في إدارة شئون المقاطعات، وأفسحت إدارة الشوغن (الحاكم العسكري) المجال واسعا أمام أبناء الساموارئي، فانخرط هؤلاء في العمل المنتج، وخاصة

1- Japanese Things p. 416.

٢- كان يطلق على مدارس هذه المعابد «تيراكويا Terakoya».

٣- كانت تعرف باسم «هانكو Hanko».

٤- مسعود ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية: ص ١٥٢.

٥- المصدر السابق، ص ١٥٨. وعن الإمبراطور ميجي انظر: رايشاور، اليابانيون. وانظر أيضا: الثورة الإصلاحية (ميجي إيشن)، لناجي متشيو وآخرون، ترجمة عادل عوض.

في المدن، وأطلق عليهم اسم شونين أي أبناء المدينة. ولما كانت الشرائح المنتجة من الساموارئي تشكل الغالبية الساحقة من أبناء هذه الطبقة، فإن إصلاحات الإمبراطور «ميجي» في هذا المجال بدت سهلة التنفيذ حين دعا الساموارئي إلى التخلي عن الأمور الشكلية التقليدية (طريقة تصفيف الشعر وحمل السيفين... إلخ[١]. إلا أن قيم البوشيدو الأخلاقية الرفيعة ظلت كما هي لم تتغير؛ لأنها راسخة في أعماق الفرسان اليابانيين، فضلا عن أن الديانة البوذية تدعو إلى طاعة ولي الأمر والنظام، والتمسك بنظام القيم السائدة، والتضحية في سبيل الوطن والجماعة[٢]، ويلاحظ أن مؤسسي العائلات المالية والتجارية مثل سوميتومو Sumitomo وكونويكيه Konike وميتسوي Mitsui يعودون بجذورهم إلى عائلات الساموارئي العريقة المتمسكة بقيم البوشيدو، وقد شملت نشاطاتهم جميع مدن اليابان الكبرى.

البوشيدو والحفاظ على التراث في عملية التواصل بين الحضارات:

إن تطور اليابان وتحديث المجتمع الياباني وتغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية معا، واجه، بلا شك، مصاعب، تمثلت في الصراع بين الحديث والقديم، وبين الأنماط التقليدية السائدة والأنماط الجديدة، وبين الثقافات والقيم المحلية وبين الثقافات ذات النزعة الكونية !! لكن اليابان اتخذت من ثقافتها التراثية، الأصيلة ركيزة لنجاح عملية التطوير والتحديث، فما تزال الثقافة التراثية هي التي تحدد ملامح الشخصية القومية لليابان حتى يومنا هذا، فقد اهتم المصلحون اليابانيون بتحديث المجتمع الياباني انطلاقا من تراثه الأصيل عبر تطوير الجوانب الإيجابية فيه، وأولوا مسألة الحفاظ على الثقافة التراثية، إبان عملية التحديث، الأهمية القصوى في

١- نفسه: ص ١٤٤.

٢- نفسه: ص ٣٧ –٤٧.

برامجهم الإصلاحية[١].

وقد أوضح العالم الياباني ناجيما نوبيتشيرو أن القيم في اليابان والشرق بعامة تتميز بالاستجابة للثقافات الأخرى، وفصّل الحديث عن استجابة الثقافة اليابانية للحضارات الأخرى في مناطق متفرقة من العالم[٢] موضحا أنه كان بإمكان اليابان بناء مجتمع قومي حديث مع الاحتفاظ بقيمها التقليدية المستمدة من الكونفوشية أو البوذية أو معارفها القومية، ولم يتعارض هذا مع اهتمام اليابان بالثقافة الغربية من خلال الترجمة، وإرسال البعثات، وما إلى ذلك[٣].

ولا شك أن صراعا ظهر ما بين التحول للطابع الغربي، والتحول للطابع الياباني، وشغل هذا الأمر الأوساط التعليمية والدراسية منذ عهد ميجي حتى يومنا هذا، ومال المفكرون اليابانيون –لأسباب يطول شرحها– إلى الطابع القومي أي إلى الطابع الياباني، وكانت ميزة التحول إلى الطابع الياباني هي أن الثقافة المحلية ستعمل على ارتقاء المجتمع رغم وجود صعوبة التواصل بين اليابان وشعوب العالم الأخرى[٤].

وهنا نشير إلى أن طبقة الساموارئي (الفرسان) التي حملت بين جنباتها قيم البوشيدو ومبادئها هي التي تولت مسئولية النهوض بتلك الدراسات الغربية في أثناء حكم الإمبراطور (كوكا) ١٨٤٨م، والإمبراطور كياي (١٨٥٤م) فانتشرت المعارف الغربية بسرعة في مجال علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، واعترف اليابانيون بسيادة قيم البوشيدو وتعاليمها في عالم الروح، وسيادة العلوم الغربية في مجال التقنية، لذلك اعتمدوا على العلوم الغربية لتحقيق شعار «الأخلاقيات شرقية أما التقنيات فغربية» أو «الروح

١– ناجي متشيو وآخرون، الثورة الإصلاحية في اليابان (ميجي إيشن)، ترجمة عادل عوض، ص ١٦٠ .

٢– المصدر السابق: ص ١٧٤ .

٣– نفسه: ١٧٦.

٤– الثورة الإصلاحية: ص ١٣٨ .

اليابانية والمعرفة الغربية».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كبار قادة الساموروائي من العسكريين الذين فرضوا الوحدة اليابانية بالقوة المسلحة، نبهوا إلى مخاطر حركة تغريب مبكرة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، وحتى الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وما يقال عن تحول اليابان إلى الثقافة الغربية أو إلى مظاهر الحضارة الغربية عار عن الصحة، فعَالِم اليابانيات الأمريكي أدوين رايشاور يشير بوضوح -وهو الذي ولد وعاش في اليابان وعمل سفيرا لبلاده بها- إلى أن اليابان استطاعت أن تحافظ على حس واضح لشخصيتها الذاتية (ذكر عدة أسباب) رغم أن اليابانيين رحبوا بالثقافة الوافدة عليهم من الصين، ومزجوها بثقافتهم الخاصة (ق ١٩)، فأنتجوا توليفة ثقافية جديدة تماما[١].

وعلى كل حال فقد اهتم الفرسان (الساموروائي) كثيرا بالتركيز على الفضائل (العسكرية) مثل: الشجاعة، والشرف، وضبط النفس، وتقبل الموت والتضحية بالنفس بصبر وجلد، كما كانت فضيلة الولاء الشخصي في النظام الأخلاقي الذي نقله اليابانيون عن الصين يركز على المبادئ الأخلاقية أكثر من تركيزه على القانون، بل إن القانون نفسه كان خاضعا لتقويم الحاكم الأخلاقي الذي يصدر أحكامه من الناحية النظرية على أساس ما يتمتع به من حكم ومبادئ أخلاقية سامية.

وبالنسبة لمفهوم الولاء في اليابان فإن الولاء للحاكم، أي لولي الأمر، هو الأساس الذي يقوم عليه النظام كله، رغم أهمية الولاء للأسرة الذي يأتي متأخرا عن الولاء للحاكم، وهكذا عرفت اليابان منذ القديم المجموعة الأسرية، أو النظام الذي يشبه نظام القبيلة، الذي يعلو أي مستوى آخر كأساس يفوق في الأهمية الأسرة نفسها، وقد سهل هذا -في العصر

١- المصدر السابق: ص ٨٤ .

الحديث– عملية انتقال الولاء إلى الأمة وإلى الجماعات التي لا تربطها علاقات قرابة أو نسب[١]، واستمرت سمات وملامح النظام الياباني السياسي والاجتماعي في العصور الوسطى باقية، وانتقلت إلى المجتمع الياباني المعاصر، ونجح اليابانيون –كما يقول رايشاور– في الاحتفاظ بكثير من السمات التي شملها التطور في تلك العصور، لذا كان من السهل على الجيش الياباني الحديث إحياء روح الفروسية وقيمها، والحفاظ على روح الولاء والواجب، وضبط النفس وإنكار الذات[٢]، وهو ما يمثل أساسيات تعاليم وقيم البوشيدو، ومن هنا نلاحظ أنه إذا كان المجتمع الياباني يتغير تغيرا سريعا لكي يتلاءم مع أي نموذج متناسق ومنضبط، فهو يتخذ من ثقافته التراثية أساسا لهذه العملية. ويقتضي هذا من الباحث أن يناقش مصادر البوشيدو التي تمثل الثقافة التراثية للشعب الياباني.

مصادر البوشيدو وتأثيرها على القيم الحضارية اليابانية:

مع ظهور حركات مذهبية جديدة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين مثل بوذا أميدا، ولوتس سوترا، وجماعة نيتشرين، نجد الساموارئي يفضلون من بين مذاهب البوذية مذهبا عرف باسم الزن ZEN نقل من الصين في عهد كاماكورا[٣]، وهو يركز على فلسفة التأمل، والبساطة، والالتصاق بالطبيعة، ونادى هذا المذهب البوذي أيضا بتقشف الفرسان، والانضباط الصارم للنفس من أجل ممارسة فلسفة الزن zen في التأمل كوسيلة لتنمية إرادة التحكم في النفس، والوصول إلى الشخصية الحازمة، وهو الهدف من الحياة[٤].

١– نفسه: ص ٨٥ .

٢– انظر: سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان، ص ١٢٨ وما بعدها. البوذية في عصر كاماكورا، وعن عقيدة الزن انظر ص ١٣٤ وما بعدها.

٣– اليابانيون: ص ٨٨.

٤– البوشيدو: الترجمة العربية، ص ٣٧ .

ولم يكن النظام الإقطاعي في اليابان إلا سلسلة تطورات لارتقاء نظام الفروسية «السامورائي» (القائم على تعاليم البوشيدو) وارتقاء الفتيان في تفكيرهم وشعورهم نحو السمو والنبل الأخلاقي، إلا أن تعاليم بوذا كان لها أثرها في دفع نفسية الياباني إلى الإيمان بالقدر، وأوحت له استسلاما هادئا للأمر الواقع، وتفاؤلا غريبا عند المصائب والمخاطر، كما أخذت اليابان من البوذية الزهدَ في الحياة، واستقبالَ الموت في غبطة وانشراح.

والفتى (الفارس) حين يصل إلى أرقى الدرجات يتجه إلى التدريب طبقا لجماعة الزن zen؛ أي التغلغل في أعماق الفكرة البشرية بطريقة التأمل والشعور، وليس بوسائل التعبير والاصطلاحات اللفظية، فالزن معناها التأمل والإيمان بأن وحدة نظامية تسود الحادثات الكونية، والإيمان بوجود حقيقة مطلقة مع العمل على الاندماج مع روح هذه الحقيقة[١]. وماتستطيع البوذية تقديمه للبوشيدو قدمته الشنتوية، والمقصود هنا واجب الإخلاص للحاكم الأعلى: الإمبراطور أو الملك، والشعور العميق الصادق باحترام ذكرى السلف، والطاعة البنوية، فالشنتوية تؤمن بذلك[٢].

والشنتو تنكر قضية الخطيئة الغريزية، وهي ترى نقيض ذلك، وتعتقد بطهر الروح الإنسانية أي نقاء الفطرة، فكل إنسان يولد على الفطرة، وهي تلمس بها مصدرا يردد صدى صوت الإله في صدق وأمانة، لهذا لا يوجد في مزارات الشنتو أي زخرفة أو رموز دينية، ويُكتفى بمرآة تعبر عن قلب الإنسان الصافي الطاهر النقي، وهكذا أوجدت الشنتو في أعماق اليابانيين حبًّا غريبا لطبيعة البلاد، وحرمة قوية لأراضيها المقدسة، بالإضافة إلى عبادة السلف؛ وهو ما جعل العائلة المالكة هي مصدر القومية المشتركة لأبناء الوطن على السواء، فالوطن ليس أرضًا وتربة بل هو مرقد الآلهة

١- نفسه: ص ٣٨ .

٢- انظر: تاكيشي سوزوكي، ياباني في مكة، ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. انظر: ص١١٣ وما بعدها، وص ١١٨ وما بعدها.

المقدسة، يطوي في بطنه روح السلف الخالد.

وقد أدى هذه الشعور ذاته بالمسلم الياباني إلى الإحساس القوي بحرمة الأراضي المقدسة هنا في الجزيرة العربية، فهو يرى منطقة الحرم هذه حرمًا للمسلمين دون غيرهم ويشعر بهذا المعنى العميق، خاصة بعد أن يقف عند البوابة التي تقوده إلى مكة المكرمة في طريقه إلى الكعبة[١].

والإمبراطور في الشنتوية هو ممثل السماء على الأرض، أو بتعبير آخر خليفة الله على الأرض مع الفارق في التعبير، مثلما المسلم يدرك أن الإنسان الكامل هو خليفة في الأرض، وهكذا غرست الشنتوية في البوشيدو فضيلة الإخلاص للملك الحاكم، وأخصّتها أصدق العواطف حبًّا له، وتعلقا غريبا بربوع الوطن[٢].

وفيما يتعلق بالنظريات والتعاليم الأخلاقية المحضة، تعد مبادئ الكونفوشية بمثابة أخصب المصادر وأغزرها مادة، استوحت منها البوشيدو فضائلها واعتمدتها في تكوينها الخلقي، فإقرارها للعلاقات الأخلاقية الخمس:

* ما بين السيد والمسود، *وبين الحاكم والمحكوم، * وبين الأب والابن، * وبين الزوجين، * وبين الأخوين والأصدقاء...،

هو تأييد لما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية قبل تسرب تعاليم كونفوشيوس إلى اليابان قادمة من الصين[٣]، وقد لقيت تعاليم كونفوشيوس[٤] قبولا في قلوب السامورائي، ولا تعلق البوشيدو كثيرا من

١- البوشيدو: ص ٤٢ .

٢- نفسه.

٣- انظر سمير عبد الحميد، الإسلام والأديان في اليابان، الفصل الخاص بالكونفوشية، ص ١٩١ وما بعدها.

٤- البوشيدو: ص ٤٦ .

الاهتمام على المعرفة المجردة، ولا تقول بالسعي إليها كغاية مستقلة، وإنما ترى فيها وسيلة لإدراك الحكمة، وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه قائلا: «إن من يجد معارفه على أساس العلم كغاية مستقلة هو شبيه بآلة ميكانيكية تنسج شعرًا وتحيك أقوالا»[١].

فالمعرفة بالمبادئ تكون باتخاذها أساسا وبرنامجا تطبيقيا في الحياة العملية، وهذا يعني ضرورة أن يقترن العلم بالعمل أو بعبارة أوضح أن يقترن القول بالعمل، فهما كلٌّ لا يتجزأ.

ويرى الفيلسوف الياباني أن تعاليم البوشيدو مثل تعاليم الديانات السماوية، ونقل عن أحد تلامذة «وان يانغ مينغ»[٢] اليابانيين قوله: «لما كان رب السماء والأرض، وجميع الكائنات الحية تسكن قلب الإنسان، يصبح إذن روحه وفكره، فالروح الإنسانية في هذا المعنى هي شيء حي باق، وضياء أزلي خالد.

إن ضياء الروح الإنسانية أمر طاهر نقي، وهي تجعلنا نميز بين الخير والشر لذلك تصقل الضمير والوجدان، وتكون في هذه الحالة أشعة تشرق علينا من نور السماء[٣].

إن تعاليم البوشيدو التي تعد بمثابة الروح بالنسبة لليابان –ولا يبالغ الباحث إن قال إنها بالنسبة للياباني مثل تعاليم الابن بالنسبة إلى غيره–

١- انظر ما ورد ذكره عن وانغ يانغ مينغ في كتاب جوزيف مندهام (موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين)، ترجمة محمد غريب جودة، سلسلة الألف كتاب الثاني، العدد ١٩٤، القاهرة ١٩٩٥م.

٢- البوشيدو: ص ٤٨.

٣- فقد ذكر قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ (الآية ٤٥)، كما أورد أيضا قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (إبراهيم: آية ٤). ونقل عن حديث رسول الله قوله: «جعلت الجنة تحت ظلال السيوف» الفقرة الأولى من الفصل الثالث عشر من البوشيدو، ونصها: «جعلت البوشيدو السيف رمزا لقوتها وشعارا لشجاعتها وبأسها. وحين قال محمد صلى الله عليه وسلم: « جعلت الجنة تحت ظلال السيوف » فكأنه كان يردد صدى عاطفة يابانية».

ما تزال حية باقية، تحكم سلوكيات المجتمع الياباني، ولم تتعارض مع تعاليم الحداثة التي جمعت عليه الخارج، فالبوشيدو حجر الزاوية في الثقافة اليابانية، والبوشيدو الدرع الثقافي في مواجهة الثقافات الغربية إبان سنوات الانفتاح على الغرب، بعد العزلة الطوعية التي استمرت قرنين، إذ ليس في تعاليم البوشيدو ما يتناقض مع ما بسطته الحداثة الوافدة، وهكذا احتوت مناهج التدريس في المدارس اليابانية قيم البوشيدو وتعاليمها الأخلاقية حتى تتم المحافظة على الروح اليابانية، من خلال ما تضمنته هذه المناهج الدراسية من حكايات وقصص أدبية وأشعار وحكم، بل وأساطير، تشكل لدى الدارسين دستورا أخلاقيا يشبه إلى حد كبير ما تتضمنه الكتب العربية الموجهة لتربية الشبيبة في بلادنا العربية على قيم الحضارة العربية والأخلاق الإسلامية الجليلة[1].

ولهذا ذكر الفيلسوف الياباني أن البوشيدو هي دستور اليابانيين الديني، وهي مثل القرآن عند المسلمين، ولمعرفته بمكانة القرآن في قلوب المسلمين، استشهد بآيات القرآن الكريم في أكثر من موضع، ولعل ما دفعه إلى تنظير قيم البوشيدو في كتابه (البوشيدو روح اليابان) هو شعوره بواجبه تجاه إحياء تعاليمها وقيمها الأخلاقية، وشعوره بضرورة أن يشرح للغرب ما لم يستطع مفكروه فهمه من أخلاقيات الشعب الياباني، وأن يثبت أن ما لدى الشعب الياباني من مبادئ وأخلاقيات ومعتقدات شبيه بما لدى أصحاب الديانات الأخرى في العالم.

١- أوضح الدكتور حسين مؤنس في معرض حديثه عن الثقافة والحضارة أن الثقافة ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك. الحضارة، ط ٢، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٣٧، سبتمبر ١٩٩٨م، ص ٣٧٠.

البوشيدو والتربية وأساليب التقويم:

للتربية والتعليم مكانة رفيعة لدى الياباني، فهما بمثابة أب لليتيم ومرشد لمن كتبت عليه الضلالة، والحكمة اليابانية ترى أن الأبوين هما بمثابة الأرض والسماء، والعلم بمثابة الشمس والقمر، والبوشيدو ترفض التوزيع المالي الذي اتخذه الجيل الحاضر أسلوبا يقابل به الخدمات والجهود الصادقة. فالمعلم والأستاذ ترى في جهودهم خدمات لا يمكن لأي قيمة نقدية مالية أن تعادل أو تقابل نتائجهما وثمارهما الطيبة. وهنا نلمس ابتعاد البوشيدو عن المبادئ المالية والاقتصادية وقصر احترامها وتقديرها للقيم ذات الكنه والجوهر المعنوي والأخلاقي[١].

ومما يتصل بالتربية حرص البوشيدو على تربية الروح وتعويدها على الانتظام مع تقاليد المجتمع، ولا بد أن يحتفظ الإنسان بما يكنه من مشاعر، فالكاشف عن مشاعره مناقض لرجولته، وادعاء باطل بالحزم والقوة، لذلك يقال في اليابان إن إخفاء السرور والغيظ هما من ميزات الرجولة الصادقة[٢].

وهكذا صارت الطبيعة اليابانية تمج التحدث والتقول بما يتصل بالشعور والعاطفة التي تعتقد بأنها أصابت من القداسة والإجلال درجة، بحيث لا يجوز التعبير عنها بالألفاظ المتداولة، ولا أثقل على أذن الياباني من التشدق بمشاعر القلب، وجعل الحياة الخاصة موضوعا للسلوى، وإشغال الفارغ من الوقت[٣].

ومن أهم ما يجب ذكره هنا أن البوشيدو تربي الفرد على الاستقامة التي

١- نفسه: ص ١٥٥.

٢- نفسه: ص ١٥٨ .

٣- البوشيدو النص الإنجليزي ص ٢٥ Inazo Nitobe، Bushido The Soul of Japan Tokyo، 1983 .

تعتبر أكثر الفضائل احتراما وإجلالا في الدستور الأخلاقي عند الياباني، وهي، كما وصفها مشاهير السامورائي، قوة الإنسان على اتخاذ رأي منطقي بحزم ودون تردد، مثل اختيار الموت إذا قضى الواجب بذلك، والتمسك بالحياة إذا كان يفرضها المنطق المشروع والعقل القويم، ويرى آخر أن الاستقامة هي العضو الذي يستمد منه الحزم، فالرأس دون الأعضاء لا يعقل أن يبقى في أعلى الجسد، والفضيلة مع الاستقامة اكتمل تكوينهما في أواخر العهد الإقطاعي، وذلك نتيجة مراحل طويلة من الهدوء الذي صرف جماعة الفروسية عن النزاع والصراع إلى السكينة والهدوء والإبداع الفني؛ وهو ما جعل الجماعات والأفراد يتفننون في تناول الفضيلة، وابتداع الأساليب لإدراكها.

والفضيلة التي تشعبت عن الاستقامة يطلق عليها الياباني كلمة Gishi وتعني المنطق القويم، لكنها أخذت تعني بشكل ما واجب عقدي أو الشعور بالواجب الذي يتحتم على الجميع أداؤه[١]، والتعبير الياباني Gi-Ri يعني الواجب بصورة مطلقة، وهو يعني الواجب تجاه الوالدين، وتجاه الرؤساء، وتجاه الجماعة، وباختصار تجاه المجتمع ككل[٢].

وإذا كان هذا البحث يتناول البوشيدو وقيم الحضارة العربية، فإن هذا لا يعني أن الباحث يعقد مقارنة بين القيم اليابانية وقيم الحضارة العربية الإسلامية، لكنه يكتفي بالإشارة إلى ما يستحق المقارنة؛ لأن للأمة الإسلامية منهجا إسلاميا مغايرا أو متميزا عن مناهج أمم الحضارات الأخرى، ومنهج الأمة الإسلامي وإن كان رباني المصدر إلا أنه إنساني الموضوع، وهو منهج متميز جعل الإنسان المسلم مميزا عن غيره في الوحدة

١- النص الإنجليزي: ص ٢٥.

٢- قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ آية ٦٧، وقوله في سورة الإسراء: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (آية ٢٦).

والشريعة، وفيما أثمرت ومن حضارة متميزة هي الحضارة الإسلامية.

فالمجتمع الاسلامي يتصف بالوسطية، ويدعوا إلى الفضيلة، وللأمة في الإسلام مقام فريد.[1]

والإسلام لا ينكر على المسلم ولاءه لوالديه، ولا ينكر على المسلم حبه لوطنه بالمعنى الإقليمي، وهذا لا يتناقض مع حقيقة أن الولاء الأول والانتماء الأعلى للإنسان المسلم هو الجامعة الإسلامية، فجامعة الإسلام تحتضن كل دوائر ورموز الولاء والانتماء، وقد علمنا الرسول ﷺ أن نميز بين حب الوطن وبين تحول هذا الحب إلى النقيض المعوق للانتماء الأعظم لرسالة الإسلام.

وهنا يكمن الفرق بين ما تراه البوشيدو من الولاء الكلي للإمبراطور وللوطن بالمفهوم الضيق، وبين ولاء المسلم حتى لو كان يابانيا للجامعة الإسلامية، وهي لا تنكر عليه حبه لوطنه، لكنها تنكر هذا الحب إذا كان سيعوق انتماءه وولاءه الأعظم لرسالة الإسلام.

وتربي البوشيدو الفرد على الإحسان النابع من المحبة، والأمة اليابانية تصف المحبة ومشتقاتها بفضائل الأمراء، لأن الإحسان والرأفة ميزات للفضيلة النبيلة، وتلك الخصال ضرورة لازمة لكل أمير، ولكل من يطمع في قيادة الجماعات والأمم فالإحسان يأتي في طليعة فضائل الأمراء، والرأفة في مقدمة واجباتهم[2]، وهذا الجانب التربوي مأخوذ من قول كونفوشيوس: «إذا الأمير غرس الفضيلة، لا شك أن الأمة تنحدر إليه، ويلتف الشعب من حوله، وعندما تحب الأمة أميرها تأمن له الثروة، ويمسي الغنى حليفه، لذلك تكون الفضيلة بمثابة بذار، وتكون الثروة ثمارا لها».

وليس أدل على هذه الحقيقة من النظر إلى النظام الإقطاعي الياباني

١- د. محمد عمارة: «معالم المنهج الاسلامي» دار الشروق، ط: ١٩٩٨. ص ٧٩ وما بعدها.

٢- نفسه: ص ٧١ .

الذي كان يُحتمل أن يتحول إلى استبداد عسكري لولا الرأفة التي اتصف بها قادته، فاليابانيون – كما يذكر نيتوبيه – ما يزالون مدينين بحرياتهم واجتناب مآسي العبودية ومظالم الاستبداد إلى الرأفة والإحسان اللذين يتصف بهما رجال العهد الإقطاعي[١].

لقد دعت البوشيدو إلى تشكيل حكومة أبوية تستمد نفوذها من العطف والمحبة، وليس كما تعود الناس أن يروا الحكومات التي تقيم نفوذها على القوة والإرهاب، وتبني سلطتها على حماية المصالح المؤقتة، فالفرق بين الحكومات المستبدة والحكومات الأبوية نلتمسه –كما يقول الفيلسوف الياباني سابق الذكر– في تأملنا النواحي الآتية: أن الأمة في ظلم الأولى إنما تطيع مكرهة مرغمة، بينما في رعاية الثانية نراها تستلذ الاستسلام وتغتبط بالطاعة[٢].

إن ممارسة الحكم المطلق في اليابان لا يؤدي إلى الشعور بعبئه الثقيل الذي تبدو آثاره على عاتق رعايا بعض الحكومات، إنما نلاحظ بصورة عامة أن هذا النظام تتلطف خشونته نظرا لما تظهره الحكومة في اليابان من العطف الأبوي نحو رعاياها[٣].

وتحذر البوشيدو مما قد يؤدي إليه كل إفراط وإسراف في نزعة من هذه النزعات، إن الإفراط بالحزم يستحيل إلى خشونة، كما أن التطرف بالشفقة والرأفة ينقلب إلى ضعف، وهذا هو مفهوم المنهج الوسط أو ما يطلق عليه الوسطية.

والبوشيدو تفرض ميزة الشفقة كقوة تعمل إما تأييدا لمصلحة من المصالح، وإما لاستنكارها[٤]، ومثل هذا الأمر جعل الفارس في معظم

١– نفسه: ص ٧٣.

٢– نفسه: ص ٧٥.

٣– نفسه: ص ٧٧، ٧٨.

٤– نفسه: ص ٨٤.

الأحيان، وبعد نهاية الحرب، يميل إلى العزلة ويلقي سلاحه، ويلتف بثوب الرهبنة والزهد وينصرف عن الحياة إلى حب الله، فيبحث عن الجنة التي تمنحه السلام[١] مثله مثل معظم جماعة الفتوة في التاريخ الإسلامي التي مالت إلى حياة التصوف في النهاية نتيجة ظروف معينة شملت العالم الإسلامي.

ومن الجوانب التربوية التي تحرص عليها البوشيدو معرفة الإنسان لواجباته في الحياة الاجتماعية، مثل المجاملة وحسن المعاملة، وهما من المزايا التي استأثرت بها الأمة اليابانية. ويؤكد الفيلسوف نيتوبيه أن الأمة اليابانية استأثرت بهما دون سواهما في معاملتها للأغراب والأجانب[٢]، ويصل الفرد إلى هذه الأمر عن طريق رياضة النفس والتأدب، اللذين يفرضان احترام التقاليد العرفية، والمراكز الاجتماعية القائمة على أساس الجدارة، والاستعداد الشخصي، وليس على فوارق الطبقات.

واحترام التقاليد والأعراف يرتبط أيضا بالمحافظة على أناقة المظاهر الخارجية التي اتفق المجتمع على اتخاذها أسلوبا حسنا، وطرازا ملائما لحسن المعاشرة، وطيب المعاملة في الحياة الاجتماعية، وهذا أمر مهم لتقويم الشبيبة، وتسييرها في سبيل تتناسب مع أحكام الحياة والاحتكاك الاجتماعي، لذلك نرى الآباء يعلمون الأبناء كيفية الجلوس في المجالس العامة وأساليب التعارف والمعاشرة.

ومن العجيب أن الياباني يرى الغرفة العادية المجردة من كل زخرف أمرا طيبا وهو في هذا يخالف الأوربي الذي اعتاد نظره على الزخارف والبدع الملونة[٣]، وهكذا عبر الياباني المسلم سوزوكي تاكيشي عن ارتياحه حين زار مكة المكرمة لأداء فريضة الحج فشاهد الغرف وبساطتها وخلوها من

١- نفسه: ص ٨٧.

٢- نفسه: ص ٩٠ .

٣- نفسه: ص ٩٤.

الزخرفة[1].

ومن الجوانب التربوية أيضا الصدق أو الصراحة والإخلاص، فالساموراي يرى أن التأدب الذي يفتقد إلى الصراحة إنما هو وهم وحقيقة مشبوهة، وهكذا لا يميل الساموراي إلى الإكثار من الأيمان والتغليظ بها، فهذا يدل على استخفاف بالشرف وهزء بقيمة الرجولة ووزن الكلام. ولسنا بحاجة إلى التذكير هنا بأن روح الحضارة العربية قائمة أساسا على الصراحة والوضوح، وإذا كانت مظاهر صدق النفس كثيرة، وصورها شتى فإن أولاها بالعناية وأحقها بالتأمل ما يتصل منها بالاعتراف بالخطأ، والرجوع إلى الصواب والإنصاف في الحكم، ولو كان مما يجر إلى الانتقاص من النفس، وهو ما يطلق عليه الآن الموضوعية ونقد الذات.

ورغم أن كلمة «أوسو» المجردة تترجم في اللغات الأخرى بمعنى الكذب، ومع الصدق والصراحة يجب تنمية الشعور بالخجل في تربية الأبناء، وقد قال بعض الحكماء: إن حاسة الحياء هي التربة التي تنبت فيها جميع الفضائل الإنسانية. وفي الإسلام الحياء شعبة من شعب الإيمان.

ومن الجوانب التربوية أيضا الأمانة، ومفهوم الأمانة هنا يختلف عن المفهوم الضيق للأمانة في العربية، فاليابان تتخذ من الأمانة والإخلاص شعارا للواجب البشري، بينما في الصين يرون أن طاعة الوالدين تأتي في مقدمة الواجبات الإنسانية، والبوشيدو تؤثر الواجب والأمانة على العاطفة والشفقة.

والأمانة التي كانت الأمهات يحملنها هي إشراب أطفالهن حب الإمبراطور والإخلاص والتفاني في سبيله، وقد شملت هذه الفكرة جميع الطبقات، وهكذا ذكر كبار علماء الاجتماع بأن الحكومة من الفرد هي بمثابة أب أكبر، وليس الفرد إلا جزءا صغيرا منها، لذلك أصبح في مقدمات واجباته أن

١- انظر: ياباني في مكة، الترجمة العربية، ص ١٦٢ وما بعدها.

يحيا من أجلها، ويستميت دفاعا عن كيانها وأوامرها[١].

البوشيدو ومسألة القصاص:

يرى الفيلسوف الياباني أن «الفارس (الساموارئي) جُبل نتيجة تربيته على حب العدل، والعدل يقتضي القصاص، مثلما ورد في القرآن الكريم (ما معناه): العين بالعين والأذن بالأذن والجروح قصاص[٢]، فعاطفة الثأر من الدقة لحدّ تشبه فيه الحرص والتدقيق في الأصول الرياضية، فطالما لم نتوصل لإيجاد مساواة بين المعادلات الجبرية لا نزال بعيدين عن إدراك التوازن المطلوب في القواعد الرياضية، والأخذ بالثأر يقاس على هذا المثل»[٣].

والبوشيدو تختلف مع التعاليم التي ترى أن الثأر أو القصاص ينبغي أن يترك أمره لقوة غير القوة البشرية، بل ترى بأن القصاص من الواجبات الأولية التي يرتبط بها الفرد في مسؤولياته وحياته الاجتماعية لاسيما وأن البوشيدو لا تعتقد بأن نظم الطبيعة وقوانينها العادية يسعها الاقتصاص والثأر ممن أساء لإخوانه في المجتمع[٤]. إن صوت كونفوشيوس ينادي بأن العدل يفرض القصاص، وينبغي أن يقوم على أساس مشروع، ومبدأ عادل، بينما الانتقام واستباحة الدم لشتيمة أصابت أزواجنا وأولادنا كانت من الأمور المكروهة في تعاليم البوشيدو[٥].

ويتضح من استشهاد الفيلسوف الياباني بآيات القرآن الكريم أنه يتفق تماما والآيات القرآنية، وقد صدق الله العظيم خالق الخلق حين قال: ولكم

١- البوشيدو: ص ١٣٢ - ١٤٦.

٢- أورد معنى الآية الكريمة: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ ﴾ (المائدة: آية ٤٥).

٣- البوشيدو: ص ١٨٠ وما بعدها.

٤- نفسه: ص ١٨٢ .

٥- نفسه : ص ١٨٣.

في القصاص حياة يا أولي الألباب، ويصعب حصر الكتابات التي صدرت في موضوع القصاص في الإسلام، ويمكن لمن شاء أن يرجع إلى الكتب والأبحاث الخاصة بهذا الموضوع.

البوشيدو وتربية المرأة:

إن البوشيدو تُكبر تلك المرأة التي تتحرر من خنوع جنسها، وتتقرب من بطولة الرجل، وهي تقصد تعويد المرأة على الوسائل الدفاعية لغرض فردي وغاية تعود لمصلحة التربية المنزلية، فالمرأة قد يتفق أن تكون دون زوج، يصون عرضها، ويدافع عن كرامتها، فتصبح والحالة هذه مرغمة على الدفاع عن نفسها، وتعليم الفتاة الرماية واستعمال السلاح، إنما وراءه مقصد أخلاقي وأهداف معنوية[١].

ومع هذا فمفروض في المرأة اليابانية العذوبة والرقة، وكل ما يتصل بدلال الأنوثة من ملاحة وظرف، فالآداب الجميلة، والفنون الجميلة ضرورة اجتماعية، وواجب أعلى في المرأة، والأدب الياباني يسجل في أبرز صفحاته أثر المرأة في النهضة الفنية[٢] إلا أن قيمة الفنون تقاس بنسبة اتصالها بالفضائل الأخلاقية ومدى تأثيرها على التربية المعنوية والتكوين الروحي، وهذا على العكس من الفنون التي تؤدي إلى الخلاعة والمجون[٣]، وهذه النظرة تتفق ونظرة علماء الإسلام إلى جميع أنواع الفنون.

وتربي البوشيدو المرأة كابنة تضحي كل ما بوسعها في سبيل أبيها، وكزوجة في سبيل بعلها، وكأم إرضاء لمطالب أبنائها، وهي لا تعرف الاستقلال الفردي، وتظل في خضوع دائم للواجب العائلي[٤]، ولا تقل التضحية التي

١- البوشيدو: ص ١٩٩.

٢- نفسه: ص ٢٠١ .

٣- عمارة: ص ٢٤٠ .

٤- ترجمة نصر أبو زيد للبوشيدو: ط أولى، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م، ص ١٨٩ .

تقدم عليها المرأة بطيب خاطر وصدر رحب نحو بيتها وعائلتها، لا تقل في مصدرها إصلاحا وشرفا عن الاستبسال والتفاني الذي يقوم به الرجل في سبيل الدفاع عن وطنه، والتعبير عن إخلاصه لسيده ومليكه.

قضية المساواة بين الرجل والمرأة:

ترى البوشيدو المرأة نظيرة للرجل في جميع حالاته وأطواره، ومن التجاهل الأعمى والحمق الساذج الغريب أن نفترض وجود عدم التساوي بين الرجل والمرأة بالمعنى الذي تدل عليه هذه اللفظة، ويذكر الفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه بأن قليلا من التأمل يجعلنا ندرك أن المساواة بين الرجل والرجل ليست متحققة من كل جانب... لذلك يبدو أمرا غريبا ذلك الانشغال المرهق بمناقشة قضية المساواة بين الجنسين، إن إعلان الاستقلال الأمريكي حين ذهب إلى أن كل البشر خلقوا متساوين، فإنه لم يكن يعني المساواة في السمات والمزايا العقلية أو الجسدية.. كان المقصود بالمساواة التساوي في الحقوق القانونية، ولو كان معيار الحقوق القانونية هو الميزان الوحيد الذي به توزن مكانة المرأة في مجتمع ما، لكان الأمر في سهولة أن نحدد وزنها بالأرطال والأوقيات[1].

وإذا كان القانون استقل بهذه الميزة وأصبح المقياس الوحيد لتقدير ظروف المرأة وعرض أحوالها في المجتمع، فالأجدر بنا أن نحاول معرفة وزنها بالذهب، وأن نبحث عن مقياس يليق بمقامها، ويكون كفيلا لإعطائنا وزنا صحيحا عن قيمتها، ويسعنا أن نتساءل عن وجود ميزان صحيح، نتوصل عن طريقه للمقارنة بين قيمتي النوعين الاجتماعية؛ أي الرجل والمرأة[2].

ويتساءل الفيلسوف الياباني: هل يصح إقامة مقايسة بين الرجل والمرأة باعتبار مركزهما الاجتماعي كما يجوز ذلك على الذهب والفضة، وأن نتبين

١- البوشيدو: ص ٢١٢ .

٢- نفسه: ص ٢١٣ .

من هذا الأمر العلاقات والروابط الرقمية بينهما ؟! إن اعتماد تلك القاعدة يجرد النوعين (الرجل والمرأة) عن جوهرهما ومادتهما الإنسانية، ونكون بذلك فقدنا القيمة الكبرى المتوخاة من هذه التجربة، نظرا للقيم المعقدة التي يتمتع بها النوعان، ونسبة لخطورة كل منهما في الحياة الاجتماعية[1].

فالمقياس الصالح لتحديد مكانتهما وعلاقتهما النسبية ينبغي أن يكون على شيء من العمق، وإذا جاز لنا هنا استعمال الاصطلاحات الاقتصادية نقول فيه أن يكون مقياسا مضاعفا ومركبا، فالبوشيدو لها مقياسها الخالص الذي تزن به قيمة المرأة وأثرها النسبي في ساحات القتال وحياة المنزل.. ففي الحالة الأولى المرأة خفيفة الوزن وضعيفة الأثر، بينما هي في الثانية القوة الكاملة والكل المنتج، وهكذا ينظر إليها في اليابان، فهي المحترمة الجليلة كربة بيت وأم عائلة، وإنما ككائن سياسي واجتماعي لم تخص بنفس القيمة وذات الوزن[2].

إن مذهب البوشيدو فيما يتعلق بالقضية الزوجية يختلف ويتباين في بعض الوجوه مع الدين المسيحي[3]؛ فالبوشيدو تذهب إلى أن الزوج والزوجة هما وحدة جديدة، ووحدة معنوية، وهذا يختلف عن النظرية القائلة بأن الزوج والزوجة شخصان مستقلان، لكل منهما مصالح ومنافع يستقل بعضهما عن بعض، فالبوشيدو تبحث عن مقياس للأخلاق الزوجية في مناخ يختلف عن أساليب الغرب شكلا وموضوعا، فالمقياس الوحيد للأخلاق العامة، والرابطة التي تصل الرجل في حياته الزوجية، وتنظم علاقاته مع الغير هو الواجب، وهنا يأتي ذكر مبدأ الإخلاص والصراحة الذي يقوم عليه التشابك الاجتماعي الذي يعد أساسا متينا للتعامل مع البيئة والجماعات التي تحيط

١- البوشيدو: ص ٢١٤، وانظر: نصر أبوزيد، ص ١٨٩-١٩٠ .

٢- البوشيدو: ص ٢١٩ .

٣- نفسه: ص ٢١٩ .

بنا[1]، فالمجتمع الياباني في ظل تعاليم البوشيدو يقوم على مبادئ خاصة مستوحاة من فكرة الإخاء الصادق، وينابيع الحب الصحيح[2].

ومن الملاحظ أن المرأة اليابانية لم تستجب لحركة التحرير النسائية التي ظهرت في بقاع كثيرة من العالم لأن هذه الحركة لا تناسب أسلوب حياتها، ومن ثم يكون الارتباط بهذه الحركة بمثابة فخ وقعت فيه المرأة اليابانية التي تحظى بصفات السيدة المحترمة، كما أن اليابانية لا تشعر برد الفعل الذي تشعر به المرأة الغربية نتيجة للظلم الواقع عليها بوصفها الجنس الضعيف؛ ذلك لأنها تفخر بدورها الحاكم المسيطر في الأسرة، ولأنها تشعر فعلا –كما يذكر رايشاور الأمريكي الياباني المولد– بأنها الجنس الأقوى[3].

لا بد أن نشير هنا إلى أن قضية المرأة لا تزال تثار حتى اليوم في اليابان فضلا عن بقاع كثيرة من العالم، وكما هو معروف يخاطب الإسلام الإنسان المسلم من حيث كونه إنسانا، رجلا كان أو امرأة، فكانت نظرة الإسلام إلى الرجل والمرأة باعتبارهما: الإنسان المسلم، يتساويان في ذلك مساواة الأعضاء في البدن الواحد، وفي هذه النظرة بداية ضبط فلسفة الإسلام ومنهجه في علاقة الرجل بالمرأة وموقف المرأة من الرجل.

إن المساواة بين الرجل والمرأة في «الإنسانية» هي حقيقة موضوعية تدركها العقول وكل الحواس، وإن المساواة بينهما في التكاليف، حقوقا وواجبات، وفي الحساب والجزاء، وفيما يلزم النهوض بالتكاليف من عقل وقدرات منحها اللّه لكل منهما وركّبها فيه، هي مما أجمع عليها، ويجمع عليها الناظرون في فكر الإسلام.

١– نفسه: ص ٢١٩ .

٢– رايشاور، اليابانيون: ص ٣٠٣ .

٣– نفسه: ص ١٥٨ .

أثر تعاليم البوشيدو على المجتمع:

كان لتعاليم البوشيدو ونظام التربية القائم على أساس هذه التعاليم أثر واضح على المجتمع، فالبطولة مثلا جعلت من الفضائل الرفيعة والأخلاق النبيلة شعارا لأغراضها، ورمزا لغاياتها ومقاصدها الإصلاحية من نشر مبادئها، والدعوة إلى اعتناقها في المجتمع، ولهذه الفضائل قيمة وآثار بالغة مستحكمة في المستوى العام للحياة القومية[١]، فاليابان قديما وحديثا هي نتاج أثر البوشيدو وأثر الساموارئي، فالشعب يتلمس عندهم منهاجه الأخلاقي، ويقتدي في حياته بأعمالهم وتقاليدهم، مهما قيل بأنه يفصلهم عن الشعب هوة عميقة، ومسافات بعيدة على المستوى الاجتماعي، ولا أدل على قوة الساموارئي المعنوية، وامتداد آثارها إلى نفسية الطبقة العامة وأفراد الشعب من النظر وتأمل أبناء هذه الطائفة، وهم يتحدثون عن مغامرة الفوارس وأقاصيصهم، فالفارس الذي يطلق عليه لقب الساموارئي هو مثل الماركة اليابانية المسجلة، وهو سيد الرجال.

وقد تركت البوشيدو أثرا في نشوء الإمبراطورة اليابانية، وارتقائها الاجتماعي، لقد امتدت البوشيدو إلى سائر الطبقات الاجتماعية، والدليل على ذلك انبثاق طائفة جديدة في اليابان معروفة باسم «أو تو كو داته» التي تعني القادة الطيبون – حماة الديمقراطية– وقد ضمت تلك الطبقة خيرة رجال الشعب، وأكثرهم إنتاجا، وأشدهم قوة، وقد تطوع هؤلاء للدفاع والنضال عن حقوق الشعب، ضاربين في سبيل ذلك بمنافعهم ومصالحهم الخاصة عرض الحائط، لا يتورعون عن التضحية، حماية لحق الأمة المقدس. وينظر إلى هذه القوة من الرجال التي يلتف حولها ألوف عديدة من الأفراد والجماعات، بمثابة قوة رقيبة على القائمين على مقدرات الأمة، تحول دون استغلال صلاحيتهم، وإساءة نفوذ بلادهم[٢].

١– نفسه: ص ٢٢٨ .

٢– نفسه: ص ٢٣٧ .

لقد انبثقت البوشيدو من طائفة معينة، وطبقة محدودة العدد والنسبة، واتحدت مع عامة الشعب، وكانت له بمثابة مثل أخلاقي وأنموذج رفيع، بعد أن كانت مبادئ البطولة وتقاليدها ميزة من ميزات فئة خاصة، أصبحت نزعة عامة تنحو إليها الأمة بأكملها، ووحياً يستمد منه الشعب قوته وفتوة شعوره الذي يصبح هو روح اليابان (يا ما تو داماشي) أو المظهر الحقيقي للإمبراطورية اليابانية.

التأثير المستقبلي لتعاليم البوشيدو في ظل الدعوة إلى العولمة:

(تغلغل التعاليم في الشعب – التأثير الغربي – بقاء التعاليم حية)

في ظل الدعوة إلى ما يسمى بالعولمة، أثيرت عدة أسئلة منها: هل يمكن للمدنية الغربية في تسربها وامتدادها إلى أوساط اليابان وبيئتها المختلفة أن تتخلل مبادئ اليابانيين، وتقضي على طابعهم القومي؟ وما مدى تأثير المدنية الغربية على عقائد اليابان وتقاليدها الاجتماعية؟

تكمن الإجابة على مثل هذه التساؤلات في القول إن روح القوميات وطوابعها الخاصة إنما هي من المتانة والخلود بحيث تستمر، مثل استمرار الخصائص العضوية التي تمتاز بها الأنواع، أما الأخلاق وما يترتب عليها من ميزات، فلم تستأثر بملكيتها أمة دون أخرى، وإنما هي وحدة ينتفع بها كل من له استعداد للتأثر بعواملها وأحوالها المتغيرة. ويرى الفيلسوف الياباني إينازو أن البوشيدو، دون حاجة إلى تدوين، ستبقى الباعث الوحيد على النشاط القومي وروح الوحدة الوطنية، وهذا ما يثبته الواقع في اليابان في الوقت الحاضر.

ورغم محاولة البعض تقسيم اليابان إلى يابان قديمة لم تفنَ تماما، ويابان جديدة ما تزال في مطلع البزوغ، ويابان وسطى تمثل فترة الانتقال وتجتاز

اليوم أدق المراحل وأكثرها تعقيدا، إلا أن الفيلسوف الياباني يرى أن هذا حكم يحتاج إلى مراجعة، فالبوشيدو التي ينظر إليها كنتاج لليابان القديمة ما تزال تسيطر على مرحلة الانتقال وتتجه إلى ما يتلاءم مع مبادئها ومقاصدها، وهي التي ستستولي على القوة الإبداعية وخصائص الإنتاج في العصر الجديد، فقادة اليابان وكبار رجالها الذين تحققت على أيديهم النهضة القومية، واشتركوا في تكوين اليابان الحديثة لم يتمذهبوا ويعتنقوا تعاليم أخلاقية تختلف عن مبادئ الفروسية وتغاير تقاليدها وروحها[١].

ويشير الفيلسوف الياباني إلى أن ما يعتقده البعض من أن الإرساليات النصرانية أسهمت في تكوين اليابان الحديثة، رأي عارٍ عن الصحة، والقصد منه إيجاد جو من الدعاية والتضليل تقنع الرأي العام بأن الغرب له أياد بيضاء، ومساع حميدة في إدراك اليابان للمدنية[٢].

«إن ما خلق من اليابان مدنيتها الحاضرة هو تمسك اليابان وحرص أمتها على الشرف، ومبادئ النزاهة، وهذا الأمر نفسه هو الذي ميز بين الاستبداد في اليابان والاستبداد في سائر البلدان الشرقية إن صح التعبير. ولا شك بأنه توجد عوامل مختلفة وأسباب متباينة تضافرت جميعها على تكوين اليابان الحديثة، والانتهاء بها إلى هذا الانقلاب الاجتماعي الحاضر دائما، وإذا صح وجود عامل أساس استفاد من أكبر نصيب، وساهم بأوفر أثر على إنشاء اليابان الجديدة، فالبوشيدو وحدها تكون هذا العامل، ولا أعتقد –وهذا كلام الفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه– ثمة من يجسر وينكر هذه الحقيقة»[٣].

ويرفض المفكرون اليابانيون الفكرة التي يرددها البعض بأن لأوربا جليل الأثر في إرتقاء اليابان ونهضتها، ويرون أن تطور اليابان كان نتاج إرادة

١- نفسه: ص ٢٣٨ .

٢- نفسه: ص ٢٤٠ .

٣- نفسه: ص ٢٤٢ .

شخصية، ورغبة مستقلة، وأوربا والغرب لم يتطوعوا لتثقيف اليابانيين، بل قام اليابانيون بنتائج التحكيم والمناقشة بالأخذ عن الأوربيين المناسب من أساليبهم في تحسين الأوضاع المدنية والعسكرية، وربما استعانوا بمن يعينهم على إصلاح إنتاجها الفني والصناعي كما فعل المسلمون (الأتراك) من قبل مع اليابانيين.

إن مصدر الحركة التي ولدها هذا الانقلاب والتطور في اليابان إنما هو صنع الأمة اليابانية، ولم يكن نتيجة مؤثرات غربية وعوامل أجنبية[1]، فقد انتقلت البوشيدو من مرحلة التفكير الشعوري القائم على التأمل والتحكيم إلى حالة لا شعورية، يأتمر الفرد والجماعة بوحيها دون مناقشة ومحاكمة.

إن نظرة مجردة، وقليلا من التأمل إلى حياة اليابان اليومية، تجعلنا نقف على قوى البوشيدو ومدى آثارها، وهي تتضح في الأدب والأناقة والقوة والجلد الذي يتمتع به الياباني، واليابان اليوم واليابان غدا مدينة إلى البطولة القومية ومبادئها السامية، فالبطولة والفروسية وحدهما تستحقان الشكر والثناء والإعجاب. أما ما يقال من مخاطر العولمة فإن أحدا لا يمكنه أن يجتث شجرة المعتقدات القديمة من جذورها، ويستبدلها ببذور معتقدات أخرى، قد يصلح هذا عند بعض الشعوب لكن ليس في اليابان، فالعولمة تجد نفسها عاجزة عن اختراق حدود اليابان القومية التي شكلتها قيم البوشيدو وتعاليمها الخالدة، فمن الصعب القول إن البوشيدو أو الفروسية أو الفتوة بتقاليدها الخالدة وقيمها المحكمة قد انتهت، فانتصارات اليابان قديما -على سبيل المثال- لم تكن بسبب المدافع أو الأسلحة الأوربية لكنها كانت بسبب الروح، فهي التي تحي وتبعث النشاط والهمة، وما عداها ليس له أي قيمة فعالة، فأكثر السلاح اتقانا لا يُعقل أن ينطلق لوحده، والتربية الحديثة مهما كانت لا يمكنها أن تخلق من الجبان شجاعا وتجعل من الميت حيا، لكن الذي أحرز التقدم والتطور الياباني ليس سوى روح اليابان الخالدة؛ أي

١- نفسه: ص ٢٥٦-٢٥٧ .

الحفاظ على قيم البوشيدو وتعاليمها [1].

ويرى المفكرون اليابانيون أن المحافظة على القيم والفضائل أمانة في أعناقهم، ووقف للأجيال القادمة لا يتجزأ، ولا يحق لأي كائن التصرف فيه، وهم مكلفون بالحرص على هذه الأمانة والسهر على مصيرها، وأجد لزاما أن أنقل هنا ثانية ما كتبه الفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه لبيان مكانة البوشيدو وقيمها التقليدية في المجتمع الياباني: «ورد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أرسل لكل أمة نبيا ينطق بلغتها لكنا لو اتجهنا في جميع الأنحاء نبحث عن مصدر نستوحي منه النور والهداية والنشاط والقوة – هنا في اليابان– فلن نرى مصدرا خليقا بأن يحتل مكانة البوشيدو[2].

١– نفسه: ص ٢٥٨

٢– نفسه ص ٢٥٨.

خاتمة:

كان السبب الرئيس الذي دفع الكاتب لدراسة هذا الموضوع: (البوشيدو روح اليابان وقيم الحضارة العربية الإسلامية) هو تساؤل البعض عن القيم التي تحكم اليابان مع عدم وجود معتقدات دين سماوي من جهة، وما يظنه البعض من أن اليابان تتجه بحضارتها أو بقيمها الحضارية إلى الحضارة الغربية، لهذا حاول الباحث أن يوضح أن ما لدى الأمة اليابانية من حضارة تتمثل في القيم والتقاليد والتراث، هو بمثابة معتقد للأمة اليابانية تحرص عليه حرص أهل الديانات الأخرى على ما لديهم من معتقدات.

واليابان عادة تفتح ذراعيها لما يقدم لها من ثقافة، وما يقدم لها من عناصر حضارية، لكنها غالبا ما تعيد النظر في كل هذا، لتتخلص من عناصر التنافر والتضاد مع ثقافتها وقيمها الحضارية، وبعبارة أخرى تقوم «بغربلة» كل ما يصلها من جديد في جميع المجالات النظرية والعملية.

وهكذا كان القصد هنا؛ فهو محاولة الكشف عن عناصر من الحضارة العربية الإسلامية، يقدمها للأمة اليابانية حتى تدرك هذه الأمة أن ما في قيمنا، وتقاليدنا، وتراثنا الحضاري لا يتنافر مع ما لديها من قيم وتقاليد وتراث حضاري.

وإذا كان العالم يتجه اليوم إلى الحوار، بل إلى حوار الحضارات، فيجب أن نسعى إلى إيجاد التفاهم فيما بيننا من خلال فهم ثقافة الآخر وفكره وعواطفه، ولا شك أن هناك محاولات من الجانبين العربي الإسلامي والياباني لتبادل المعلومات وإيجاد حوار ثقافي أو تلاقح فكري، لكنها محاولات تحتاج إلى دعم على جميع المستويات.

إن الأمة اليابانية، مثلها مثل الأمة العربية والإسلامية، تؤمن بأن الحضارة تقوم على التواصل بين القديم والجديد، وتدرك أن الانقطاع عن

القديم يعني فقدان الهوية الحضارية، ولهذا أكد الدكتور إينازو نيتوبيه على ضرورة وصل الحاضر بالتراث حتى لا تفقد الأمة هويتها. والأمة العربية والإسلامية تنتمي إلى ثقافتها التي تمتد جذورها عبر التاريخ، وتنتمي أيضا إلى ما يطلق عليه الوطن، وهكذا غطت قيم الحضارة العربية الإسلامية مساحة واسعة من الكرة الأرضية. وقد يفهم البعض أن قيم الحضارة العربية الإسلامية تتوقف عند مشاعر الدين، لكن يجب أن نفهم أن الدين وقدسية شرائعه يشمل القيم الخالدة التي بنيت عليها الحضارات كلها، وقد أدرك الفيلسوف الياباني هذا الأمر، فذكر أن القرآن الكريم يقرر بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا ينطق بلغتها وهو يشير إلى قوله تعالى في سورة إبراهيم (الآية٤) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾.

عمد كاتب السطور إلى الاختصار –غير المخل– في مناقشة مجموعة القيم الحضارية الراسخة في أعماق الأمة اليابانية، وهي تعد المثل العليا أو المعتقد الذي يجب على كل ياباني أن يتمسك به، موضحا أن هذه المثل هي نفسها تلك المثل التي شهدها المجتمع العربي قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام فأعطاها دفعات قوية حتى استوعبت الثقافة العربية فيما بعد ثقافة العالم، وبرزت الحضارة العربية الإسلامية قوية مؤثرة، وغطت قيمها ومثلها بل وشرائع دينها مساحة شاسعة من العالم.

وهناك توافق غريب بين سمو خلق الفارس الياباني وسمو خلق الفارس العربي المسلم، كما أن قصص البطولات اليابانية لها مثيل في قصص البطولات العربية قبل الإسلام وبعده، لكن المجال لم يكن يسمح بالتفصيل.

واليوم ونحن في عصر حوار الحضارات في حاجة ماسة إلى أن نفتش في قيم الحضارة العربية الإسلامية عما افتقدناه، نتيجة انفتاح أبوابنا على قيم أخرى قد لا تتماشى مع قيمنا التراثية، بينما تحاول اليابان اليوم شرح

ثقافتها للعالم، ومن الملاحظ أنه قد يصعب على بعض أصحاب الحضارات الأخرى فهم ما يقدمه اليابانيون من شروحات بينما يسهل الأمر على أصحاب الحضارة العربية الإسلامية، كما يحاول اليابانيون في الوقت نفسه فهم قيم الحضارة العربية الإسلامية، لكنهم ما يزالون بحاجة إلى من يقدم لهم يد العون، في وقت غلبت فيه الصراعات بين الدول على المفهوم الحقيقي لقيم الحضارة العربية الإسلامية وتراثها؛ وهو ما يوجب علينا القيام -على الأقل- بترجمة ما نشره المثقفون اليابانيون الذين كتبوا عن العالم الإسلامي، بعد أن ارتحلوا إليه وعايشوا أهله، واستشعروا الألفة في كل ما شاهدوا ورأوا لأنهم أدركوا أن قيم الحضارتين العربية الإسلامية واليابانية تتحد تماما في كل ما يخص الإنسان كبشر، والطبيعة التي سخرها الله لهذا الإنسان، وأمره بالمحافظة عليها، من خلال الحفاظ على العلاقات الإنسانية، والعيش في وئام وتوافق مع كل ما هو حي على وجه هذه البسيطة، فهذه هي تعاليم شريعتنا وهذه هي تقاليدنا العربية الإسلامية عبر تاريخنا الطويل، لكن الصراعات التي فرضت نفسها على منطقتنا أوجدت تلك الصورة التي يراها البعض من على بعد بشكل مختلف.

وإذا كانت الحضارات تنتهي وتتلاشى وتندثر، وتنشأ حضارات أخرى تتغذى على بقاياها مثلما حدث عبر التاريخ، إلا أن حضارة الإسلام -كما يذكر الدكتور حسين مؤنس- لا تنطبق عليها هذه النظرية لأن أساسها ليس عنصرا بشريا يناله الضعف والبلى، لكن أساسها العقيدة، وهي ما تزال تتجدد وتتعاقب على حملها الأجيال، وأداتها اللغة العربية، لغة القرآن، وهكذا بفضل الإسلام واللغة العربية ظلت -وستظل- قيم هذه الحضارة حية؛ لأن العقيدة لا تبلى ما دام هناك من يؤمنون بها، على حد قول الفيلسوف الياباني إينازو نيتوبيه حين ذكر أن البوشيدة كعقيدة ستظل باقية حتى لو ظن البعض أنها انتهت.

لقد أدرك العلماء والمفكرون اليابانيون أهمية ما في الحضارة الإسلامية

من قيم إنسانية تكفي لإحلال السلام والأمن على هذه الأرض، فبدؤوا في دراسة الإسلام واللغة العربية، وشرعوا في التعرف على الحضارة العربية الإسلامية من خلال الترجمة، وتشهد الدراسات العربية الإسلامية هذه الأيام تطورا بفضل جيل من الباحثين اليابانيين المنتشرين بين الجامعات ومراكز الدراسات اليابانية؛ وهو ما أوجد توجها لإنشاء أقسام للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية والتاريخ العربي الإسلامي في معظم الجامعات اليابانية.

وليس من شك في أن هذا سوف يثري الحوار الحضاري بين اليابان والعالم العربي الإسلامي عن طريق التواصل المباشر، ويصبح من واجب المسؤولين هنا إقامة علاقات وثيقة ومباشرة مع المثقفين اليابانيين، ودعوتهم إلى زيارة الجامعات العربية ومراكز البحوث، وخاصة أن المسؤولين اليابانيين –على أعلى مستوى– حريصون أشد الحرص على تعميق العلاقات بين اليابان والعالم العربي الإسلامي في وقت يطالب فيه المثقفون اليابانيون ببناء علاقات وطيدة مع العالم العربي والإسلامي، ويساعد على نجاح هذه المساعي ما ورد في هذا البحث من تماثل بيّن بين قيم الحضارة العربية الإسلامية وقيم الحضارة اليابانية.

وقد ظهر هذا جليا في العديد من المناسبات، ويمكن اعتبار ما سيرد في المبحث الخامس نموذجا واقعيا يجسد درجة عالية من التقارب بين القيم الحاكمة للحضارتين معا.



المبحث الخامس

مؤتمر الحوار الياباني الإسلامي بالكويت:

نموذج لبناء جسور التواصل

مدخل:

ظهر مفهوم حوار الحضارات لأول مرة في حقبة ما بعد الحرب الباردة في أدبيات المؤتمر البرلماني الأول للأمن والتعاون في البحر الأبيض المتوسط الذي عقد في أسبانيا سنة ١٩٩٢م، والذي حدد ثلاثة محاور للتعاون[١] كان أحدها هو الحوار بين الحضارات، ويندرج التعاون الثقافي ضمن هذا المحور. وتم تخصيص الجزء الرابع من الإعلان النهائي لموضوع حوار الحضارات وحقوق الإنسان، وقد تضمن هذا الجزء إشارات إلى المبادئ العالمية والقيم المشتركة للحضارات ومبادئ الفهم المتبادل والتسامح والتعاون في ميادين الثقافة والرياضة وحقوق الإنسان، وأشارت الوثيقة إلى أن حوار الحضارات لا بد أن يتأسس على القيم المشتركة مثل احترام الحياة الإنسانية والحاجة إلى القيم الروحية والتضامن الإنساني وغيرها[٢]، ثم جاء إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ٤ نوفمبر ١٩٩٨م باعتبار عام ٢٠٠١م عاما للحوار بين الحضارات، وإعلان طهران الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامي في مايو عام ١٩٩٩م، ثم كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م لتؤكد أهمية حوار الحضارات، مقابل فكرة صراع الحضارات التي أثارها هنتنغتون.

وهناك نماذج للحوار[٣] إلا أن موضوعنا هو الحوار بين العالم الإسلامي واليابان الذي شهد عقد أول دوراته في البحرين ١٣-١٤مارس ٢٠٠٢م. وكان هذا الحوار نتيجة المبادرة التي أعلنها وزير الخارجية الياباني الأسبق يوهيه كونو أثناء زيارته لدول الخليج العربية عام ٢٠٠١م، فكان منتدى الحوار المشار إليه، وتناولت جلساته: الإسلام والعولمة، والعلاقات الدولية

١- انظر: محمد سليم: متطلبات نجاح حوار الحضارات، بحث نشر، ص ١ -www.eg.emb-japan.go.jp المحور الأول: التعاون السياسي الأمني – المحور الثاني التعاون الاقتصادي.

٢- نقلا عن محمد سليم، المصدر السابق: ص٢.

٣- المصدر السابق: ص٣.

والتعايش والتفاعل بين الإسلام واليابان، وتبعه منتديات أخرى كل عام لمناقشة موضوع بعينه، وقد خصص المنتدى السادس مثلا لمناقشة الثقافة واحترام الأديان[١]، ثم كان المنتدى السابع في دولة الكويت الذي هو موضوع هذه الصفحات المختصرة[٢].

ندوة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت:

تحت رعاية سمو ولي العهد -حفظه الله- الشيخ/ نواف الأحمد الجابر الصباح أقامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ندوة «مستجدات الفكر الإسلامي.. حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان»، وذلك بتاريخ ١١/١٢ مارس ٢٠٠٩م. وربما أثار عنوان الندوة وتشكيلها تساؤلات يمكن اختصارها في الجهة التي رعت الندوة، والموضوعات التي طرحت من الجانبين الإسلامي والياباني، رغم أن النتائج جاءت متواكبة مع الهدف الذي عقدت من أجله هذه الندوة سواء على المستوى الإسلامي الممثل في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية أو على المستوى الياباني الممثل في وزارة الخارجية اليابانية...

وهذا الأمر يتضح إذا ما أدركنا فكرة الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان، تلك الفكرة التي انطلقت بعد اهتمام اليابان والدول الإسلامية بإجراء حوار بين الطرفين، بعد أن شعرت اليابان بأهمية بل بضرورة فهم الإسلام والعالم الإسلامي لضمان مصالحها في الشرق الأوسط، وهو أمر له نماذج سابقة في تاريخ العلاقات اليابانية الإسلامية[٣]، ومن جهتها شعرت البلدان الإسلامية بأهمية دور اليابان في صنع السلام والتقدم، ومن ثم

١- جريدة الرياض، ٢٣ مارس ٢٠٠٨م، العدد ٢٣٧٢، السنة ٨.

٢- عقدت ست ندوات: البحرين مارس ٢٠٠٢م، طوكيو أكتوبر ٢٠٠٣م، طهران نوفمبر ٢٠٠٤م، تونس ٢٠٠٦م، طوكيو ٢٠٠٧م، الرياض مارس ٢٠٠٨م.

٣- انظر: سمير عبد الحميد إبراهيم: الإسلام والأديان في اليابان، القسم الخاص بالإسلام في اليابان، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض.

تحرك الطرفان في عام ٢٠٠٠م وشكل وزير الخارجة اليابانية آنذاك كونو فريق عمل من الباحثين اليابانيين المهتمين بالدراسات الإسلامية[١] وقدم تقريرا ارتكز على إقامة شبكات بحثية تربط مثقفي اليابان بمثقفي العالم الإسلامي من خلال أنشطة تدعم الفهم المتبادل بين الأطراف، ومن ثم أعلن كونو عن مبادرته للحوار بين اليابان والعالم الإسلامي في قطر في شهر يناير عام ٢٠٠١م مشيرا إلى إجراء حوار ثقافي مع دول الخليج العربية...

وكانت منظمة المؤتمر الإسلامي قد عقدت في أواخر مايو عام ٢٠٠٠م مؤتمرا في طوكيو تحت عنوان الشرق الأقصى والعالم الإسلامي: العلاقات اليابانية الإسلامية في قرن، وذلك بالتعاون مع المركز الإسلامي في طوكيو بهدف دعم العلاقات بين اليابان ودول منظمة المؤتمر الإسلامي.

وفي داخل اليابان، اهتمت وزارة التربية والتعليم بدعم عدد كبير من المراكز البحثية لدراسة الإسلام والعالم الإسلامي، وضمن مشروعات متنوعة تهدف إلى الاستفادة من خبرات الباحثين اليابانيين وتخريج عدد من الشباب الذين يتولون مستقبلا مسؤولية دعم العلاقات بين اليابان والعالم الإسلامي، فضلا عن دعوة الباحثين والعلماء من بلدان العالم الإسلامي إلى المشاركة في الندوات والمؤتمرات التي تقيمها هذه المراكز[٢]، بينما اهتمت وزارة الخارجية اليابانية بدعم المبادرة اليابانية بإرسال عدد من الأساتذة والباحثين إلى بلدان العالم الإسلامي للتعريف بمبادرة الحوار بين اليابان والعالم الإسلامي.

وهكذا عقدت الندوات أو المنتديات أو مؤتمرات الحوار على مدى السنوات الست الماضية ليكون مؤتمر الكويت هو المؤتمر أو المنتدى أو اللقاء السابع من سلسلة حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي، وتزامن ذلك مع الندوة الثامنة لمستجدات الفكر الإسلامي التي تقيمها وزارة الأوقاف

١- بإشراف البروفسور أيتاغاكي، والبروفسر ياماأوتشي.

٢- انظر مثلا: سيسمور، وانظر: المشروعات المختلفة في الجامعات اليابانية المختلفة.

الكويتية، وهكذا عقد منتدى حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان السابع متزامنا مع الندوة الثامنة لمستجدات الفكر الإسلامي، تحت عنوان «البيئة تحديات ورؤى»؛ وهو ما أثرى ثراء واضحا فعاليات هذا اللقاء الذي ضم باحثين من العالم الإسلامي ومن اليابان وقامت باستضافته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، فكان لقاء ناجحا موفقا بفضل التنسيق والتنظيم الجيد والاهتمام الإعلامي والضيافة الكريمة.

تقييم ندوة مستجدات الفكر الإسلامي.. حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان:

يعتبر هذا الحوار من أنجح الحوارات التي عقدت حسب تعبير الدكتور محمد سليم الذي شارك بنفسه في أكثر من مؤتمر وندوة للحوار[1]، وأظن أن سبب هذا النجاح يرجع إلى عدة عوامل من أهمها أن الحوار هنا يمثل العالم الإسلامي إلى حد كبير، فقد كانت وزارات الخارجية في الدول العربية والإسلامية تقوم عادة بترشيح المشاركين في مؤتمر الحوار، وكان هؤلاء يمثلون الدول ويتولون مناصب سياسية، بينما المشاركون اليابانيون عادة كانوا يمثلون مراكز بحوث وجامعات فقط ممن يهتمون بالدراسات الإسلامية بشكل واسع.

في مؤتمر الحوار الأخير الذي أقامته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت لاحظنا وجود عدد كبير من الباحثين يمثلون هيئات أو مؤسسات في العالم العربي والعالم الإسلامي، وأيضا من مسلمي أوربا وأمريكا، ومن الجانب الياباني حدث نوع من التغيير في المشاركين، ففضلا عن الباحثين وأساتذة الجامعات اليابانيين انضم إليهم عدد ممن يتولون مناصب في المنظمات والمؤسسات الدولية وكذلك المؤسسسات الثقافية اليابانية وأجهزة الإعلام ومن غير المهتمين بالدراسات الإسلامية أيضا؛ وهو ما أوجد تحولا في اتجاه الطرف الياباني لمجاراة الطرف الإسلامي في دعم لقاءات الحوار

١- انظر: مقال د. محمد سليم: مجلة الشروق، ١٧ مارس ٢٠٠٩م WWW.SHOROUKNEWS.COM.

بعدد من خارج نطاق مسؤولي الخارجية والجامعات والمراكز البحثية مثل الإعلام والصحافة والهيئات الدولية، وقد كان توسيع نطاق المشاركة في الحوار بين اليابان والعالم الإسلامي بفضل عقد ندوة الحوار الإسلامي الياباني متزامنة مع ندوة مستجدات الفكر الإسلامي من جهة، واختيار موضوع البيئة من جهة أخرى[١]؛ وهو ما صادف هوى لدى الجانب الياباني للتعرف على رؤية العالم الإسلامي لموضوع البيئة، وكما يذكر د.مسعود ضاهر اهتمت اليابان كثيرا بحماية البيئة، ودعت إلى توقيع بروتوكول «كيوتو» لحماية الكرة الأرضية من الاحتباس الحراري والتلوث الصناعي، فالمسألة لم تعد مقتصرة على دول معينة بل تعم البشرية بأسرها[٢]، ولا بد من تعاون جميع الدول في مختلف القارات من أجل حماية البيئة ومحاربة كل أشكال التلوث والاحتباس الحراري، كما أن الجانب الياباني يسعى دائما إلى الربط بين الحوار الحضاري وموضوعات الحياة المعيشة ليكون الحوار منتجا للمعرفة من ناحية، ومتسما بتطبيق القيم المشتركة من ناحية أخرى، والأمر المهم هنا هو إشراك الإعلام الكويتي المسموع والمرئي والمقروء في فعاليات الحوار، وأخيرا الحرص على إشراك الشباب في الندوة، وهم الذين سيتولون فيما بعد مسؤولية استمرارية هذا الحوار، وكان لمشاركة الجنسين معا وبخاصة الفتيات الكويتيات مردود إيجابي لدى الجانب الياباني المتحاور، فقد أوجد فرصة ليس فقط لمناقشة قضايا شباب العالم

١- انظر موضوعات الندوات السابقة في: محمد سليم، مقال بجريدة الشروق، نشر في ١٧ مارس ٢٠٠٩م على الرابط السابق، جاء فيه: وفى كل مؤتمر تم الاتفاق على اختيار فكرة أو أفكار محورية للنقاش حولها لإيضاح كيف يرى اليابانيون والمسلمون تلك الأفكار. فمثلا ناقشت دورة البحرين أفكار الإسلام والعولمة، والتعايش والتبادل بين الإسلام واليابان، والإسلام والعلاقات الدولية. وفى جولة طوكيو التالية تم تناول أفكار العلاقة بين السلام والتنمية الإنسانية، مع التركيز على قضايا التحديث والتفاعل بين الثقافات: كيف يرى اليابانيون العالم الإسلامى. وفى جولة طهران تم التركيز على فكرة «الكرامة الإنسانية»، وفى جولة اليابان الثانية كان التركيز على قضايا التنمية، البيئة والحياة، والتنوع الثقافى ودور أجهزة الإعلام.

٢- انظر: مسعود ضاهر: «جسر الحكمة» لحوار اليابان مع العالم الإسلامي، جريدة المستقبل، الأحد ٥ إبريل ٢٠٠٩م.

الإسلامي بل لمناقشة قضايا شباب اليابان أيضا، وبهذا يكون الحوار على الأقل متماثلا وليس قاصرا على مناقشة قضايا العالم العربي الإسلامي فقط.

وكان للجولات التي نظمتها وزارة الأوقاف دورها في التعريف بجوانب من الحضارة الإسلامية في مجال فن المعمار مثلا وإبداع الخط العربي، وغير ذلك مع التعريف بأنشطة المؤسسات المختلفة في الكويت من خلال المنافذ التي قدمت مطبوعاتها وهداياها طوال انعقاد جلسات المؤتمر.

لقد كان الحوار ثريا، مع ملاحظة أن الجانب الإسلامي يفتقد في بعض الأحيان فهم الثقافة اليابانية بمفهومها الواسع الذي يتضمن المعتقدات الشرقية أيضا؛ وهو ما جعل الندوة توصي بتأسيس مركز مشترك يسهم في تعزيز الحوار الحضاري بين اليابان والعالم الإسلامي يسمى مركز الحوار الحضاري الإسلامي الياباني يتم الاتفاق على مقره بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية والخارجية اليابانية، ويتم تحديد الأهداف وخطة العمل والبرنامج التنفيذي بالاتفاق بين الجانبين[1]. وقد قدم الجانب الياباني في الندوة مقترحه الممتاز بإقاقة ما يسمى بمشروع «جسر الحكمة بين اليابان والعالم الإسلامي»[2] الذي يضم - وقت انعقاد الندوة- ٢٤ جهة بحثية يابانية معنية بالعلاقات اليابانية الإسلامية وبالدراسات العربية الإسلامية، ويسعى الجانب الياباني إلى مشاركة مماثلة من جهات العالم الإسلامية المختلفة المهتمة بموضوع الحوار بين العالم الإسلامي واليابان، وسيأتي الحديث عن المشروع فيما بعد.

من خلال مشاركتي في هذه الندوة متطفلا على الوفد الياباني فقد كنت قريبا من الأفكار اليابانية التي أثيرت بشكل خاص، في صورة أمنيات

١- انظر: مسودة توصيات ندوة مستجدات الفكر الثقافي الثامنة لمؤتمر حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان، ص ٢-٣ .

٢- انظر سجل الندوة، وقد وزعت أوراق المقترح في الجلسات.

عبّرعنها بعض المشاركين من الباحثين اليابانيين، ومن هذه الأمنيات السعي إلى إشراك عدد معقول من بلدان العالم الإسلامي غير العربي[1]، فالمشروعات البحثية في اليابان تهتم كثيرا بأحوال مسلمي جمهوريات آسيا الوسطي[2]، كما يأمل الباحث نفسه أن يتم تدريب الشباب العربي المسلم على الحوار وإدارة الحوار وإثارة التساؤلات المفيدة مع الجانب الآخر، فما حدث في لقاء الشباب على هامش الندوة هو أن الشباب الياباني كان المتسائل دائما والمستفسر دائما، بينما الشباب الكويتي كان هو الذي يرد على الاستفسارات والتساؤلات دون محاولة التعرف على الجانب الآخر؛ أي الطرف الياباني، وربما يرجع السبب إلى عدم معرفة هؤلاء الشباب بالحضارة والثقافة اليابانية بشكل متكامل، وقصور معرفتهم بها على أفلام الكرتون المترجمة إلى العربية التي يشاهدونها يوميا، ولهذا من المفيد إعداد نخبة من شباب العالم الإسلامي للتعرف على الحضارة اليابانية وثقافتها بوسائل متنوعة: دراسة أو زيارة أو تلقينًا أو غير ذلك، ولدى الجانب الياباني برنامج للشباب من خارج اليابان يمكن أن يسهم في هذا الصدد، ويمكن لمشروع «جسر الحكمة» الإسهام في هذا الأمر أيضا إذا ما سعى إليه الجانب الإسلامي.

وفيما يتعلق بالمشاركين من الملاحظ أن اليابان صارت تشرك عددا من غير الباحثين والأساتذة المتخصصين، كما ذكرنا من قبل، إلا أنني أتفق مع

١- انظر: مسعود ضاهر «جسر الحكمة» لحوار اليابان مع العالم الإسلامي، جريدة المستقبل الأحد ٥ إبريل ٢٠٠٩م، تضمنت اللائحة الرسمية للمدعوين أسماء خمسة وعشرين باحثا من اليابان، واثنين وثلاثين باحثا من الكويت، وخمسة وثلاثين باحثا من خارج الكويت،وفدوا إليها من المملكة العربية السعودية، ومصر وتونس، والمغرب، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين، وقطر، ولبنان، والأردن، والجزائر، وتركيا، وإيران، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأميركية، وإندونيسيا، وماليزيا، والهند، والسنغال.

٢- مشروع دراسات الحضارة الإسلامية JAMES، انظر الموقع على الإنترنت.

وجهة نظر الدكتور محمد سليم[1] التي طالما أوضحها في كل ندوة من ندوات الحوار الياباني الإسلامي، وهي أن من يمثلون اليابان والعالم الإسلامي يتم اختيارهم في العادة من خلال وزارات الخارجية في اليابان والعالم الإسلامي، وهكذا تتكرر الوجوه، وربما تتكرر البحوث أو تكون مجرد إعادة لصياغة بحوث سابقة، وبخاصة من الجانب الإسلامي، فالجانب الياباني من خلال ملاحظتي يستعد مبكرا قبل الندوة بعدة أشهر.

وهناك نقطة مهمة في ندوة حوار الكويت وهي محاولة تلافي النقص في التنسيق بين المشاركين من الجانب الإسلامي، وذلك عن طريق عقد الجلسة الإعلامية مثلا أو التخطيط الجيد الذي بدا واضحا من خلال البحوث التي قدمها ممثلو الجانب الإسلامي، وسيأتي التمثيل لذلك، فقد نجح مدير الجلسة الإعلامية التي عقدت تحت مسمى «دور الإعلام في تعزيز الفهم المتبادل»، في إدارة حوار ناجح تفاعل فيه الجانبان الياباني والإسلامي بشكل واضح، ونالت المناقشات اهتمام الجميع ورغبتهم في استمرار الجلسة أطول وقت ممكن[2]، وكذا منسق الجلسة الختامية التي أقيمت في القاعة الغربية في المسجد الكبير، وتناولت عرض أدوات وأساليب التعاون مع الجانبين الياباني والإسلامي.

ونظرا لأهمية كل ما دار من حوار ونقاش فإن إصدار سجل علمي لهذه الندوة يكون من الضرورة بمكان، فالحوارات والمنافشات قد أثْرت كثيرا الموضوعات التي قدمها المحاضرون سواء في موضوع الموروث الثقافي وخبرات الحضارة الإسلامية واليابانية في التعامل مع البيئة أو في موضوع التحديات البيئية من وجهة نظر الجانبين، أو الرؤى والحلول المقترحة من

١- كتب: يلاحظ أنه بعد مرور سبع سنوات على تلك الحوارات فإنها ما زالت تفتقر إلى الإطار التنظيمى المستقل، وأنه يتأثر تماما بالسياسات الحكومية الرسمية... وبالتالى فإن الحوار في حقيقته ليس حوارا مستقلا بين الحضارات؛ إذ لا يوجد دور لمؤسسات المجتمع المدني في الحوار، كما أن غالبية المشاركين اختارتهم الحكومات، فضلا عن أنها هي التي تحدد جدول أعمال الحوار.

٢- يمكن الرجوع إلى سجل الندوة.

العالم الإسلامي واليابان، فإصدار سجل للندوة يتضمن كل ما قدم فيها من محاضرات وما دار فيها من مناقشات سيكون مفيدا مستقبلا في أثناء عقد ندوات الحوار بين العالم الإسلامي واليابان، وهذا هو ما يراه أيضا البروفسور مسعود ضاهر في تحليله لهذه الندوة.

اختيار الموضوع وتحقيق الأهداف:

كان لاختيار موضوع ندوة مستجدات الفكر الإسلامي الثامنة- الحوار الحضاري بين اليابان والعالم الإسلامي التي استضافتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية أكبر الأثر في النجاح الذي تحقق ولمسه الجميع، وبخاصة الجانب الياباني الذي تعرف على الموروث الثقافي الإسلامي وخبرات الحضارة الإسلامية في التعامل مع البيئة، كما أن الجانب الياباني حاول بشكل غير مباشر إرسال رسالة إلى الجانب الإسلامي بأن الموروث الثقافي الياباني بما فيه الموروث الديني لديه خبرات في التعامل مع البيئة، وجاء ذلك من خلال ورقة قدمها البروفسور ماساهيكو شيبایاما وهو فضلا عن كونه راهبا بوذيا فهو أيضا عضو في البرلمان عن الحزب الحاكم، الحزب الديمقراطي الليبرالي[١].

وتشير ورقته إلى الموروث البوذي وعلاقته بالبيئة، وقد قدمها في شكل فيلم كرتوني لشرح وجهة نظره في العلاقة بين الإنسان والحيوان والبيئة أو الكون من حولنا، وكأنه يريد الوصول في النهاية إلى الفكرة الصوفية القائلة بوحدة الوجود لكن من منظور بوذي، إلا أن المحاضر وعلى الطريقة اليابانية لم يذكر صراحة ما يريد إيصاله إلى مستمعيه تاركا لهم الفرصة لإطلاق العنان كل حسب رؤيته. ومن الجدير بالذكر أنه أكد على هويته الدينية كراهب بوذي ياباني بارتدائه زيه الرسمي في أثناء إلقائه ورقته كجزء مكمل لما سيعرضه على الحاضرين.

١- يمكن الرجوع إلى موقعه على شبكة الإنترنت http://www.shibamasa.net/.

وفي الورقة التي قدمها البروفسور إيجي هاتّوري بعنوان «من يستطيعون رؤية اللامرئي هم فقط الذين يستطيعون فعل المستحيل»، ركز على المفهوم الحضاري، وأن الثقافة[1] تُمثل نظام القيم. ويشير إلى مخاطر العولمة على النظام الثقافي العالمي وهو يقصد القيم المتفق عليها في الثقافات المختلفة، ويصل الى نتيجة مفادها أنه من الضروري أن نبني عالما يقوم على الاحترام المتبادل، وهو أمر أكثر من التسامح ومرحلة أبعد من التسامح يطلق عليها عالم التعايش معا Co-viventia، وهذا ممكن إذا ما أعطينا الأفضلية ليس للمعرفة Scientua فقط بل للحكمة Sophia [2]، ويرجع السبب في الإبهام في عرض الفكرة إلى أن اليابان دولة علمانية، ومن هنا وعلى المستوى الرسمي لا يمكن الحديث عن الدين بالشكل الذي يتحدث به الجانب الإسلامي عن الدين الإسلامي، ومع هذا فالجانب الياباني يتقبل الحديث عن الدين الإسلامي؛ لأن الحوار هنا بين اليابان والعالم الإسلامي؛ أي العالم الذي يدين بالدين الإسلامي الذي يمثل نسيجا متكاملا مع حياة المسلمين إذا انتفى لن يكون هناك هذا العالم الإسلامي الذي يُجرى معه الحوار.

ورغم هذا، فهناك علاقة بين الدين والبيئة في اليابان، أوضحها كاتب، وهو رؤية تلك العلاقة التي تربط بين الدين والبيئة، فإذا ما اعتبرنا الدين نسقا من العقائد والتصورات التي تحدد وضع الإنسان في الكون، وتحدد علاقته بالبيئة وبالطبيعة وبغيره من البشر، فإن المجتمع الياباني شديد التدين سواء كان يؤمن بالشنتوية أو البوذية أو حتى بغيرهما من العقائد، والأساس في المعتقد الياباني هو الاعتقاد الأسطوري في وحدة الوجود الذي كان الإنسان –طبقا لهذا المعتقد– جزءا منه، ورغم غياب مظاهر التدين

١- وهي عادة تعني في اليابان مجموعة القيم الدينية.

٢- انظر: سجل الندوة، ورقة الباحث بعنوان Only those who can see the invisible are able to do the impossible by Prof. Eiji Hattori

إلى حد القول باندثارها بوصفها نظاما دينيا إلا أنها ما تزال باقية بوصفها خلقا وفضيلة.

إن هذا الدستور الروحي الياباني يستمد عناصره من مصادر عقدية شرقية، تقدس الطبيعة على أساس أن كل ما فيها له روح، وتقدس الأسلاف الذين فنت أجسامهم وارتفعت أرواحهم إلى العالم الآخر، وعقيدة الزن اليابانية عقيدة شبيهة بالتأمل لدى المتصوفة المسلمين، إلا أن مفهوم الدين عند اليابانيين يعني الثقافة بمعناها الواسع: أسلوب الحياة بكل دقائقها من الصباح إلى المساء ومن المساء حتى الصباح، ومن المولد إلى الوفاة وما بعد الوفاة، فالعقيدة قبل كل شيء هي ثقافة و حضارة.

والشعب الياباني ملتصق بالطبيعة وبالبيئة بالمفهوم الجغرافي والتاريخي والثقافي والعقدي أيضا، ومن هنا يتكيف مع البيئة من حوله، ولا يحاول التصادم معها بل يغازلها ليخضعها له لتوفير حياة هادئة، فهو لا يهدم الجبل ولكنه ينساب من داخله إلى الناحية الأخرى، وهو لا يجفف البحيرات ولا البحار، ولكنه يركبها ويعيش فوقها، ومن هنا فهو لا يحبذ الصدام بل ينشد الوئام بكل معانيه وعلى جميع مستوياته، ويرى أن العقيدة مساوية في مفهومها للسلام والأمن لكل من الإنسان والطبيعة والبيئة بل والكون من حوله، فكل إنسان يعمل داخل نطاق ذاته دون أن يعتدي على نطاق الآخرين من أبناء جنسه أو حتى من مظاهر الطبيعة من حوله، وهكذا صارت اليابان تؤمن أن المسالمة أو السلام بين البشر ككل والبيئة يعنى التقدم، أو بعبارة أخرى: يعني التطور، ودون مسالمة أو سلام أو أمن بين البشر ككل والبيئة يعني أنه ليس هناك تطور وليس هناك تقدم، هذا ما أراد الباحثون اليابانيون أن يقدموه في أوراقهم دون التطرق إلى التراث الديني الياباني، رغم أنهم يحاورون من يهتمون بالتراث الديني الإسلامي.

ويمكن القول، باختصار، إن الجانب الياباني ركز على أهمية العلاقة الإيجابية بين الإنسان و البيئة، وحسب د. مسعود ضاهر[1]، فقد ركزت الأوراق البحثية المقدمة من الجانب الياباني على أهمية العلاقة الإيجابية بين الإنسان والطبيعة، فلا حياة مريحة دون الاحترام المتبادل بين الإنسان والطبيعية، فالبيئة بيت الإنسان، وهي ليست خارجه بل داخله؛ لأن الدراسات السيكولوجية والاجتماعية أظهرت أن البيئة عامل مؤثر في بناء الشخصية البشرية.

وقد نالت ورقة المهندس لطف الله قاري بعنوان «حماية البيئة في التراث العلمي العربي الإسلامي» اهتمام الباحثين والحضور؛ نظرا لأنها كانت في صلب موضوع الندوة، إذ عرض لأهمية البيئة والمؤلفات التراثية المكتوبة عنها مع وضع ثبت تفصيلي لها، كما أن الورقة قدمت الحضارة الإسلامية بالمفهوم الواسع، تلك الحضارة التي ضمت بين أجنحتها العلماء المسلمين وغير المسلمين وكان نتاجها خيرا للبشرية جمعاء، وقد قدم المهندس قاري من خلال ورقته عرضا تاريخيا تحليليا لكل ما صدر من كتب تاريخية اهتمت بالبيئة.

وأخيرا، كان أهم ما تمخضت عنه هذه الندوة هو الموافقة بالإجماع على اقتراح الجانب الياباني القاضي بتأسيس جسر ثقافي أطلق عليه اسم «جسر الحكمة الرابط بين اليابان والعالم الإسلامي» «Wisdom bridging Japan and the Islamic World» يكون من بين أهدافه تبادل الباحثين والخبراء وتنظيم ندوات الحوار بين اليابان والعالم الإسلامي من خلال شبكة تضم المؤسسات والهيئات المهتمة بالحوار الياباني الإسلامي[2].

١- في مقاله سابق الذكر.

٢- انظر الورقة التي وزعت في أثناء الندوة وسجل الندوة. وانظر أيضا: http://www.dialogue-jpis.net، وانظر أيضا: موقع الحوار الإسلامي الياباني باليابانية والإنجليزية http://www.dialogue-jpis.net/modules/newbb/.

وكان كل من البروفسور هيروشي كاتو الأستاذ بجامعة هيتوتسباشي، والبروفسر إيجي ناغاساوا الأستاذ بجامعة طوكيو قد قدما معا في الجلسة الرابعة ورقة عمل بعنوان «أسلوب من أجل التعاون.. جسر الحكمة بين اليابان والعالم الإسلامي»، وذلك لشرح مقترح اليابان للمشاركين من العالم الإسلامي عن كيفية تطوير الحوار بين اليابان والعالم الإسلامي، وفي الورقة شرح لعدم معرفة الشعب الياباني بالإسلام وأسباب ذلك، مع إبراز كيفية تطوير التفاهم المشترك بين اليابان والعالم الإسلامي، وغير ذلك من أمور[١].

والأمل معقود على تفعيل «جسر الحكمة»، على أن تشارك هيئات ومؤسسات إسلامية في هذا النشاط على المستوى الرسمي وغير الرسمي، ويمكن لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية أن تمارس دورا مهما بنشرها بداية سجل الندوة الثامنة لمستجدات الفكر الإسلامي.. حوار الحضارات بين العالم الإسلامي واليابان، ومن ثم تسهم في أنشطة ندوات الحوار القادمة، وكذلك ندوات وحلقات النقاش والحوار التي تعقد في اليابان أو في بلدان العالم الإسلامي، والوزارة بما لديها من إمكانيات مادية وبشرية، يمكنها أن تمارس دورا مهما في إظهار الجانب المضيء للحضارة الإسلامية التي تفاعلت دائما وتتفاعل مع الحضارات الأخرى من أجل خير البشرية.

١- انظر سجل الندوة الجلسة الرابعة
(Methods towards Collaboration، Wisdom bridging Japan and the Islamic World by Hirosh Kato، and Eiji Nagasawa).

سلسلة إصدارات روافد

١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.

د.عبد العزيز برغوث.

٢- عينان مطفأتان وقلب بصير (رواية).

د. عبد الله الطنطاوي.

٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

د. محمد إقبال عروي.

٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.

د. الطيب برغوث.

٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .

د. سعاد الناصر (أم سلمى).

٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.

د. مصطفى قطب سانو.

٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.

د. عبد الكريم بوفرة.

٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.

د. إدهام محمد حنش.

٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.

د. محمود النجيري.

١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.

د. محمد كمال حسن.

١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.

د. يحيى وزيري.

١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.

د. عبد الرحمن الحجي.

١٣- ومنها تتفجر الأنهار (ديوان شعر).

الشاعرة أمينة المريني.

١٤- الطريق... من هنا.

الشيخ محمد الغزالي

١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.

د. حميد سمير

١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين).

فريد محمد معوض

١٧- ارتسامات في بناء الذات

د. محمد بن إبراهيم الحمد

١٨- هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم.

د. عودة خليل أبو عودة

١٩- التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي.

———————————— د. ثـريـة أقصــري

٢٠- إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامة في النقد والإبداع.

———————————— د. عمر أحمد بو قرورة

٢١- ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي.

———————————— د. أبو أمامة نوار بن الشلي

٢٢- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة.

———————————— د. حلمي محمد القاعود

٢٣- جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان.

———————————— أ.دسمير عبد الحميد نوح

نهـر متعـدد.. متجـدد

هـذا الكتـاب

وأخيرا بدأت ملامح الثقافة العربية الإسلامية بالتدريج تصل واضحة إلى الشعب الياباني من خلال الاتصال المباشر بين الدارسين اليابانيين والعلماء العرب والمسؤولين الرسميين، ومن خلال قيام المراكز البحثية اليابانية بتخريج دفعات من الباحثين اليابانيين المهتمين بشؤون البلدان العربية والذين يتقنون اللغة العربية؛ إذ بدأ اليابانيون يهتمون باللغة العربية والإسلام، ونشطت أقسام اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعات اليابان، فكانت النتيجة ظهور عدد من المستعربين اليابانيين... وكانت الدعوة إلى الحوار بين اليابان والعالم الإسلامي..

ولا شك أن الاهتمام بالإسلام وحضارته وثقافته اهتمام موجه لخدمة البحث العلمي من جهة وخدمة اليابان ودعم علاقتها بالعالم العربي والإسلامي من جهة أخرى، وعليه فلا بد لنا أن نستفيد بدورنا من هذا الحوار في بيان صورة الإسلام السمحة لليابانيين، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي انتشرت في اليابان عن الحضارة العربية الإسلامية نتيجة لاعتماد اليابان قديمًا على كتابات المستشرقين.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

www.islam.gov.kw/thaqafa